سهيل ادريس

وقصصه

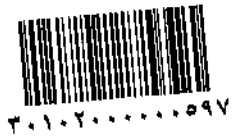

رسالة قدمت الى معهد الاداب الشرقية

في جامعة القديس يوسف في بيروت

لنيل

شهادة الماجستير في الادب العربي

باشراف الدكتور

اسعد احمد علي

٠٠٢٩٧

٥٩٧

اعداد

مصطفى محمد حسين شهاب

١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

لقد عايشت المسؤولين في وزارة المواصلات أكثر من عشرين سنة ، كنت خلالها ألاقي النفوس الخيّرة ، والقلوب المحبّة الكبيرة ، التي كان لها أكبر الأثر في نفسي ، وعلى مستقبلي .

واعترافاً مني بما لاقيته من عناية ، ومحبة ، وتوجيه لا يسعني إلا أن أهدي دراستي هذه إلى وزارة المواصلات الممثلة بشخص وزيرها الموقر سيادة الأخ سليمان حمود الخالد .

فإليك يا صاحب المعالي أقدّم دراستي هذه

مصطفى شهاب

الشؤون الجمركية — منطقة وارد الجو

المقدمـــــــــة

اخترت سهيل ادريس وقصصه موضوعالرسالة الماجستير في الأدب العربي لأسباب تتعلق بي من جهة ، وأسباب تتعلق به من جهة ثانية .

فالأسباب التي تتعلق بي ، تعود إلى أن القصة رفيقة حياتي ، منذ كنت طالباً على مقاعد الدراسة الثانوية ، حيث شغفت بها ، فأكثرت من قراءتها ، تلـــك القراءة التي دفعتني الى التعبيرعن شغفي بثمانية آثار نشرتهاهي : " فتاة مع الأيـــام " و " حب ودماء " و " دما على الجليد " و " سهام وغرام " ، و " جريمة الأقدار " و " معا على طريق العذاب " و " معا على طريق النصر " و " شطحات جامعيات " (١)

والأسباب التي تتعلق بسهيل ادريس ، الأديب اللبناني المعاصر، هي كتابته خمسين قصة قصيرة ، في مجموعات قصصية ست ، وثلاث روايات طويلة ، وله محاولات صحفية ولغوية ونقدية ، وصاحب "مجلة الآداب" ، ولكنه مع كل هذا العطاء المتنوع الغزير لم يلقَ اهتماماً من الدارسين أو يدرس دراسة جامعية تامة (٢) .

هذان السببان ؟ شغفي بالقصة ، ونشاط سهيل ادريس الذى لفت نظري ، وأثّر بي عبرحركته في أعماله القصصية والأدبية ، وعبر تحريكه للأدب والأدباء في مجلتـــه ، دفعاني الى اختيار هذا الموضوع .

وأستطيع إضافة سبب ثالث ، يعتبر سببا خفيا ، وهذا السبب هو ، وضع نفسي في الجو القصصي من وجهة تقنية عبر دراستي لسهيل ادريس ، وعبر اخضاعي دراستي لاشراف منهجي مختص رميت من ورائه الى اكتساب منهجية واضحة في الكتابة عموما ، وفي كتابة القصة القصيرة والرواية خصوصا .

لاأدعي أنني حققت الغاية كاملة من وراء هذه الأسباب، لكنني حاولت ، ولا أكتم ، فقد واجهت صعوبات تجاوزتها بفضل منهج الاشراف ، ومنهج المصادر التي بنيت عليها ومنها دراستي .

أما الصعوبات ، فكانت صعوبات زمانية ، ومكانية ، ومادية ، وقـــد تكون نفس الصعوبات التي تقابل كل دارس منهجي ، اضافة الى الحيرة والقلق ، والانفعال

---

(١) تواريخ النشرعلى التوالي (١٩٧٣ ط ٣) و ١٩٥٩ ، و١٩٦٢ و ١٩٦٥ و ١٩٦٩ و ١٩٧١ و ١٩٧٣ و ١٩٧٥م .

(٢) قدّم المستشرق الامريكي : مارك جريث دراسة عن رواية " الخندق الغميق " نال عليها شهادة الماجستير من الجامعة الامريكية سنة ١٩٧٤ م ، حيث ترجم الدراسة والرواية الى اللغة الانكليزية . وكانت هذه الدراسة الجزئية الوحيدة التـــي تناولت عملاً واحداً من أعمال سهيل ادريس القصصية .

النفسي الذى يحاول أن يتحكم بمشاعر الدارس وهندسة عمارة بحثه ..

فالصعوبات الزمانية ، والمكانية ، صعوبات متلازمة ، لاتنفصل احداها عن الأخرى .. وعلى سبيل المثال ، أنا أعمل موظفاً في الكويت ، والجامعة موجودة في لبنان ، وهذا يعني صعوبة الاتصال بالاستاذ المشرف زماناً ومكاناً ، فاما أن ألحق به الى لبنان - وكان ذلك أكثر من مرة ، أو أن يمر الاستاذ المشرف عبر الكويت بزيارة عابرة ، وكنت في كل مرة أحظى بشرف توجيهاته أغير مخطط الدراسة حتى صارت الى ماهي عليه ، بعد الملاحقة الثالثة في دمشق ..

ومهما كانت تلك الصعوبات التي واجهتني ، فقد استطعت أن أذللها بوساطة المصادر والمراجع وبفضل الاشراف الموجه عن طريق الصبر وحسن الاختيار ، فقد استطعت أن أستغلّ اجازاتي السنوية ، وعطلي الرسمية منذ سنة ١٩٧٤ حتى ١٩٧٦ ، مع الحصول على اجازات دراسية بدون مرتب ، حتى استطعت التغلب على هذه الصعوبات التي أثمرت هذه الدراسة التي أنستني كل جهد وتعب ، كما أنستني حدود الزمان والمكان الذى كنت ملتزما به .

وبالصعوبات وتذليلها عانيت الكتابة المنهجية التي اعتبرها ثقيلة عليّ وجديدة ، لكنها أخذت بيدى لبناء دراستي بالصورة التي جاءت عليها ..

أما الغاية التي أتوخاها من أعمال سهيل ادريس ، فهي أنّ على المفكر العربي الذى عاش في العالمين : الشرقي والغربي ، أن يصنع شيئا لبلده ، ليردم جسور الاخطاء والتزمت ويصعد به ليكون بلده في طليعة البلاد المتحضرة ،

في هذه الأعمال صور لهذا التدرج ، من " الخندق الغميق " الى "الحي اللاتيني " ثم العودة الى البداية ، والكفاح له ليكوّن الحياة للحيّ العربي .. وكل هذه الاعمال تؤرخ ، بصورة ما لحياة مؤلفها الصاعدة من "الخندق الغميق " ممثلة حياة أمته المكافحة لتصعد من خندقها الغميق الى حيها المشرق .

من هنا غاية أعمال سهيل ادريس وأهميته ، فقد تحدث أثراً في نفوس الشباب العرب الذين يظن بعضهم أن مهمتهم تنتهي في مقارعة آبائهم وأمهاتهم للتغلب على تزمتهم والتعويض عن كتب التربية الشرقية لا نحلال الجنسي يعيشونه في "الحي اللاتيني " أومايشبهه .. إنّ أعمال سهيل ادريس تبشّر بالمرحلة الثالثة ، وهي مرحلة العودة الى الاصول واحتضانها لتحيا بذور الفروع فتنفع جيل الشيوخ ، وجيل الشباب (١) .

---

(١) في " الاسلام كما بدا " دعوة الى الأصول ، يمكن الاطلاع عليه ، وكذلك مقدمة أسطورة الصحراء ، والطلاب وانسان المستقبل للدكتور أسعد علي .

كانت مصادر ومراجع هذه الدراسة نوعين ؟ نوع مطبوع ، ونوع مسموع .

فالمطبوع ، كانت المراجع التي تتحدث عن القصة لغة واصطلاحا وتاريخا ، من أهمها : "تطور الرواية العربية" للدكتور عبد المحسن بدر ، ودراسات في القصة العربية الحديثة لمحمد زغلول سلام ، " وفن القصة " و " القصة في الأدب العربي الحديث" لمحمد يوسف نجم ، وكتاب النقد الأدبي ، وكتاب الأدب المقارن لمحمد غنيمي هلال . وكتاب دراسات في القصة والمسرح ، وكذلك محاضرات في القصص في أدب العرب لمحمود تيمور ، وكتاب الواقعية في الرواية العربية ، للدكتور محمد حسن عبد الله .

أما المصادر ، فكانت قصص سهيل ادريس الخمسين ، وروايات الثلاث ، ومجلته ومشاركاته .

أما المسموع ، فكانت المقابلات التي أجريتها مع سهيل ادريس نفسه ، وارشادات الأب ميشال آلدَر ، رئيس المعهد - رحمه الله - كانت ارشادات قيمة ، بالاضافة الى ملاحظات الاستاذ المشرف الذي لم يبخل بأي جهد على طلابه ، الذين يأخذون كل وقته .

وعلى ضوء ماتقدم من أسباب الاختيار والمصاعب ، والمصادر ، أتت رسالتي على ماهي عليه ، في هذه المقدمة ، وأربعة أبواب ، وخاتمة ..

أما المدخل ، فأطلقت عليه كلمة المقدمة ، واعتبرتها ضرورية للدخول الى هذه الدراسة ، حيث بوساطتها نتعرف على بواعثها وغاياتها ، ومصادرها ، وقيمتها والقائمين عليها .

الباب الأول ، أطلقت عليه " سهيل ادريس " لأنه يمثل عماد هذه الدراسة فجعلته في فصلين ؟ :

تناولت في الفصل الأول ؟ "مناشط حياته" منذ ولادته عام ١٩٢٥م حتى نهاية عام ١٩٧٥م ، حيث تحدثت عن مولده ، ونشأته ، ودراسته ، وجعلت دراسته على مرحلتين : مرحلة قبل سفره الى لبنان ، والمرحلة الثانية ، بعد عودته من فرنسا ، وتكلمت عن فترتي عمله : قبل سفره ، وبعد سفره . وتحدثت في هذا الفصل ايضا عن آثاره الأدبية وعقيدته الفكرية والسياسية حديثا مبدئيا لعودتنا الى جميع هذه الأمور بالتحليل والدراسة في الأبواب التالية ، ولكنني أسهبت - نوعا ما - في شرح الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في لبنان ، لما لهذه القضايا من أثر على سهيل ادريس .

وفي الفصل الثاني : تناولت آفاق عصره في بيئتيه : لبنان وفرنسا ، خلال

الأربعينات والخمسينات ، وركزت على النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعوامل المحركة لها ، وأثرها عليه ، وبينت الى أي مدى استجاب أو رفض هذه الأمور ، واستطاع أن يعكسها من خلال كتاباته .

ومن خلال هذا الباب ككل وصلنا الى نتيجة معينة ، نرى من خلالها مدى تأثير الحياة التي عاشها سهيل ادريس في لبنان وفي فرنسا ، في بناء ذاته من جهة ، وفي بناء معطياته الأدبية من جهة ثانية .

والباب الثاني ، أطلقنا عليه عنواناً هو : القصة ، اطارا ، وتخطيطا ، لارتباطنا بالتحدث عن قصص سهيل ادريس ، وجعلناه في مدخل ، وفصلين ، وخاتمة .

حددنا في المدخل مفهوم القصة ومعناها ، ومهدنا عبر هذا المدخل الى موضوع بحثنا ، عبر فصلين :

تناولنا في الفصل الأول ، القصة في اللغة والاصطلاح والتاريخ ، حيث حاولنا تتبع الأصول التاريخية والفنية التي أوصلت القصة الى ماهي عليه الآن ، بعد أن كانت فنا مهملا غير ذي شأن ، وقد حاولنا بقدر الامكان أن نوجز هذه الأصول حتى تصبح دراستنا واضحة الدلالة .

وتناولنا في الفصل الثاني : فن القصة ، ولم نهمل تحديد كلمة "الفن" في اللغة وفي الاصطلاح ، كما لم نهمل الحديث عن عناصر القصة الفنية التي - من خلالها - نصدر أحكامنا على أعمال سهيل ادريس القصصية والروائية .

ثم ختمنا هذا الباب بخاتمة ، بعد أن أشرنا الى مصادرنا ومراجعنا الرئيسية التي ساعدتنا في تكوين هذا البحث .

والباب الثالث ، سميناه : أعمال سهيل ادريس ، تناولناه في مدخل وفصلين وخاتمة .

وهذا الباب يعتبر الركن الرئيسي في عمارة هذه الدراسة ، حيث بسطنا أعمال سهيل ادريس تحليلا ونقدا . ووضعنا بالتحليل خلاصة موضوعاتها أمام القارئ ليرى حركة سهيل ادريس الفكرية في حوالي ربع قرن ، ثم ألفتنا بالنقد الى قيمتها الفنية والاجتماعية ، وبالتالي أظهرنا دور الثقافة والفن في بناء الانسان ، فردا وجماعة .

وحاولنا في هذا الباب دراسة أعمال سهيل ادريس تعبيرا عن تأثراته وموهبته ثم الاشارة الى مشاركته في الأدب الحديث بأوجه نشاطه المختلفة التي منها أعماله . وفي أعماله ركزنا على النتاج القصصي ، والروائي ، وميزنا بينهما .

في أعماله القصصية ، درسنا صور الاسلوب توصلا الى المعاني المتأثرة بالواقعية: واقع الكاتب الفردي ، وواقع الأمة القومي ، ورأينا أن القصص القصيرة ، عند سهيل ادريس لاتعدو وقائع هذين الواقعين ، كيفما جاء لون المعالجة .

جعلنا الفصل الأول ، يتناول أقاصيص سهيل ادريس ، في أربعة مباحث ، حللنا في كل مبحث قصة قصيرة ، وهي على التوالي : العراء — القراءة في العيون المغمضة — أشواق — ، وقصة رحماك يادمشق .

وجعلنا الفصل الثاني ، يتناول روايات سهيل ادريس ، في اربعة مباحث أيضا جعلنا كل مبحث لرواية واحدة من رواياته الثلاث ، أما المبحث الرابع ، فخصصناه لهذه الروايات الثلاث في مرايا النقاد ، حيث استعرضنا بعض الأقوال التي قيلت في هذه الأعمال ، وتناولناها بالتحليل والنقد .

وحددنا في الخاتمة قيمة هذا البحث ، وإطاره وأبعاده ، وانتقلنا بوساطته الى الباب الرابع .

والباب الرابع ، جعلناه مختصاً بنشاطات سهيل ادريس المشتركة ، في تمهيد وثلاثة فصول .

تناولنا في الفصل الأول ، "مجلة الآداب" بعد أن تناولنا الصحافة الأدبية في العالم العربي ، وأظهرنا مالهذه المجلة من أثر في نقل الكلمة العربية الى أصحابها المتعطشين لقراءتها ، بما تحمله من كل شيء جديد في الأدب ، والسياسة ، والفلسفة والاجتماع ، سواء هذا الجديد كان مترجما عن اللغات الأجنبية ، أو ابداعا أنتجته العقول العربية . كما أظهرنا أن هذه المجلة ماهي الا جسرا ، يستطيع القارىء العربي أن يعبر من خلاله منافذ الثقافات الأجنبية والعربية التي تخدم القضايا الثقافية والاجتماعية والسياسية والقومية .

وفي الفصل الثاني ، تناولنا أعمال سهيل ادريس اللغوية ، التي يمثلها قاموسه "المنهل" عربي / افرنسي ، بالمشاركة مع الدكتور جبور عبد النور ، وأظهرنا فائدته اللغوية لقرّاء العربية والباحثين عن معاني الألفاظ الفرنسية في مجال اختصاصاتهم

وفي الفصل الثالث ، تناولنا اتحاد الكتاب اللبناني ، من خلال قانونه الأساسي ونظامه الداخلي ، كما تناولنا علاقته بمؤتمر الأدباء العرب ، والتزامه بحرية الفكر العربي ، والقضايا المصيرية .

وساعدني بناء هذه الدراسة ، ومعاناته الطويلة تغييراً وتعديلاً وحذفاً وزيادة على كشف النتائج التالية ؟

١ — النتائج الذاتية ، ففهمي للنصوص في آخر المطاف يختلف عن فهمي لها في النهاية .

٢ — النتائج الغيرية ، وأعني أن سهيل ادريس ، دعا الى أمر لم يستطعه عندما عاد الى بلاده ، لكنه على كل حال ، حرّك في نفوس قرائه أفكارا ..

وهذان النوعان من النتائج الذاتية والغيرية ، طرحا عليّ أسئلة تحتاج أجوبة أحاولها في المستقبل إن شاء الله .

فأعرف أنّ كل كاتب يستطيع تحسين أداته في الفهم ، لذلك أحاول دائما أستكشف الجديد فيما أعرفه وفيما لا أعرفه .

وسأحاول دراسة مجتمع الانسان في الأدب ، لكي أتوصّل الى المفاتيح التي تُفتح بها أبواب الامكانيات ، أعني بالامكانيات ، التحول من المعرفة النظرية الى الحياة التطبيقية العملية .

إن عملي هذا لم يكن قادراً على استيعاب كل ما أتى به سهيل ادريس من تجديد حيث باستطاعة الباحث — أي باحث — أن يجد الكثير الذي يحتاج الى تحقيق . فهناك المرأة ، وهناك القضايا الوطنية ، والسياسية ، كلها تحتاج الى دراسة وتحقيق من خلال أعمال سهيل ادريس ودوره في الأدب العربي الحديث .

وأخيرا ، عبر ما توصلت اليه ، وعبر ما أنتظر التوصل اليه لا يسعني الا أن أشكر الذين ساعدوني على بلوغ ما بلغته من جهة ، وحفزوا همتي لادراك ما أتوق اليه من كمال بالمعرفة والحياة ، وأخص من بين هؤلاء الأخ الدكتور أسعد علي ، الذي أشرف على هذه الدراسة ، وكان لي بمثابة الأخ والصديق ، استطعت من خلال نصائحه وارشاداته القيمة أن أهدم ، من أمامي ، الحاجز الكبير الذى يقف عنيدا بين الأستاذ والطالب .

وأشكر الأخ الدكتور سهيل ادريس ، الذي قدم لي جميع كتبه المتوفرة عنده ، ووعد بتقديم كل مساعدة أحتاج اليها .

وأشكر الأخ الدكتور محمد حسن عبدالله ، الذى ساهم في توجيهي الوجهة المنهجية السليمة التي أفادتني في بداية عملي في هذه الدراسة .

وأشكر رؤسائي في وزارة المواصلات بالكويت ، من معالي الوزير ، الى وكيل الوزارة ، الى مدير الشؤون الادارية ، الذين شجعوني على متابعة مسيرتي هذه وكلي أمل في أن تظل همتي قادرة على متابعة المسيرة ، لعلني أستطيع أن أقوم

بدوري في الحياة بطريقة مفيدة وكريمة .

ولا يسعني الا أن أشكر الأخ فاروق ، أمين مكتبة حولى بالكويت ورفاقه على ما قدموه لي من التسهيلات بالحصول على المصادر والمراجع التي أفادتني في بناء هذه الدراسة .

ولا أنسى أن أشكر زوجتي ، التي عملت كل جهدها من أجل تأمين الظروف المناسبة التي ساعدت في إنجاز هذه الدراسة ولو على حساب راحتها .

قالى الجميع ، كل باسمه له مني أسمى آيات الشكر والامتنان ..

الباب الأول

سهيل ادريس

تمهيد

١ ـ الفصل الأول : مناشط حياته (١٩٢٥ ـ ١٩٧٥م)

٢ ـ الفصل الثاني : آفاق عصره في بيئتيه لبنان وفرنسا

خاتمة

الفصل الأول

مناشط حياته (١٩٢٥ـ١٩٧٥)

١ ـ مولده ونشأته

٢ ـ دراسته

٣ ـ المرحلة الاولى من عطه

٤ ـ دراسته العليا

٥ ـ المرحلة الثانية من عطه

٦ ـ آثاره الادبية .

٧ ـ عقيدته الفكرية والسياسية

الباب الأول

سهيل ادريس

المدخل :

لماذا كان " سهيل ادريس " موضوع هذا الباب ؟

قد يرى الكثيرون أن " الأموات " أحقّ من الأحياء بالدراسة والتقويم ، لأن في دراسة تراثهم احياء وتحديثا لهم . أما الأحياء - وكل حيّ قابل للتغيّر ، والتعديل في مفاهيمه ومواقفه - فلا نستطيع دراستهم ودراسة تراثهم بشكل يمكننا من اصدار الأحكام ، التي تعطي صورة " واضحة " عن قيمهم الأدبية ، ومسالكهم الأخلاقية ، وطرقهم الفنية التي يدينون بها ، وتمثل مايدين به أبناء جيلهم ، الذى يؤثّر فيهم من جهة ، ويتأثر بهم من جهة ثانية .

من أجل هذا ، وضعت لنفسي منهجا خاصا ، الزمني أن أتناول " سهيل ادريس " قصاصا وصحفيا ، أعرض من خلال منهجه ، الذى التزمه في عطائه القصصي ، والأبعاد الفنية والاجتماعية والثقافية التي التزم بها أوعارضها عند غيره من كتاب القصة الذين عاصروه أو سبقوه .. كما أشرت الى الأثر الواضح في كتاباته لما كان يعانيه أبناء الشعب من مشكلات مختلفة عبر نصف قرن من الزمن .

وسهيل ادريس ، قصّاص وصحفي ، هل استطاع أن يوفّق بين الصحافة وكتابة القصة ، سواء كانت قصة قصيرة أو رواية خلال الفترة الزمنية التي بدأ الكتابة فيها ؟ إن دراستنا لأعماله القصصية تجيب على هذا السؤال ، ولكن أحكامنا على تراثه القصصي غير مرتبطة بما قد يكتبه هذا القاصّ فيما بعد هذه الدراسة ، لأن طبيعة الانسان الحي أن يتقدم أو يتأخر فيما قد يكتبه ، أويقدمه من عطاء ، وذاك متروك لأحكام أخرى وأن كان لها جذورها العميقة في هذه الدراسة .

ولكن ، ماهي المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في انشاء هذا الباب ؟ ان المصادر والمراجع التي اعتمدناها نوعان : نوع مطبوع ، وآخر مسموع . فالمطبوع : مجموعات سهيل ادريس القصصية (١) وروايته الطويلة (٢) ، ومجلة الآداب (٣) .

---

(١) - ست مجموعات قصصية : (أشواق ، ونيران وثلوج ، وكلهن نساء ، والدمع المر ورحماك يادمشق ، والعراء) .

(٢) - ثلاث روايات طويلة : (الحي اللاتيني ، والخندق الغميق ، وأصابعنا التي تحترق) ،

(٣) - مجلة الآداب ، صدرت سنة ١٩٥٣م ولا تزال مستمرة حتى الآن .

والمسموع : ماحصلنا عليه من مقابلة سهيل إدريس(١) ومقابلة معارفه .

وتمشياً مع هذه المصادر والمراجع ، جعلت هذا الباب في فصلين وخاتمة .

في الفصل الأول : تناولت " مناشط حياته " وأشرت إلى الأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية منذ ولادته عام ١٩٢٥ حتى نهاية عام ١٩٧٥ م لارتباط هذا البحث بهذه الفترة الزمنية ، وحاولت — قدر الامكان — محاولة جادة أن اعطي فكرة عامة عن ملامح حياته المختلفة من خلال رواياته ، بالاضافة الى ما حصلت عليه من معلومات شفهية من مصادرها الاصلية .

وتناولت في هذا الفصل أيضا : مولده ، ونشأته ، ودراسته ، وقسمت دراسته على مرحلتين : المرحلة الاولى : الفترة التي قضاها في لبنان قبل سفره الى فرنسا ، والمرحلة الثانية الفترة التي قضاها في فرنسا . كما قسمت عمله الى مرحلتين : مرحلة عمله في لبنان قبل سفره الى فرنسا ، والمرحلة الثانية : بعد عودته من فرنسا ، كما تناولت آثاره الأدبية والفنية ، وعقيدته الفكرية والسياسية تناولا مبدئيا لعودتنا إلى كل هذه الأمور بالتحليل والدراسة في الأبواب التالية .

وفي الفصل الثاني : تناولت آثار عصره في بيئتيه: لبنان وفرنسا خلال الأربعينات والخمسينات ، وركزت على النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، والعوامل المحركة لها ، وأثرها عليه ، قالى أى مدى استجاب إلى هذه الأمور ، واستطاع ان يعكسها من خلال كتاباته ؟؟

ومن خلال هذا الباب ككل نصل إلى نتيجة معينة ، نرى من خلالها مدى تأثير الحياة التي عاشها سهيل ادريس في لبنان وفي فرنسا ، في بناء ذاته من جهة ، وفي بناء معطياته الأدبية من جهة ثانية .

---

١ — مقابلة أجريتها معه يوم ١٩٧٥/١/٧ م في " دار الآداب " الساعة التاسعة صباحا — ببيروت

١ــ مولـده ونشـأته :

سهيل ادريس ، كاتب لبناني ، من مواليد بيروت سنة ١٩٢٥م[١] من أب هـو " شريف ادريس " يقال أنه مغربي الأجداد ، وأم هي " سهيلة غندور " من أسرة بيروتية عريقة .

كان والده " شريف ادريس " رجل دين ، وامام مسجد ، الى جانب امتهانه التجارة التـي نجح فيها خلال فترة شبابه ، ولكنه أخفق حين تجاوز الخمسين من العمر ، فعمل معاونا في بعض المتاجر البيروتية .

ورغم ماوصلت اليه حالته الاقتصادية ، فقد حافظ على بقاء " حلقات الذكر " تعقد في بيته كـل ليلة جمعة ، كما حافظ على استمرار دعواته لجماعته مرة كل شهر لتناول الطعام على مائدته ، مـع أن عمله في المسجد لم يدخل عليه مساعدة مالية[٢] .

كل هذه الأمور حدثت وسهيل ادريس ، الطفل يراقبها ، ويتمنى أن يكون عضوا في جماعة والده ، لما كانوا يتمتعون به من احترام الآخرين . ولكن ، هل استطاع هذا الطفل أن يفرض عضويته على هذه الجماعة ؟ وماهي الأسباب التي ساعدت طفلا مثله أن يصل الى ماتصبوا اليه نفسه؟ هذا ما سنصـل اليه من خلال كتاباته ، التي لنا حديث طويل معها ، حيث استطاع سهيل ادريس ان يصف طفولته من خلال بطل رواياته " سامي " وخصوصا " الخندق الغميق " نسبة الى الحي الذى كان مرتعا لأبطال هذه الرواية في بيروت .

---

(١) ــ جاء في دائرة المعارف الكبرى " لاروس " طباعة باريس ١٩٦٨ ص ٤٧١ ، أن سهيل ادريـس من مواليد سنة ١٩٢٣ . وفي سن العاشرة دخل المعهد الديني الذى تخرج منه بلقب الشيخ سهيل ادريس ، ولكنه لم يتأخر بخلع " العمامة والجبة " ليعمل في الصحافة والأدب ، وبعد أن حضر رسالة الدكتوراه عن الرواية العربية المعاصرة (١٩٤٩ ــ ١٩٥٢) عاد بعدها الى بيروت ليؤسس مجلة الآداب سنة ١٩٥٣ . ومنذ ذلك الوقت بدأ يتابع نشاطه المحرك في الحيـــاة الأدبية ، وكمترجم نقل الى العربية " دروب الحرية " لسارتر وفي الوقت نفسه نشر مجموعة قصصه " أشواق " سنة ١٩٤٧ و " نيران وثلوج " سنة ١٩٤٨ و " الدمع المر " سنة ١٩٥٧ ورواية " الحي اللاتيني " سنة ١٩٥٧ ورواية " أصابعنا التي تحترق سنة ١٩٦٢م .

× ــ سهيل ادريس من مواليد ١٩٢٥ وليس من مواليد ١٩٢٣ ، وما ظهر من خلاف ناتج عن اضطراره الى زيادة عمره بغية السفر الى فرنسا للدراسة ، حيث منع من السفـــر لصغر سنه .

ورسالة سهيل ادريس كانت ١٩٥٢ ، أما ماذكر في دائرة المعارف الكبرى "١٩٤٩ــ١٩٥٢" المقصود اقامته في فرنسا . هذا ماقاله لي شخصيا في مقابلة شخصية معه يوم ٧/ ١/ ١٩٧٥ فـي دار الآداب ببيروت الساعة التاسعة صباحا .

(٢) هذه الترجمة حصلت عليها من سهيل ادريس نفســه .

إن دخـــول ســـهيل ادريـــس المعهد الديني لم يكن وليد صدفـــة ، او عملا ارتجاليا ، بل ســـبقت ذلك مقدمات دفعتـــه الى الانتماء الى هذا المسلك الديني الذى انفرد به دون بقية افراد عائلتـــه ..

ومن هذه المقدمات :

١ — مشاركاتـه في "حلقات الذكـــر " التي كانت تقام في بيت والده كل ليلة جمعـــة ، حيث قـــدم الرجل نســـخة من كتاب " دلائل الخيـرات "وقال له . حاول ان تقرأ منها "(١)

٢ — فاجأه والده يوما في غرفتـــه يترنم ببعض كلمات من " دلائل الخيرات " فأقبل عليه مندهشـا ، يقول له : — " ان لك صوتا جميلا يا هنيت "(٢) وقدم لـــه صحفا مذهب الحواشي ، وشـجعـه على الاســتمرار بهذه المحاولـــة .

٣ — وكان لهـــم قريب ثرى يفاجئ الجماعة بحضـــوره بين حين وآخـــر ، فيشاركهم تلاوة القرآن والسيرة واقامة " الذكر " طلب منه أن يحفظ اربعين حديثا ، هي الاحاديث التي جمعها النووى ، ووعده بحفلة حافلـة ، بهدية ثمينة لم يفصح عنها .(٣)

٤ — وثمـة دافع آخر كان يشـــده الى دراســة الدين وهو ، القول المأثور : " العمامة تاج العرب "(٤) ما كانت تدرّه هذه " العمامة " على صاحبها من احترام وتقدير ، وخصوصا في زمن تســيطر عليه الافكار الدينية، والتقاليد التي تدور بفلكها ..

اختـــار ســـهيل ادريـــس دراســـة الدين اختيارا ، وان كان هناك نوع من التوجيه المقصـــود حركه والده، ليجعلـه خليفتـه من بعـــده .

ولكـــن ، ماكان موقـــف ســـهيل ادريـــس من المعهد الديني الذى عايشـــه فترة اعوام اربعـــة؟ وما كان موقفـــه من مدرســي هذا المعهد بعد ان انخرط بين تلاميذه ؟ هل بقيت الرغبة الشديدة عنده ام نـــدم على اندفاعه — الذى فرض عليه الاقامة في المعهد من عام ١٩٣٦ حتى تخرجـه عام ١٩٤٠ —(٥) رغم نصيحـة والدتـه ، التي حاولت ان تثنيـــه عن عزمـه ، وتخوفه انه قد لا يحتمـل الحياة الدينية ، وهو بعد في تلـــك الســـن .(٦)

بالعودة الى رواية "الخندق الغميق " نستطيع ان نتلمس رأيـه الصريح فيما وصلت اليه حالتـــه النفســـية والصحية من هذا المعهد ، وخصوصا بعد ان اصبح يقضي معظم أوقات فراغـه في المكتبة التي كانـــت تعدها مئات الكتب ، عربية واجنبية .. وكان على ثقـة من ان هذه المكتبة ســتشقفه اكثر مما ســيثقفه المعلمون

— الخندق الغميق ص ٨

— المصدر نفســـه ص ٩

— المصدر نفســـه ص ١٠

— المصدر نفســـه ص ٢٠

— نشرة خاصة مطبوعة حصلت عليها من دار الآداب ، من اربع صفحات .

— الخندق الغميق ص ١٩

كما اخذ تعلقه بالكتاب الذى كان يختاره هو نفسه يشتد ويعمق بقدر ما بدأ يمل الكتاب الذى كانوا يختارونه له للدرس، كان يشعر بان هذا الكتاب نفسه قد مات مع صاحبه ، وعبثا يحاول اساتذة المعهد ان يبعثوه في نفوس الطلاب .(١)

من هنا نلمح ثورته على نظم التعليم التقليدية ، التي كانت تفرض عليه دراسة الدين بصورة تقليدية ، بعيدة عن روح البحث العلمي التي تتقصّي الاشياء ، وتجعلها وسيلة تثقيف وحضارة .

واذا تركنا مبحث الدراسة الدينية ، والقينا ضوءا على الدراسة الادبية ، التي كانت قائمة في المعهد الديني ، وجدنا ان ازمة عدم وجود المدرس المتخصص كانت قائمة في لبنان ، وخصوصا المدرس الذى يتقن دراسة الادب ، بدليل : ان وجود مدرس لهذه المادة كان غير متوفر في لبنان حيث ظل الطلاب في المعهد ينتظرون مدرس الادب العربي اسابيع طويلة ، والناظر يمدهم بقدومه عما قريب من دمشق ، وكان قد مضى زهاء شهرين على بدء الدروس عندما وصل مدرس الادب العربي(٢) ولكنه فشل في تأدية رسالته ، لانه لم يكن مختصا بدراسة الادب بل كان مختصا " بصناعة النجارة " حيث اتى من يكشف للطلاب بعد ايام ان مدرسهم لم يكن الا نجارا في دمشق . وجاء صداقا لذلك ، نزوله يوما الى قاعة الصف وهو ينتعل "القبقاب "(٣) الامر الذى دفع سهيل ادريس الى التعمق في دراسة الادب ، والنظر اليه نظرة موضوعية حتى يشبع هذه الرغبة الملحة في نفسه ، وكان مدرسها يأتي به من دمشق ، ويكون متطفلا على هذه الدراسة ،

ربما يكون في لبنان — الاسبق الى الحضارة الغربية والثقافة — مدرس ادب ، ولكنه غير مسلم ، وغير المسلم لا يحق له ان يكون مدرسا داخل معهد دين اسلامي ، الامر الذى يؤكد ان المسلمين في لبنان ، كانوا يتجهون اتجاه دينيا لا ادبيا في تلك الفترة الزمنية ، حتى اضطرت ادارة المعهد الى استحضار استاذ آخر من دمشق ايضا ، ولكنه في هذه المرة كان يتذوق الكلمة والصورة والفكرة ، ويملك طاقة مجيبة على ان يحبب الطلاب جميعا بها ، فلم يمض وقت قصير حتى اصبح الدرس الادبي اثر درس اليهم ، واحبه الى نفوسهم . وكانت دروس هذا المدرس الجديد هي التي غذت روح سهيل ادريس بالموهبة الادبية ، ورسمت له طريق مستقبله(٤).

اذا ، فحب سهيل ادريس للادب كان له اساس عميق في طفولته ، استقاه من المعهد الديني ، الذى يطفيه طفولته ، وكاد ان يصقله لولا انه تدارك الامر ، وعرف كيف يتخطى هذا الصراع الذى فرضه على نفسه اول الامر ، والزمه فيه والده بعد ذلك ، ففرق في الكتابة واتسع افق مدلولاته ،

كان نفوره من الدراسة المفروضة عليه يشتد ما اشتد ميله الى المطالعة الحرة(٥) اذا ، فمنطق الخلاص من هذه الحياة المفروضة عليه هو نجاحه في الشهادة الحكومية ، التي ستشق امامه افقا جديدا ، اما اذا فشل ، فان هذه الجهة ، وهذه الصمة ستلازمانه . فانكب على الدراسة العلمية بتواصل نشيط ، حتى بلغ النجاح مؤكدا ، ففي نجاحه ترك " هذا التاج " الذى يقلق راحته ويضيق عليه موضع تفكيره .

---

١ — الخندق الغميق ص ٣٩ و ٤٠
٢ — المصدر نفسه ص ٤٢
٣ — المصدر نفسه ص ٤٣
٤ — المصدر نفسه ص ٤٤ و ٤٥
٥ — المصدر نفسه ص ٩٥

٢ — دراسته :

تلقى سهيل ادريس دراسته الابتدائية في كلية المقاصد الاسلامية ببيروت التي كان مديرها عبد الله المشنوق .

وفي عام ١٩٣٦، اختاره الاستاذ المشنوق ، مع خمسة من طلاب المقاصد ليلتحق بمعهد ديني كان مفتي الجمهورية " الشيخ خالد " قد اسسه في بيروت باسم " كلية فاروق الشرعية " كان ينفق عليه اولا الملك فاروق ثم تغير اسم المعهد بعد خلع الملك المصري .

واصبح سهيل " شيخا " في المعهد الديني ، وارتدى الزي الديني : الجبة والعمامة ، طوال خمسة اعوام . ولكنه تخلى عن زيه الديني بعد تخرجه عام ١٩٤٠ ، بدافع ثورته على هذه الدراسة استجابة لنداء داخلي جعله يشعر بالحرج امام اصدقائه وابناء حيه بهذه الجبة والعمامة التي ابعدت عنه متع الحياة التي كان يتوق اليها كغيره من الشباب المراهقين وهو لا يزال صغيرا ، حتى بات ينظر الى " الجبة والعمامة " بالكره و النفور ، كما يكره نداءات الآخرين : ياشيخ سامي ، ولكنه استطاع ان يخلع زيه الديني ، رغم معارضة والده القاسية ، ورغم محاولاته العديدة . ان هذه الجبة والعمامة تثقل على رأسه ، وتنفر منه اصحابه وخصوصا عندما تحرك قلبه لاول مرة — بالحب ، الذي وجده في " سمية " ، جارته " التي باتت كل املـه ، ويرى في حبها ابعادا لمستقبل افضل .

نال شهادة البكالوريا عام ١٩٤١ ، وشهادة الفلسفة ، القسم الثاني من البكالوريا عام ١٩٤٢ ، اي بعد ان ترك " الجبة والعمامة " مباشرة ، لاعتقاده ان المستقبل مرتبط بالشهادات العلمية ، لا بالدراسة التقليدية التي تعود عليها الناس في الجوامع والمعاهد الدينية ولعل دراسته اللغة الفرنسية منذ صغره هي التي شدته الى اتخاذ موقفه من الدراسة الدينية بلا تردد ، ووسعت آفاقه نحو آداب الغرب ، وثوراتهم الثقافية ، الامر الذي دفعه الى الالتحاق عام ١٩٤٢ بمعهد الحقوق الفرنسي ببيروت والتابع للجامعة اليسوعية ، ولكن وضع اسرته المادي المتدهور اضطره الى العمل ليساعد في اعالتها ، حيث ابتدأت مسؤوليته ، وقوى شعور الاحساس تجاه هذه المسؤولية ، التي خلقت منه مفكرا منذ صغره ، فاخفق في الامتحان الشفهي بالسنة الاولى بمعهد الحقوق بالرغم من نجاحه في الامتحان التحريري . وقد يكون سقوطه مبالغا فيه ، لان الاوضاع الثقافية في تلك السنوات لم تكن تسمح لشاب مسلم من الطبقة الوسطى ان يكون من الناجحين في معهد الحقوق التي اوجدته فرنسا لغاية سياسية ، تدور في فلك الطائفية . واعاد السنة الاولى ، ولكنه لم ينجح ايضا للاسباب ذاتها .

٣ — المرحلة الاولى من عمله

بدأ سهيل ادريس العمل محررا في جريدة " بيروت " لصاحبها محي الدين النصولي ، وفي " بيروت المساء " الاسبوعية ، لصاحبها عبد الله المشنوق ، ثم عمل بالاضافة الى نطك محررا في " الصياد " لصاحبها سعيد فريحه . وعمل فترة قصيرة في " الجديد " حيث كان صاحبها توفيق عواد .

---

١ — للعودة الى صفحات رواية " الخندق الغميق " ٢٦ و٢٧ و٢٨ و٢٩ و ٣٠ و٣١ نجد العلاقة ظاهرة بين سهيل ادريس وسامي بطل الخندق الغميق ، والذي يؤكد ان سامي هو سهيل ادريس نفسه .

ظل من سنة ١٩٤٣ — ١٩٤٩ يعمل في الصحافة ، لانه يحبها ، ويؤمن برسالتها ، ويتمنى يوما ان يكون صاحب صحيفة يؤدي فيها ما يفيدا لمني قومه ، ولهذا يقول : " تساورني رغبة شديدة في ان اسافر الى فرنسا لدراسة الصحافة في العام القادم "(١) ولكنه عمل في الصحافة قبل دراستها فتبلور اتجاهه الادبي بكتابة الدراسات النقدية والاقاصيص والترجمة عن اللغة الفرنسية . وسنناقش هذا الموضوع في الفصول التالية .

كان اول عمل صحفي لسهيل ادريس عام ١٩٤٩ دراسة عن " رسالة الغفران " للمعري ، نشرها في مجلة " المكشوف " لصاحبها فؤاد حبيش . ثم اخذ ينشر في " الآمالي " و " الاديب " اللبنانيتين و " الرسالة " المصرية و " الصباح " و " النقاد " السوريتين "(٢)

٤ — دراسته العليا

في عام ١٩٤٩ ، استقال من الصحف التي كان يعمل بها ، وسافر الى فرنسا ليستأنف تحصيله العالي بعد ان استحصل على منحتين دراسيتين من وزارة التربية اللبنانية ، وجمعية المقاصد الاسلامية في باريس، التحق " بالمعهد الصحافي العالي " و " بجامعة باريس " حيث حصل على معادلة لثلاث دبلومات نالها من معهد " الاداب الشرقية " ببيروت ، واعتبرت مؤلفاته الاولى بمثابة دبلوم رابع بحيث سمح له بالاعداد .. دكتوراه جامعية " في الآداب بالسوربون .

حصل عام ١٩٥١ على دبلوم " معهد الصحافة العالي " بباريس، وعام ١٩٥٢ على شهادة — الدكتوراه بالآداب " دكتوراه جامعية " وكان موضوع اطروحته " القصة العربية الحديثة والتأثيرات الاجنبية من عام ١٩٠٠ الى عام ١٩٥٠ وكان مقرر الاطروحة المستشرق رجيس بلاشير ، وعضو لجنة التحكيم السيد ديديان، استاذ الادب المقارن في السوربون ، والاستاذ " مورو " استاذ الادب الحديث . — وسنتناول حياته في فرنسا في الفصل الثاني .

٥ — المرحلة الثانية من حياته :

بعد عودته من فرنسا الى بيروت عام ١٩٥٣ ، عين استاذ الأدب العربي الحديث " بالجامعة اللبنانية "التي كان رئيسها الدكتور " خليل الجسر " كما عين استاذا للترجمة والتعريب والنقد في كلية المقاصد الاسلامية ببيروت .

وانشأ عام ١٩٥٣ " مجلة الآداب " بالاشتراك مع " بهيج عثمان " ومنير البعلبكي " صاحبي " دار العلم للملايين " ، ولكنه في عام ١٩٥٦ استقل بالمجلة من شريكيه فيها ، وسنتكلم عن هذه المجلة في الباب الخامس . الفصل الاول .

وفي عام ١٩٥٥ اسس " مع رشيف خوري " و " حسين مروه " جمعية " القلم المستقل "

وفي عام ١٩٥٦ ، بدأ سهيل ادريس يدرس اللغة العربية الحديثة بمعهد بكفيا التابع للحكومة الفرنسية والذي كان يديره المستشرق " جاك بوك " وقد وجد في هذا المعهد ان عمله كان عملا مزدوجا : هو تدريس اللغة العربية ، ومحاولة حمل هؤلاء الاجانب ان يتفهموا قضايا الامة العربية بمعزل عن كل تأثير او حكم مسبق ، وهو على يقين من انهم سيحمدونه بعد ذلك جدير بالصداقة والحب(٣)

---

١ — الخندق الغميق ص ١٦٠

٢ — نشرة خاصة من دار الآداب مؤلفة من اربع
٣ — اصابعها التي تحترق ص ١٥٩

٦ — معجم " المنهل " فرنسي / عربي بالاشتراك مع الدكتور " جبور عبد النور " في ثلاثة أحجام .

٧ — كتب مترجمة عن الفرنسية " ترجم سهيل ادريس مايزيد عن عشرين كتابا بين دراسة ورواية وقصة ، ومسرحية اهمها :

١ — "دروب الحرية " في ثلاثة اجزاء لسارتر

٢ — " الغثيان " لسارتر

٣ — " سيرتي الذاتية " لسارتر

٤ — " الطاعون " لألبير كامو

٥ — " هيروشيما حبيبتي " لمارغريت دورا

— عقيدته الفكرية والسياسية :

اذا قرأنا الكلمة الاولى التي كتبها سهيل ادريس في اول عدد من "مجلة الآداب " تحت عنوان : " رسالة الآداب " التي يقول فيها : " فان الادب الذى تدعو اليه المجلة وتشجعه هو ادب " الالتزام "الذى ينبع من المجتمع العربي الذى يصب فيه . "

" والمجلة لن تدعو الى هذا الادب الفعال ، تحمل رسالة قومية مثلى ، فتلك الفئة الواعية من الادباء الذين يستوحون ادبهم من مجتمعهم يستطيعون على الايام ان يخلقوا جيلا واعيا من القراء يتحسسون بدورهم واقع مجتمعهم ، ويكوّنون نواة الوطنيين الصالحين . وهكذا تشارك المجلة بواسطة كتابها وقرائها ، في العمل القومي العظيم الذى هو الواجب الاكبر على كل وطني ".(١)

واذا رجعنا الى مناخ الخمسينات الذى صدرت فيه " مجلة الآداب " رأينا الاوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية التي كانت تعاني منها البلاد .(٢)

واذا حاولنا ان نتقصى الحقائق من اعداد مجلة الآداب التي تحمل المقالات السياسية ، التي نستخلص منها عدد نجد ان موقف سهيل ادريس قومي النزعة والاسلوب وايمانه " ان القومية العربية حقيقة راسخة من اعماق الذات العربية ، ومن تفكير كل عربي وشعوره ايضا اينما كان منزله ، وهي تعبير عن شخصية الامة العربية في امانيها وحاجاتها ومصالحها ، وما هو قائم بين ابناء العروبة من اواصر التاريخ والوطن والتراث الثقافي واللغة الواحدة ، والمصير المشترك ، كما انها اعراب عن عزم نضالي من اجل حرية الامة العربية ووحدتها لتستطيع ان تسهم اسهاما فعالا في بناء عالم متحرر من آفات الاستعمار ، وماثم العدوان ، ونزوات الطغيان ، وفي حماية الحضارة الانسانية وتنميتها ".(٣)

واذا حاولنا ان نحلل توصيات المؤتمر الثالث للادباء العرب(٤) الذى تم في القاهرة من ٩ — ١٦ ديسمبر ١٩٥٨ يمكن ان نقف على عقيدة سهيل ادريس الفكرية والسياسية معا ، لان هذه التوصيات التي تتصدر مجلته تؤكد هذه الحقيقة التي يؤمن بها ، ويعمل من اجلها . وليس هذا العدد وحده في مجلة الآداب هو الذى يحمل اتجاهه السياسي والفكرى ، بل نجده يردد هذا الرأى في كل عدد تقريبا (٥)

---

١ — الاداب العدد الاول السنة الاولى ١٩٥٣ ص١

٢ — راجع الباب الخاص الفصل الاول ، مجلة الآداب تحت عنوان مناخ الخمسينات بورد الآداب .

٣ — الاداب العدد الاول من السنة السادسة ص٥ ١٩٥٨

٤ — = = = = = = تحت عنوان " الادب والقومية العربية "

٥ — انظر العدد ٩ — ١٠ للسنة السادسة من ص٢ — ٦ ومن ص ٨١ — ٨٥ لسنة ١٩٥٨ لتقف على رأيه في ثورة لبنان وانتفاضة

الصدق والعفوية مايكنه من ان يتمتم بهذه الكلمة في صلاة وابتهال ؟ (١)

واذا حاولنا ان نتتبع خطوات الفتيات اللواتي صادفهن خلال مرحلة شبابه ، سواء كان ذلك في لبنان اوفي فرنسا ، نجد ان نشأته الدينية ، ومشيخته في طفولته شدته الى الجو الديني الذى نشأ فيه ، لاليعود الى حظيرته الاولى ، بل عاد اليها بطريقة اخرى ، بطريقته اختيار الزوجة ،وهو الذى عاش في فرنسا ، وشارك ابطال " الحي اللاتيني " حياتهم ، ولكن زوجته خلت من البيئة الدينية التي عاشها ، وتمرّس فيها ، الامر الذى يؤكد ارتباطه بالدين رغم خلعه " العباءة والعمة " فالحرية التي عاشها في فرنسا لم تكن قادرة على أن تجعله يختار زوجته من مجموعة الفتيات اللواتي صادفهن ،بل ارتبط بالفتاة التي صدته ، ومنعته ، وحالت بينه وبين نوازعه الانسانيه الا من طريق الدين الذى خلع عنه لباسه .

وفي العام ذاته ، انشأ " دار الآداب " بالاشتراك مع الشاعر " نزار قباني " كانت مفاجأته في شهر العسل لامرأته ، ولجميع من احتفلوا بهما في مصر . كان اعلانه عن إنشاء " دار للنشر " لتدعم المجلة ، لتتم رسالتها على صعيد اوسع وامتع باصدار الآثار القومية والفكرية والادبية التي تنتجها الطليعة الواعية من الادباء ، فقابل الجميع هذا النبأ بالارتياح وبالفرحة العارمة التي اخذت تشع في عيون بعض الشباب تنم عن أملهم في أن يروا انتاجهم منشوراً بين دفتي كتاب (٢)

وعمل عام ١٩٦١ استاذاً للترجمة والتعريب في جامعة بيروت العربية . وفي العام ذاته استقل بدار الآداب ، لاضطرار الشاعر " نزار قباني " الى الانفصال عنه ، بسبب احتجاج وزارة الخارجية السورية على عمله في النشر الى جانب عمله في السلك الدبلوماسي .

وفي عام ١٩٦٨ اسس مع اربعة كتاب لبنانيين " قسطنطين زريق ، جوزيف مغيزل ، منير بعلبكي ، دونيس " اتحاد الكتاب اللبنانيين ، وقد انتخب امينا عاما لهذا الاتحاد ثلاث مرات متواليه .

كان ثمرة زواجه ثلاثة اولاد : ابنتين " رائدة ورنا " ، وصبيا اسمه " .

١ ــ آثاره الادبية :

١ ــ مجلة الآداب (١٩٥٣)

٢ ــ روايات طويلة : (الحي اللاتيني ١٩٥٣ ، الخندق الغميق ١٩٥٨ ، اصابعنا التي تحترق ١٩٦٢،

٣ ــ مجموعات قصصية (اشواق ١٩٤٧ ، نيران وثلوج ١٩٤٨ ، كلهن نساء ١٩٤٩ ، الدمع المر ١٩٥٦ رحماك ياد مشق ١٩٦٥ ، المرأة ١٩٧٣ .

٤ ــ مسرحيات (الشهداء : منشورة في مجموعة رحماك يادمشق ١٩٦٧ وفي مجلة الآداب ع/ س ص ١ ــ ٦ لسنة ١٩٦٠

٥ ــ دراسة (القصة في لبنان " محاضرات " تناول فيها طلائع القصة في لبنان ورواداها ، والقصة اللبنانية المعاصرة .

---

١ ــ اصابعنا التي تحترق ص ١٣٢

٢ ــ المصدر نفسه ص ١٨١

ولكن مدير المعهد اعترض على اسلوبه في شرح قضايا الامة العربية على الطلاب الفرنسيين ، واكد له ان غاية هذا المعهد ماهي الا تلقين مبادئ العربية لموظفين فرنسيين يرشحون للالتحاق بسفارات او قنصليات او بعثات للبلاد العربية ، ولا حاجة به الى الالتزام بالتدليل على اتجاهه الوطني ونزعته القومية (١) .

ولم يتخذ سهيل ادريس موقفا معاديا لمدير المعهد ، لانه يثق به ، ويطمئن الى صدق عاطفته الودية نحو قضايانا العربية ، والا لرفض ملاحظته ولو ادى ذلك الى استقالته أو اقالته من المعهد (٢) .

وزاد تأكيده بالاطمئنان الى عاطفة هذا المدير الودية نحو العرب ، الطالب الجديد الذى قدمه المدير ، ليمتحن معلوماته القليلة في اللغة العربية ، وهو عربي ، من الجزائر " الملازم اول عبد القادر رحماني " الذى استطاع ان يقنع الحكومة الفرنسية بمنحه اجازة من الجيش الفرنسي الذى ينتمي اليه ليجيء الى لبنان ، بعد ان اطلت الثورة الجزائرية .. اكد له يقول : " بوسعك ان تطمئن يا استاذ (...) فلو كانوا يريدونه لغير تدريس اللغة العربية فعلا ، لما وافقوا على قبولي فيه ، وانا بعد ذلك شديد الثقة والاحترام لمديره المستشرق " جاك بيرك " انه من اشد الناس تفهما للقضايا العربية ، وتأييدا لها ، اولو انهم كانوا يريدون المعهد ستارا لغايات اخرى ، لما عينوا هذا الرجل مديرا له (٣)

واستقال سهيل ادريس من المعهد حين حدث العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ ـ احتجاجا على اشتراك فرنسا فيه ، لانه رأى ان مهمته في تدريس اللغة العربية لهؤلاء الطلبة ـ الفرنسيين تهدو تافهة جدا ، ولا قيمة لها على الاطلاق ازاء الجريمة التي ترتكبها فرنسا في اشتراكها بالعدوان الثلاثي على مصر . من اجل ذلك ، لابد له من التخلي عن هذه المهمة وتقديم استقالته رغم حاجته المادية المتدهورة ، التي تتأثر بصادرة مجلته او منعها من دخول العراق ، فتكرار منعها في العراق ، وهو السوق الرئيسية الاولى لرواجها ، سيقربها من اليوم الذى تواجه فيه الاحتجاب (٤) ولكن مدير المعهد كان له رأى مماثل ، فنجاح الفرنسيين وحلفائهم في احتلال مصر والبقاء فيها يكون سببا لاستقالته هو بذاته من منصبه نهائيا .. اما اذا اجبروا على الانسحاب فمن الممكن ان يستأنف المعهد عمله ، وفي هذه الحالة ، يرى ان حاجة المعهد الى عودة سهيل ادريس اشد واملس من ذى قبل ، حتى يشارك في العمل ، لحمل الفرنسيين على فهم الحقيقة العربية الجديدة (٥) .

واذا تركنا الاحداث السياسية ، وعدنا الى علاقات سهيل ادريس الشخصية نجده في سنة ١٩٥٦ يلتقي بزوجته " عايدة مطرجي " بعد قصة حب ناجحة ، استطاعت ان تنتشله من عقد الشرق واستهتار الغرب . ونراه يعترف لاول مرة بصدق امام جبروت الحب القدسي فيقول " اني احبك يا ... " وبعد ان ـ قالها عجب لنطقه ينطق بها ، ولشفتيه تنطقانها . وتساءل في دهشة : هل بقي في قلبه من البراءة

---

١ ـ اصابعنا التي تحترق ص ١٧٠
٢ ـ المصدر نفسه ص ١٧١
٣ ـ المصدر نفسه ص ١٧٢
٤ ـ المصدر نفسه ص ١٠٣
٥ ـ المصدر نفسه ص ٢٦٥

واذا تركنا "مجلة الآداب" واخذنا رواية "اصابعنا التي تحترق"[1] نجده يتناول فيها القضايا السياسية[3] التي يؤمن بها أو يعارضها ، حيث أبدى رأيه في "الحزب الارجواني"[2] و "حزب الهلال" وغيرهما من الاحزاب .

يقول من الارجوانيين : هم "أي الارجوانيون ، ينهشونه في مجلاتهم ، وصحفهم ، في محاضراتهم واجتماعاتهم ، يتهمونه بالبورجوازي ، القذر ، العميل ، عميل استعمار غربي منذ عاد من باريس ، وانشأ مجلته ، عميل للثقافة الفرنسية بوجهها الرجعي .. مأجور للغرب ، ووكيل ثقافة انحلالية وكاتب انحلالي كاتب عدمي ، عدو للقيم البشرية "[4] وقد استمدوا رأيهم هذا من خلال روايته "الحي اللاتيني "[5] .

وكان رأي سهيل ادريس مقابل رأي "الحزب الارجواني" "أنهم يحجرون الفكر ضمن حدود مرسومة ويقيمون دون تخطيها اسوارا منيعة ، ويقطون رجاله أعظم هزيمة للفكر . إن بوسع الانسان أن يحترم نظاما ولكن بوسعه كذلك أن ينتقده ، بل إن حرية الانتقاد هذه هي التي تمكنه من ان يقيم احترامه على قواعد صلبة ، لا على انقيادية عمياء "[6] . ثم يتابع سهيل ادريس القول على لسان صديقه كريم[7] : "فيقول ان الصداقة لا تعني تهمية من تهمية ما لاحد ولا تعني واسطة انتفاع بقة هنا مأمورة بقة هناك ، ومنذ ذلك التاريخ ، اطلق للمرة الاولى حكمه عليهم .... انهم مرشحون ابدا للخيانة ، انهم مستعدون للتخلي عن مصلحتهم القومية اذا تعارضت يوما مع وجهة النظر التي تتخذها عاصمة تلك الدولة الكبيرة . أما كريم ، فقد آثر التخلي عن وجهة نظر تلك العاصمة ، على احترامه لأنه غير مستعد للتخلي عن مصلحته القومية[8] .

إن التجارب القومية تختلف بين شعب و شعب وليس لها قوانين واحدة تضم الناس حولها فلا بد من احترام اختلاف التجارب بين الشعوب الذي هو سمة عامة تميز الامم ، وهو الذي يجمّل النكهة البشرية التي تظل النظريات بدونها تجريدا من التجريد .

وسهيل ادريس يعتقد حقا ان الثقافة "الارجوانية" لا تتمتع بحرية الفكر ، وهذا هو مأخذه الرئيسي عليها ، وكذلك يرى ان الثقافة الغربية قد تحرم أيضا من حرية الفكر ، وتتجه اتجاها يمينيا رجعيا وليس من هم تلك المنظمة[9] اطلاقا ان تفضح هذا الاتجاه المنحرف في الثقافة الغربية ، وهذا يعني أنها مرتبطة بهذه الثقافة ارتباط انحياز . وقد اكتشف أن هذه المنظمة الرئيسية ليست هي للدفاع عن حرية الثقافة اطلاقا بقدر ماهي للهجوم على الثقافة "الارجوانية" وهذا مخالف جدا للمفهوم الذي تتبناه "مجلة الآداب" ذلك المفهوم الذي يعامل مختلف الثقافات الاجنبية على قدم المساواة ، لا ينحاز لاحدها ، ولا يعادي احداها لمصلحة أخرى ، الامر الذي جعله يحس طوال الوقت الذي قضاه في مكتب تلك المنظمة انما يكون قد خان فكره الحر وباع ضميره في المستقبل[10]

---

١ ـ رواية طويلة صدرت سنة ١٩٦٢ ضمنها رأيه السياسي من قضايا الامة العربية
٢ ـ هو الحزب الشيوعي ـ ٣ ـ هو الحزب السوري القومي ـ
٤ ـ اصابعنا التي تحترق ص ٤٦ ـ ٤٧
٥ ـ رواية طويلة صدرت ١٩٥٣ ضمنها حياته ومشاهداته في فرنسا خلال دراسته هناك
٦ ـ اصابعنا التي تحترق ص ٤٧
٧ ـ كريم من ابطال اصابعنا التي تحترق وهو يعارض الارجوانيين
٨ ـ اصابعنا التي تحترق ص ٤٩
٩ ـ مؤسسة ثقافية طلبت منه ان يعمل معها وهي مؤسسة يمينية
١٠ ـ اصابعنا التي تحترق ص ٥٧ .

وتلمس يحدد سهيل ادريس موقفه من " الارجوانيين " يحدد موقفه ايضا من " حزب الهلال " عندما ينصحه وحيد (١) بقراءة مجموعة نشراتهم وكراريسهم ، فاجابه يقول : — " ولكني اعرفها ياوحيد ٠٠ اعرف مافيها ، ثم اني سمعتك تتحدث مطولا في ذلك " ثم يتابع القول في تحديث نفسه : على أن صديقنا وحيد سيصاب بالخيبة ٠٠ انه يغريني بدخول الحزب ، ولكني لن ادخله ، لن ادخل اى حزب ، سواء كنت أويده ام انكره ٠٠ لا ٠٠ ليس ذلك بالموقف المسبق ٠٠ انه مبدأ ضميري ٠٠ ان أي التزام حزبي مهدد لحريتي ، حرية فكري ، وادبي ، وانا أصر على ان أحتفظ بحريتي كاملة . (٢)

نستطيع ان نستخلص رأي سهيل ادريس واضحا في جميع الاحزاب السياسية التي تتقاسم أبناء الشعب الواحد ، فهو يعتبر عضويته في أى حزب ، عملا يتنافى مع ضميره ، وتهديدا لحريته وحرية فكره وأدبه .

ويؤمن سهيل ادريس بالثورات الشعبية التي تعمل على تحقيق خلاص أبنائها من الاستعمار على اختلاف أنواعه . فيقول عن ثورة الجزائر " مادمنا لا نستطيع أن نفر من عصرنا ومجتمعنا وقضيتنا من غير ان نكون جبناء ، فنحن بحاجة الى ان نعيش تجارب شعبنا أعمق العيش ، ألسنا بذلك وحده نستطيع ان نحفظ لانفسنا شيئا من الاحترام (٣) .

ويؤمن بطاقات لبنان ، لا بشطحات الخيال ، يريد لبلده أن يكون على مستواه لا دونه ولا فوقه ، لان الفوقية — برأيه — اشد خطرا علينا من العقدة الدونية . انه يؤمن دائما وابدا ويعمل لتحسين أوضاع لبنان ، ولا يعتقد أن لبنان بلغ ذروة التقدم ، خلافا لما يعتقده سواه ولا سيما حين يقارنون بلدهم بالبلاد المجاورة . واذا كانت مظاهر التقدم عندنا في لبنان متوفرة ، فهذا لا يعني أننا قد وصلنا الى المستوى المرجو ، بل لا نزال نكابد آفات كثيرة ، منها الطائفية ، والانعزالية والمحسوبية . (٤)

ويلخص لنا سهيل ادريس رأيه قائلا : " لقد كنت دائم الايمان بأن أكبر نعمة منحها الله للانسان هي نعمة الحرية ، وان كل نضال قام به الانسان عبر القرون انما كان هدفه الأسمى الحرية ، التحرر من لون ومن الوان العبودية لان من أجل هذا فكرت وأنت بعد في باريس بان تنشئ " مجلة الفكر الحر " (٥) لتكون رسالة تعبير عن ايمانك وتجعلها وسيلة من وسائل تحرير الانسان في هذه المنطقة من العالم . (٦)

---

١ — أصابعنا التي تحترق ص ١٥٧
٢ — وحيد من ابدال اصابعنا التي تحترق ، ومن اعضاء الحزب الهلالي ، وصديق لسهيل ادريس
٣ — اصابعنا التي تحترق ص ٦٦
٤ — اصابعنا التي تحترق ص ٢٦٠
٥ — مجلة الآداب
٦ — اصابعنا التي تحترق ص ١٠٢

الفصل الثاني

آفاق عصره في بيئتيه : لبنان وفرنسا

١ ـ في لبنان

أ ـ الحياة السياسية

ب ـ الحياة الاجتماعية

جـ ـ الطائفية في لبنان

د ـ التأليف والنشر والترجمة

٢ ـ في فرنسا

ا ـ سفره

ب ـ غايته من السفر

جـ ـ حياته العاطفية

د ـ شعوره القومي

١ — في لبنان :

أ — الحياة السياسية :

كان العالم العربي قبل الاربعينات مهبط اطماع المستعمرين ومركز موردلهم ، وخصوصا بين فترة الحربين العالميتين ، حيث تعرضت الأمة العربية الى هزات عنيفة ، ومعارك كثيرة مع اعداء حريتها وسيادتها على أرضها وثروتها . كانت كلما خرجت طائفة من معركة دفعتها الاقدار الى معركة أخرى ، ربما كانت اكثر ضراوة واشد بأسا ، وذلك لكثرة الأيدي التي تعبث بمستقبلها ، وتساوم على حريتها ومستقبلها ومصيرها .

ولم تدع تلك المعارك لامتنا العربية في لبنان وغيره فرصة تعيد فيها بناء نفسها ، وتضع بيديها حجر الأساس لحياة مستقرة في السياسة ، والاجتماع ، والاقتصاد ، والثقافة ، والفن ، إذ كانت بلادنا نهبا موزعا بين الانكليز والفرنسيين والترك ، وغيرهم من الذين باعدوا بين ابنائها ، وفرقوا بين صفوفها ، كما وقد على هذه الامة الصامدة كثير من المبادئ الجديدة والغريبة عن مبادئها ونظمها وتقاليدها في السياسة والاقتصاد والاخلاق . وعلى الرغم من غرابة هذه المبادئ ، وعلى غرابة مابينها من التناقض ومحاولة كل مبدأ منها التمكين لذاته في العقول والقلوب بما استطاع من تقديم الاسباب والمسببات نجد ان امتنا العربية استطاعت ان تقف امام تلك المبادئ الغريبة المتناقضة وقفة الحائر المشدوه ، الذي لايدري ايبها يأخذ وايبها يدع ، ففي الماضي تراثه وتقاليده ، وعرفه ، وفي الحاضر حقائق تعارض هذا التراث وهذه القيم ، وليس من السهولة بمكان ترك هذه التقاليد وهذه المبادئ ، فكانت الحيرة من اعظم الاسباب نتيجة لهذا الاضطراب في الوسائل والغايات ، فلم تتحدد اسس حياتها ، ولم تتحدد مقاييسها في مبادئ الاخلاق وقواعد السلوك ، وادى ذلك الى اضطراب الادباء وتناقضهم في معاني النظم والكتابة(١)

واذا حاولنا ان نتتبع الاحداث التي مرت على امتنا العربية ، وتركت أثرها على عالمنا العربي ، خلال الاربعينات نجد ان لبنان قد كوّن شخصيته السياسية المستقلة مع جلاء آخر جندي فرنسي من الاراضي اللبنانية في ٣١ كانون اول سنة ١٩٤٦ وان كان استقلال لبنان حقيقة واقعة بعد ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ .

ولزيادة الايضاح سنستعرض المراحل التي مر بها هذا الاستقلال بقدر موجز وواضح :

١ — اذا نظرنا الى عهد بشارة الخوري نجد أن هذا العهد قد توفق في توطيد دعائم الاستقلال اللبناني ونجد أن لبنان قد وقع في ٧ تشرين الاول سنة ١٩٤٤ اتفاق الاسكندرية الذي مهّد الطريق الى قيام " جامعة الدول العربية " في ٢٢ آذار من السنة التالية ، السنة التي وقع لبنان فيها على " ميثاق الامم المتحدة " كعضو مؤسس . ولكن في كانون الثاني سنة ١٩٤٦ حضر وفد لبنان دورة الانعقاد الأول لهذه المنظمة في لندن .

ولم يقتصر عهد بشارة الخوري في الحقل الداخلي على تحقيق " الميثاق الوطني " بل استمر باتصالاته المكثفة مع جميع القوى الداعية الى الوحدة العربية من المسلمين حتى تمكن من تعديل نظرياتهم ذات النزعة القومية وخصوصا بتقاربه مع الدول العربية ، ولم تعد الوحدة العربية عندهم فكرة طموحة بعد أن وطّد لبنان علاقته مع بقية الدول العربية ، وساعد على ذلك وجود شخصية فذة "كرياض الصلح " على

---

١ — لمزيد من الاطلاع راجع كتاب : التيارات المعاصرة في النقد الادبي ، " لبدوي طبانة " ص ٢٧ و ٢٨ .

رأس الحكومة ، حيث كان يتمتع بثقة اللبنانيين على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم .

ومن الناحية الادارية نرى ان الضعف قد ظهر واضحا ، وليس هذا بمستغرب في بلاد سيطرت عليها المصالح العائلية والطائفية .[1] ولم يكن الفساد جديدا ، وانما كان موروثا عن عهود سابقة ، ولكنه ازداد سوءا واضحا في عهد بشارة الخوري ، حيث عمت المتاجرة في النفوذ ، وكثرت الفضائح نتيجة لصلات الصداقة والقربى التي كانت تجمع بين رئيس الجمهورية وكبار رجال الاعمال الذين عرفوا كيف يستفيدون من وجوده في الحكم لخدمة مطامعهم ومصالحهم التي أقاموها على حساب الشعب ولقمة عيشه .

٢ — واذا تابعنا الزمن وجدنا ان سنة ١٩٤٨ سنة صراع قوى ، وفشل الدول العربية في محاولتها لمنع قيام الكيان الاسرائيلي على ارض فلسطين ، مما افقد هذه الحكومات ، ومنها اللبنانية الكثير من الاحترام ، فثار الشعب على حكامه ، ورفع الاحرار رؤوسهم ضد قوى الغدر والخيانة ، فكان اكثر هذه الانتفاضات أثراً على سوريا ، حيث تمرّد الجيش السوري بقيادة حسني الزعيم الذي سيطر على حكومة سوريا سنة ١٩٤٩ ، وغير نظام الحكومة السورية من النظام المدني الى النظام العسكري لاول مرة بتاريخ الامة العربية . وهذا ماشجع " الحزب السوري القومي " على ان يحاول القيام — بانقلاب مماثل في لبنان ، فباءت هذه المحاولة بالفشل ، وانتهت بحل الحزب ، واعدام زعيمه " انطون سعادة " كما عمدت الحكومة اللبنانية في الوقت نفسه الى حل " الكتائب " و " النجادة " وغيرهما من المنظمات شبه العسكرية في البلاد ، فدفعتها الى الوقوف في صف المعارضة .

٣ — وفي سنة ١٩٥١ فاز عدد من المعارضة بمقاعد نيابية في المجلس النيابي اللبناني ، مكنتهم من معارضة الحكومة معارضة فعّالة من داخل المجلس وخارجه " وكان من المعارضين كميل شمعون ، وكمال جنبلاط الذي نظم أنصاره ، وكان معظمهم من الدروز سنة ١٩٤٩ في " الحزب التقدمي الاشتراكي " .

وفي سنة ١٩٥٢ نرى ان المعارضة استطاعت ان تضغط على بشارة الخوري ، بعد ان سقط رياض الصلح صريع رصاصة احد اعضاء " الحزب السوري القومي "[2] المنحل ، فاستقال بشارة الخوري ،

٤ — ولم يسلم عهد شمعون من الانتقادات ، لان المشكلة الادارية الاساسية ، ومشكلة الفساد بقيتا بدون حل ، وان ازدهر الاقتصاد في عهده بين ١٩٥٢ — ١٩٥٨ ، ولكن عهده انتهى بثورة عليه ، او مايشبه الثورة .

٥ — وبين عام ١٩٥٣ و ١٩٥٤ جرت في مصر تطورات سياسية هامة أسفرت عن تسليم جمال عبد الناصر قيادة الثورة المصرية ، الثورة التي قامت في صيف ١٩٥٢ واطاحت بالحكم الملكي نهائيا في اواسط ١٩٥٣ . وقد شرع عبد الناصر ، الحاكم الجديد لمصر ، في السنوات التالية في بسط نفوذه على العالم العربي محاولا بذلك تحقيق الوحدة العربية .[3]

وأيقظت سياسة عبد الناصر ، في لبنان ، حماسة دعاة الوحدة العربية من المسلمين وسواهم مما احرج موقف عهد كميل شمعون .

وفي سنة ١٩٥٥ اشترك العراق في حلف بغداد ، السياسة المؤيدة للسياسة الغربية .

وفي تموز ١٩٥٦ تم تأميم شركة قناة السويس ، كما حدث العدوان الثلاثي على مصر ، بقصد استعادة السيطرة على القناة .

---

١ — الصليبي كمال سليمان . تاريخ لبنان الحديث ص ٢٤٣

٢ — اغتيل لموافقته على اعدام مؤسس الحزب السوري القومي " انطون سعادة "

٣ — الصليبي كمال سليمان . تاريخ لبنان الحديث ص ٢٤٣

٦ — وفي آذار سنة ١٩٥٧ وافق لبنان على مبدأ " ايزنهاور " ، رغم معارضة مصر لهذا المبدأ ، فتوترت العلاقات بين لبنان ومصر توترا شديدا كاد ان يؤدي الى قطيعة وتفشت أعمال الشغب في لبنان(١) أدت الى احداث دامية وقع نتيجتها الآلاف من القتلى دون أية فائدة ترجى .

٧ — وفي ٢٢ شباط سنة ١٩٥٨ قامت " الجمهورية العربية المتحدة " ، كما قامت الثورة في لبنان على سياسة كميل شمعون الموالية للغرب .

٨ — وفي ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ وقع انقلاب عسكري في العراق ، اطاح بالحكم الملكي ، وبدأ هذا الانقلاب في حينه يؤيد سياسة مصر ، وفي صلحتها ، فخشي كميل شمعون على سلطته من جراء ذلك ، فدعا الولايات المتحدة الى القيام بتصعيدها ، فنزلت في ١٥ تموز قوة من جنود البحرية قرب مدينة بيروت .

٩ — وفي ٢٢ ايلول سنة ١٩٥٨ تسلم فؤاد شهاب رئاسة الجمهورية اللبنانية من كميل شمعون الذي رفض أن يستقيل أو يتنازل الا بانتهاء مدته القانونية ، وأعاد فؤاد شهاب الحياة الطبيعية الى البلاد بسرعة فائقة ، واستؤنفت العلاقات بين مختلف الفئات اللبنانية ، وكأن شيئا لم يحدث !

١٠ — في ١٠ ايلول سنة ١٩٦١ تم انفصال سوريا عن مصر ، فتهاطلت الحكومة اللبنانية في الاعتراف بالحكم الانفصالي في سوريا ، مما زاد نقمة السوريين على لبنان .

ان جملة هذه الاحداث التي حصلت في لبنان ، وفي البلاد العربية المجاورة ، تركت أثرا كبيرا على الحياة الثقافية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، وفتحت الأبواب على مصاريعها امام الحضارة الاوروبية وامام الكتاب والادباء ، والشعراء ليقولوا كلمتهم في هذه الاحداث .

ب — الحياة الاجتماعية :

" ليس بالهين فصل الحالة السياسية عن الحالة الاجتماعية في هذه الفترة الزمنية ، فهما شديدتا الاتصال متشابكتا الاوضاع والاسباب ، على اننا في بحث الحالة الاجتماعية نوجه النظر خاصة الى مجموع الامة لا الى طبقة حكامها وساستها ، الى وضع البلاد العمراني لا الى نظام الحكم فيها او الى علاقتها بالبلدان الاخرى "(٢) .

ونظرة واحدة الى الاقطار العربية ، في هذه الفترة التاريخية ، كافية لان تعطينا صورة صادقة عما كانت عليه من تأخير في ميدان الحضارة والعمران ، وان كانت بوادرها قد بدأت تظهر في مواسم الدول العربية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وان كانت تسير بخطى حثيثة ، ولكننا نرى .

---

١ — صورت جانبا من هذا الواقع في قصتي عن الثورة اللبنانية بعنوان " حب ودماء " نشرتها دار الطليعة المصرية سنة ١٩٥٩ بالكويت .

٢ — المقدسي مانيس . الفنون الادبية واعلامها ص ٢٠ .

الامـــور تختلف من الناحية الثقافيـة ، فقـــد اســـتطاعت ان تطوّر الاســـاليب الدراسية التقليديـــــة التي كانت محصـــورة في المساجد ، وبعض البيوت الخاصة • فاخذت الدول تهتم بهذه الناحية ، فأســـست المدارس العلمية ، وغيرت المناهج الدينيـة بمناهج علمية صحيحة وفتحت الابواب للدراسة الخارجيـــــة للمجتهدين والمعوزين من ابنائهـا ، كما ارســـلت معظم العائلات الثريـة اولادها لانهاء دراســـاتهم فـــي الخارج ، في فرنسا وفي بريطانيا ، لما يحصل عليه أصحاب هذه اللغات من امتيازات خاصة تميزّهم عن غيرهـــم من ابناء طينتهـــم •

ونشـــأت مدارس ومذاهب أدبية جديدة [1] كان مرجعها في الدرجة الاولى الى التطـور فـــي المجتمع العربي في بلاد الشام ، وفي لمنان بصـــورة خاصة ، والى قيام الطبقة المتوسطة قوية متوثبـــــة في المجتمع ، وكان مرجعها في الدرجة الثانية الى هذا الاتصال الوثيق الذى أوجده الاســـتعمار الفرنســـي بين مجال الفكر والادب الغربيين ، وبين مجال الفكر والادب العربيين [2]

ولقـــد نشأ من هذا الاتصال أيضا تجاهان فكريان متضادان، أحدهما يدعو الى الأخذ بالحضـــارة الاوروبية ، مادية كانت او روحيـــة ، والآخر يدعو الى الاقتباس : اقتباس العلوم والصناعات الاوروبية ، ولكنـــه يدعـو في الوقت نفسه الى الاعراض عن الفلسفة الاوروبية ، لان العلم العربي لا يحتاج في نظره الى فلســـفة جديدة او عقيده جديدة ، بل يحتاج الى تجهيز علمي جديد وصناعة جديدة •

واصبح مجال التخصص قائما في جميع العلوم والفنون والادب ، وأصبحت فوضويـــة العلم القائمة علـــى قواعـــد هوائيـــة تجتثها الايدى ، وتزرع مكانها قواعد تقوم على الدرس والمعرفة •

واذا انتقلنا الى الحالة الصحية نجدها قد تطورت ، وأصبحت المستشفيات قادرة على معالجة الامـــراض التي مرّ عليها ردح من الزمن وهي تفتك بمئات الآلاف من أبناء الشعب العربي ، حيث تلاشى عهد الســـحر والشـــعوذة الى غير عـــودة •

وكثـــر عدد الاحزاب ، وتفرقـــت الامة وراء المعتقدات التي أوجدتها الافكار الحزبية ، وأصبح العالـــم العربي يعيش في فوضى من التفكير السياسي ، تبعده عن حقيقة الوصول الى العلم الحقيقي الذى يعمل علـــى حمايـــة الشعب اقتصاديا وسياســيا واجتماعيا •

واذا نظرنا الى الاحزاب في لمنان ، تجدها قد ظهرت قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها، عـــدة احزاب سياسية ، كالجبهة الاشتراكية الوطنية ، والكتلة الوطنية اللبنانية ، وحزب النداء القومي ، وحزب

---

١ ــ المدرسة الرومانتيكية ، والمدرسة الرمزية ، والمدرسة الواقعية • من أراد التوسع في تتبع هذه المواقف المختلفة التي مرت بها الواقعية الجديدة والرومانسية والرمزية فيمكنه الرجوع الى المراجع التالية :

١ ــ صلاح لبكي : لمنان الشاعر ، نشر معهد الدراسات العربية العالمية سنة ١٩٥٤

٢ ــ الياس ابو شبكة : روابط الفكر والروح بين الشرق والفرنجة ، دار المكشوف بيروت سنة ١٩٤٣

٣ ــ انطون غطاس كرم : الرمزية والادب العربي الحديث ، دار الكشاف ، بيروت سنة ١٩٤٩

٤ ــ بلي خانوف : الفن والحياة الاجتماعية ، تعريب احسان حصني ، وتوفيق عبد النافع طليمات دار ابن الوليد، دمشق •

٥ ــ محمد غنيمي هلال : الرومانتيكية ، نشأتها ، فلسفتها ، قضاياها ، آثارها ، مطبعة الرسالة بمصر

٦ ــ فانتيغم : الرومانتيكية ، ترجمة بهيج عثمان ، دار بيروت سنة ١٩٥٦

٧ ــ جون فريفيل : الادب والفن في ضوء الواقعية ، ترجمة محمد مفيد الشوباتي ، دار الفكر العربي

٢ ــ يافي ، هاشم • القصة القصيرة في فلسطين والاردن ص ١٢٨ــ١٢٩ •

الاتحاد الجمهوري ، وحزب الكتائب اللبنانية ، والحزب السوري القومي الاجتماعي ، وحزب عصبة العمل القومي ، والحزب الشيوعي وغيرها ٠(١) وأكثر برامج الأحزاب السياسية في لبنان خالية من المفاهيم الحزبية المتميزة ، وأعضاؤها لا يتقيدون دائما بالسلوك الحزبي ، وكثيرا ما نجد ملاقاتهم بعضهم ببعض وملاقاتهم باعضاء الاحزاب الاخرى ، وأعمالهم في الحقل الوطني قائمة على المنافسات الشخصية والاجتهادات الفردية ٠ واذا استثنينا الحزب الشيوعي والحزب السوري القومي الاجتماعي وجدنا تأثير هذه الاحزاب في الاتجاهات الفكرية ضئيلا جدا ، وقلما انتخب نائب للمجلس النيابي اللبناني على أساس المبدأ الحزبي الذي يعتنقه ٠(٢)

إن هناك أحزابا عقائدية تؤثر في الاتجاهات الفكرية العامة ، كحزب البعث الاشتراكي ، وحزب الاخوان المسلمين ، والحزب الشيوعي ٠ ولكن هناك فكرة عامة ظاهرة وموضوع في برامج الاحزاب ٠

واذا نظرنا الى فكرة القومية العربية في لبنان ، فانها تتجلى في منازع الشعب ومشاعره ، اكثر مما تتجلى في النصوص التشريعية والاحكام الدستورية ٠ إن ايمان الشعب اللبناني بثقافته العربية وحرصه على القيام بواجباته نحو إخوانه في الدول العربية لا يقلّان عن ايمانه بالحقيقة اللبنانية ٠

إن الشعب اللبناني يؤمن بعروبته ايمانا عميقا ، وإيمانه هذا ظاهر في اعتزازه بتراثه العربي ومناقبه التاريخية ، وادراكه لعلاقته بإخوانه في الاقطار العربية وسعيه للاتحاد بهم ، فهو يشعر بما يشعر به العرب في جميع منازلهم وأقطارهم ، فيحزنه مايحزنهم ، ويسره مايسرّهم ، تربطه بهم جميعا صلة القربى والدم وصلة اللغة والثقافة والفكر ووحدة المشاعر والمنازع (٣) ٠

وتطورت المعتقدات الدينية الى الافضل ، حيث تلاشت الخرافات ، والاباطيل والتقاليد ، مع تلاشي الامية التي كانت تتحكم في جميع النفوس ، وتشربت الافكار العربية بالنظريات الغربية التي تناولت كل علم وفن ٠ وبانتشار النظريات المادية توسعت الخلافات العقائدية بامية علمية ، أشد وأقوى من الامية الجاهلة ٠

جـ ـ الطائفية في لبنان :

بعد أن حاول الاستعمار تغذية الحركات الطائفية واستجابت له نفر غير قليل ، وقامت بعض الحركات الطائفية التي دفع الشعب اللبناني ثمنها الكثير من أرواح أبنائه ، نجد أن الاحساس الطائفي أخذ يتغير تدريجيا ، اذ نشأت طبقة من المستنيرين ، تبثّ في نفوس الناس روح التساهل والتعاون الوطني ، وتؤكد أن الدين الحقيقي إنما هو علاقة شخصية بين الانسان وخالقه ، وليس في اختلاف المذاهب وطرق العبادة مايحول دون ارتباط أبناء الوطن الواحد بالولاء للوطنية ، الحركة الفكرية النيرة التي استطاعت أن تضعف من حدة التعصب الذي كان مستحكما بين الطوائف والفرق نتيجة الجهل والمطامع الفردية والطائفية ، وماعدا ذلك ، فغيرة عمياء وجفاء سيء الظن يستخدمها ذوو الأغراض من حكام وزعماء لتفريق الصفوف واشعال نار الفتنة ، كما كادت أن تحصل سنة ١٩٥٨ لولا أنْ تداركتها العقول النيرة ، وحالت دونها ٠ ليت العقول النيرة اليوم تقتل الظلام الذي تنشره الفتنة على جو لبنان ، بحكمة من صنع العدو ، تفهم من " خنجر اسرائيل "

---

١ ـ لمن يريد الاطلاع على هذه الاحزاب يرجع الى نشراتها الحزبية المتعددة والى كتاب تاريخ لبنان الحديث " لكمال سليمان الصليبي "

٢ ـ صليبة ، جميل ٠ الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث ص ٤٥

٣ ـ نفس المصدر ص ٤٦

د — التأليف والنشر والترجمة

التأليف والنشر والترجمة من ثمار التعليم وانتشار الثقافة ، ومعتمدها الرئيسي هو الطباعة والصحافة[٢] . وقد ظهرت الطباعة في العالم العربي قبل القرن التاسع عشر ولكن في عصرنا الحالي اصبحت المدارس الحديثة والطباعة والصحافة موطدة الاركان في كثير من الحواضر تنبعث منها أشعة المعرفة الى كثير من النواحي . ومن جراء ذلك حدث تطور ضخم في حياة الناس وبيئتهم . وبعد أن كان الناس يعيشون ضمن نطاق ضيق من المعرفة يحيط بهم ظلام عام من الجهل والتقاليد والتأخر العمراني ، اخذوا يتدرجون في سبل التقدم المادي والفكري ، فاتسعت آفاق الاختبار والنظر الى الحياة والطبيعة ، وكان لهذا الاتساع أثر ظاهر في اساليب التفكير والتعبير .

ونرى ان اتصال الشرق بالغرب من طريق البعثات ، والارساليات ، والمدارس[٣] قد قرب ثقافة الغرب من العرب ، الذين أخذوا ينهلون من موارد هذه الثقافة حتى استطاعوا ان يعدلوا من نظرياتهم الادبية ، والاخلاقية ، والانسانية ، واصبحوا ينظرون الى الحياة من خلال التعاون بين الشعوب . وذابت النزعة الفردية التي كانت تؤمن بها كل دولة منفردة ، وخصوصا بعد ان عرفوا ان خطر العدو المتمثل باسرائيل وغيرها يهدد الامة العربية كمجموعة في تهديده لناحية واحدة .

ونستطيع أن نلخص ماقدمناه بجملة من القول هي : أن الحالة السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية كانت في بداية الاربعينات قلقة ومضطربة ، ولكنها استطاعت أن تخطو خطوات واسعة نحو التقدم ، وكان لها أثر كبير على الناس ، فاثّرت تأثيرا مباشرا على الشعراء والكتّاب والادباء . و — وكان سهيل ادريس واحداً من هؤلاء الذين تأثروا بما حدث لهذه الامة من أحداث ، وبما وقعت

به من متناقضات ، وخصوصا وأنه عايش هذه الفترة بقلبه وقلمه ، ومن أبناء الطبقة الفقيرة التي تغتصب العلم اغتصابا ، نتيجة لظروفها المادية التي كانت دائما تحول بينها وبين ارسال اولادها الى الجامعات ، سواء كانت في داخل لبنان أو في خارجها .

كل ماذكرناه ، عرض مختصر لما حفلته الينا الاربعينات والخمسينات ، ولكن ماأثر ذلك على لبنان ؟ هل استطاع لبنان أن يستفيد من الأحداث التي كانت تدور في الدول المجاورة ؟ هذا شيء من الممكن

حدوثه ، وقد استفادت لبنان فعلا خلال هذه الفترة التي تناولناها ، نلخصه بما يلي :

١ — فرض الاقتصاد الموجه والتأميمات ، وتحديد الطبقية في مصر وسوريا والعراق ، وبروز دور القطاع العام الذي تملكه الدولة ، وتقلص النشاط الفردي الحر ، دفع الى حركة اقتصاد كبيرة في لبنان ، كموجة معاكسة لتلك الانظمة التي كانت تحيط بلبنان ، فأخذت الاموال تتدفق عليها هربا من التشريعات الجديدة التي تحدّ من الحرية الفردية ، سواء كانت حرية اقتصادية اوسياسية .

٢ — الدخول في صدامات مع المعسكر الغربي ، وبخاصة امريكا ، ثم فرنسا ابان حرب الجزائر ، وانكلترا حول عدوان السويس .

---

١ — راجع تاريخ الطباعة لخليل صابات

٢ — راجع الباب الخامس الفصل الاول ، تحت عنوان مجلة الآداب .

٣ — كانت اتجاهات ثلاثة في النهضة العلمية :

١ — نشاط طائفة من الوطنيين والفئات الدينية الطائفية
٢ — نشاط الارساليات في انشاء المدارس والجمعيات العلمية
٣ — نشاط نفر من الموظفين المستنيرين المخلصين في انشاء المدارس وتشجيع النهضة العلمية .

٣ ــ تحويل ملكية الصحف الى الدولة في مصر

٤ ــ الارتباط بالتوجيه الحزبي في سوريا والعراق .

كان لبنان اذن في هذه الفترة يبدو في وسط العالم العربي أشبه بالواحد الذى يستطيع كل فرد ان يزاول نوع الحياة الذى يروقه ، ويكفي ان نشير الى تصاعد عدد البنوك وتعدد الصحف واختلاف مواقفها الفكرية الى درجة التناقض الحاد . فكل فكرة أو مذهب مهما كان نصيبه من الاعتدال أو التطرف كان له انصار ومدافعون ، وصحف ناطقة باسمه في بيروت ، وكما كان له مهاجمون بالطبع . وكما اكدت هذه الجوانب ميزة الشخصية اللبنانية ذات المنطق العطي ، والواقعي ، فانها أدت الى نوع من التمزق الروحي لدى المثقف اللبناني الذى أصبح يرى الحقيقة ضائعة بين تلك الرؤى المتعارضة (١) .

٢ ــ في فرنسا :

آ ــ سفره

يقول سهيل ادريس : " إنني أحب الصحافة ، وأومن برسالتها ، وأتمنى يوما أن أكون صاحب صحيفة أؤدّى فيها عملا مفيداً لبني قومي ، ولهذا تساورني رغبة شديدة في أن أسافر الى فرنسا لدراسة الصحافة في العام القادم " (٢) . وكان له ذلك سنة ١٩٤٩ ، بعد أن استقال من الصحف التي كان يعمل بها " بيروت " و" بيروت المساء " و الصياد " ، سافر ليستأنف تحصيله العالي ، بعد أن استحصل على منحتين دراسيتين من وزارة التربية اللبنانية وجمعية المقاصد الاسلامية (٣) .

لم يكن سفر سهيل ادريس الى فرنسا وليد ساعته ، بل كان حلما يراوده منذ حداثته ، يوم كان طالبا في المعهد الديني ، ويحاول ترجمة بعض القصص الفرنسية ، لما كان لهذه اللغة من مكانة عالية في لبنان ، الذى كان يخضع بجمل ثقافته وسياسته واقتصاده الى فرنسا .. فهو وإن كان في حداثة سنه الاّ أن تفكيره كان بعيد الأثر في قضايا الساعة التي عايشها ، فهو يتعلم من مجتمعه ، من محيطه الذى يعيش داخله ، ويراقبه مراقبة الذى يريد أن يعرف كل شيء يدور حوله ، لعله يستطيع أن يصل الى علاج قد يفيد هذه الأمة التي عايشها طفولة قاسية حزينة .

لم يسافر سهيل ادريس الى فرنسا بالسذاجة التي يسافر عليها معظم الطلاب العرب ، فالحياة العطية قد عركته وقوّت عوده ، وجعلته يفكر كالرجال ، لا كالشباب الطائش الذى لا يحسّ بمسؤولياته ، وهذا الأمر يعود الى طفولته التي عاشها ، وكان معها في صراع مستمر ، ذلك الصراع الذى جعله يتصادم مع الحياة والواقع الذى يحياه أبناء وطنه ، ضمن عائلته التي تقوم على ركائز من الدين والايمان . ولكنه استطاع ان يتخطى كل الحواجز قبل سفره ، ليس في نفسه فقط ، بل وفي نفس شقيقته ، وزميله رفيق الذى استطاع أن يخلع زيه الديني ويتجه اتجاها آخر (٤) ، وكذلك دفع الثقة في نفس شقيقته التي أخذت تعلن تمردها على التقاليد البالية حتى كانت لها الجرأة على أن تخلع الحجاب (٥) ، وتعلن موافقتها على رفيق حياتها ، الامر الذى كان منكرا على الفتاة ان تتلفظ به (٦) .

---

١ ــ انتقل التمزّق الداخلي الى الممارسة العطية في الاحداث الاخيرة ، لذلك ينبغي التفكير في صياغة الانسان اللبناني صياغة جديدة متجانسة .

٢ ــ الخندق العميق ص ١٦٠

٣ ــ نشرة خاصة حصلت عليها من " دار الآداب "

٤ ــ الخندق العميق

٥ ــ الخندق العميق ص ١٦١

٦ ــ المصدر نفسه ص ١٦٢

ب ـ غايته من السفر

اذن لم تكن الغاية من سفر سهيل ادريس الى فرنسا من أجل الحرية الجنسية التي يسمع الشباب عنها في فرنسا ـ وان كانت أحلامها تراوده أحيانا ـ بل كانت من أجل المعرفة والعودة الى بلده ، لهدم التقاليد البالية التي تعيق تقدم الامة .

سافر سهيل ادريس الى فرنسا للاستزادة من العلم والمعرفة ، لينشر امام مواطنيه بعضا من هذا الزاد الذي حصل عليه ، وجمعه بالكد والعناء ، وتجربته الوجودية العميقة حين يواجه هذا المجتمع ، الذي يعيش بتقاليد غير مالف ، وله قانون أخلاقي غير معروف ، وله قيم قد تعارف عليها تخالف مانما في ظله في لبنان .

ويصف لنا سهيل ادريس بداية رحلته من أول يوم على ظهر الباخرة المتجه الى فرنسا ، وسنحاول بقدر الامكان اعطاء صورة واضحة عن الحياة التي كان يحياها ، وعن وجهة نظره في هذه الحياة الجديدة ، التي كانت على نقيض كامل مع الحياة الشرقية . وليس امامنا الا روايته "الحي اللاتيني" التي يتناول فيها جانبا من حياته هناك ، تحت اسم بطل الرواية " سامي " وهي مصدرنا الوحيد الذي نستطيع أن نقرأه قراءة ثانية ، نصرف من خلالها الحقيقة التي أعلن عنها سهيل ادريس ، وان كانت لا تمثل الحقيقة كلها ، ولكنها أصدق المصادر ، لأن كاتبها عبر فيها عن خلجات نفسه وروحه .

إن حلمه الذي راوده منذ حداثة سنه بدأ يتحقق ساعة صعد على ظهر الباخرة ، التي أخذت تشق عباب اليم ، وتبتعد عن الشاطئ ، متجهة صوب تلك المدينة التي مازالت تعربخاطره خيالا غامضا ، كأنه المستحيل ، ولكنه ابتدأ مع اهتزاز الباخرة يحطم اولى درجات المستحيل في سلّم مستقبله الذي جاهد من أجله الشيء الكثير .

ونزل في " الحي اللاتيني " الذي خيل اليه أنه لايختلف عن " حي من أحياء بيروت القديمة ، تقوم فيه بيوت متقاطعة ، أغلب الظن أنها من الخشب مادام ساكنوها طلابا فقراء قدموا الى العاصمة الفرنسية من مختلف أنحاء الدنيا طلبا للعلم والمعرفة "[1] فكان عكس تصوره : الشوارع فسيحة ، نظيفة ومنتظمة ، والابنية فخمة مرتفعة كأحدث الأبنية الكبرى ببيروت ، الامر الذي فرض عليه تنظيم مخيلته من جديد ، حتى يطبع الصور بهذا الواقع الذي يفسد عليه عالما كان قد رتّب شؤونه واطمأن اليه .

ونرى سهيل ادريس يخرج عن تقاليده ، ومشيخته يوم وصوله " الحي اللاتيني " ويرى هذه الدنيا الجديدة : دنيا الشباب والفتيات ، تختلف عن دنياه التي عاشها " شباب يوحي مظهرهم بكل شيء الا بالوقار ، وفتيات تلمع عيونهن ببريق الذكاء والخفة والطيش ، ويخيّل للناظر أنهن يمشين ليصطدن مايطلب منهن "[2] إنه لم يذكر أنه رأى هذه الصورة التي يراها هنا .. إن الفتاة في الشرق محرّم عليها ان تقابل الشاب في بيتها ، فكيف اذا هي تقابله خارج البيت ؟ انها مصيبة كبرى .. وهنا .. هنا يرى العكس تماما " شبحان يمتنقان ، يتحركان بين لحظة ولحظة فينفصلان ، ثم يلتصقان دون تأمه ، ظلان أسودان ينصهران ظلا واحداً بين لحظة ولحظة [3] ولا حاجة الى تسلق الحواجز ليصعد اليها كما فعل من أجل سمية ، وسقط على الارض ساقطة كادت أن تؤدي بحياته[4] .

---

١ ـ الحي اللاتيني ص ١١
٢ ـ المصدر نفسه ص ١٦
٣ ـ المصدر نفسه ص ١٧
٤ ـ الخندق العميق ص ٨٠

كان أول شيء تعلمه في باريس هو : أن نظرة الشاب الى الفتاة تختلف من نظرة الشرقي الى فتاته ، فباريس اذن هي مثلما سمع عنها : مدينة الجنس والحرية ، وعلى قدر عظيم بالنسبة لمقاييسه الشرقية التي تنبع من اعماق الدين والتقاليد التي عايشها منذ حداثته ٠

ولكن هذا الانسان الشرقي ، الذى يخرج من عالمه المغلق ، وبيئته الضيقة ، وحواجز الدين التي نشأ وترعرع في كنفها قد تدفعه الحياة الجديدة الى التمرد الضخم ، وتشده الى ترك شرقيته هناك على شواطئ بيروت ، قبل ان يتسلق سلّم الباخرة ٠٠ فالجبة والعمامة ، تفرضان عليه ترك شرقيته مهما ليبدأ من جديد ٠٠ هل استطاع سهيل ادريس أن ينزع عنه شرقيته كما نزع عن رأسه العمامة وعن جسده الجبة ٠

بالعودة الى روايته " الحي اللاتيني " وتقصي الحقائق التي تدور حوله ، نجده فعلا قد تأثر تأثرا واضحا منذ وطئت قدماه أرض باريس ٠٠ انه لم يلتجيء الى غرفته بغية الراحة من السفر ، بل اندفع مع زميليه يبحثون من أمسية يقضونها بين الكأس والجنس يبحثون عن المرأة ، تلك هي الحقيقة التي ينساها ، بل يتجاهلها ٠٠ لقد أتى الى باريس من أجلها ، ولكن ، هل استطاع الحصول عليها ؟ أيحسب انها هي التي ستبحث عنه ؟ أيظن أنها هي التي ستدنو منه فتبسم له ، ثم تنعطف نحوه وتهمس في اذنه : انا التي تبحث عنها ٠٠ تعال احببني ٠٠ كلا ٠٠ انها هي هي ، في بيروت ، وباريس ، وفي جميع انحاء الدنيا يجب ان تبحث انت عنها ٠ (١) ولكن الى اى مدى ظلت هذه الافكار تراوده ؟ هذا ما سنراه عند التحليل ٠

وقابل "مارجريت " في حفلة دعي اليها ، وراقصها ، وكانت اول فتاة يراقصها " شعر بجسدها يرتخي بين ذراعيه ، وشم رائحة الخمر تنبعث قوية من فمها ، وشم رائحة العرق تنبعث قوية من جسمها ٠ امرأة بين ذراعيه ، ملء ذراعيه ، ملء كيانه ٠ امرأة تشتهي ، امرأة تقبّل شفتاها بجنون (٢) ولكنها تخص صاحب الدعوة : خمس فتيات لخمسة شباب ، وكان بينهم كاليتيم ، او كالدخيل ثقيل الظل ٠٠ ولكنه يأس الحاجة الى المرأة ٠ انه منذ قدم باريس لم يلق الا الاخفاق ازاءها ٠٠ انه يريد اية امرأة حتى يصب كل شرقيته فيها ، ليذيب شرقه الذى لم يغره بالهرب منه سوى خيال المرأة الغربية واختفاء المرأة الشرقية في حياته ٠ لقد هرب من جراحه تلك في دنياه الشرقية ، فما الذى اصابه من الهرب الى هذه الدنيا الغربية ؟ جراحات اشد ايلاما وانضح بالدم ، ليست هنا المرأة التي حلم بها ، ليست هنا الاصحراء الم من صحراء شرقه (٣) ذلك ، لانه لم يجد المرأة التي كان يتصورها عبر خياله ، ففاجأه الواقع ، لانه قدم الى فرنسا وباعتقاده ان الفتاة هي التي ستطارده ، ولكنه لم يدر أنّ الفتاة هي الفتاة في كل مكان ، والاختلاف فقط بمقدار الحرية الشخصية التي تتمتع بها الفتاة لا بكيفها ٠

ولكن ، هذا لم يمنع او يحل دون نجاح سهيل ادريس في تحصيله العالي فقد استطاع أن يلتحق " بمعهد الصحافة العالي " وبجامعة السوربون " ليحصل عام ١٩٥١ على دبلوم معهد الصحافة العالي بباريس وعام ١٩٥٢ شهادة الدكتوراه بالآداب " دكتوراه جامعة "٠

---

١ ـ الحي اللاتيني ص ٢٦
٢ ـ المصدر نفسه ص ٢٤
٣ ـ المصدر نفسه ص ٢٩

جـ — حياته العاطفية :

لقد اكتفينا بحياته العاطفية من خلال قصة حبه مع " جانين مونترو " لأنها القصة التي لازمته حتى عودته الى شرقه .

جانين مونترو ، فتاة فرنسية ، من الالزاس ، قدمت الى باريس لدراسة الصحافة ، والتخصص فيها ، ولكن الاقدار رمتها في طريقه ، فوجد فيها ضالته المنشودة ، كما وجد معها استقراره العاطفي . فايشها فترة طويلة من حياته في باريس ، وعرف من خلالها حقيقة الفتاة الغربية ، بالاضافة الى مايعرفه عن حقائق الفتاة الشرقية ، الأمر الذي جعله يقف حائراً بين أيهما يختار : ففي الفتاة الشرقية عالمه الذي هرب منه وحاربه . وفي الفتاة الغربية عالمه المنطلق الذي لاتقف امامه حواجز تحول بينه وبين فتاته التي يتوق اليها . لكن ، الى أي مدى استطاع أن يتحرر من تقاليده وعاداته التي هجرها ؟ وهل استطاعت حياته في الغرب أن تنسيه شرقه جملة وتفصيلاً ؟ هل استطاعت أن تطرد جميع رواسب التقاليد الشرقية التي تتأصل في نفسي النفوس رغم انخراطه بالحياة الغربية الجديدة ؟ وهل عودته الى مجتمعه الشرقي تحيّ في نفسه تلك التقاليد التي تفرض عليه الانتماء اليها او الرحيل عنها بعد أن عاد نهائياً طيلة فترة دراسته في فرنسا ؟ . سنتكلم عن جميع هذه الامور عند تحليل الرواية ، وسنجيب بقدر الامكان على هذه الاسئلة التي تفرض ذاتها ، لتكتمل الصورة التي رسمنا خطوطها في بداية دراستنا .

د — شعوره القومي

أما عن شعوره القومي ، فقد تضاعف وأخذ يعيش في صراع حقيقي بين مفاهيم وأوضاع كانت قائمة في بلاده ، ومفاهيم وأوضاع عرفها في بلاد الغرب ، وكان عليه ان ينقل هذا الصراع على الورق ، فكانت رواية " الحي اللاتيني " التي عبرت عن تجربته الوجدانية التي يخوضها الشاب الشرقي حين يلقي به طموحه الى آفاق الغرب الواسع .

وسهيل ادريس من الذين حذقوا الثقافة العربية ، وعطوا على اغنائها بما وجدوه في الثقافات الاجنبية المختلفة من لقاح فكري جديد ، وهو من المعتدلين المولعين بالقديم والحديث معاً ، الراغبين في ثقافة عربية متجددة تستمد من الماضي مايتمشى وحاجات العصر ، ويقتبس من الثقافات الاجنبية [1] مايلائم عبقرية العرب ومزاجهم الثقافي ،

وتظهر ثقافته في أعماله التأليفية المتنوعة التالية :

١ — القصة القصيرة ، وله فيها ست مجموعات :

١ — أشواق ، صدرت عن دار العلم للملايين ط ١ بيروت ١٩٤٧ م

---

١ — يقول جبران خليل جبران في " المجموعة الكاملة لمؤلفاته " مجلد ٣ ص ٢٤٣

كان التعليم يأتينا من الغرب بشكل الصدقة ، وقد كنا ولم نزل نلتهم خبز الصدقة ، لاننا جياع متضورون ، ولقد أحيانا ذلك الخبز ، ولما أحيانا أماتنا : أحيانا لأنه أيقظ جميع مداركنا ، ولمسه عقولنا قليلاً ، وأماتنا لأنه فرق كلمتنا ، واضعف وحدتنا ، وقطع روابطنا ، وأبعدنا بين طوائفنا ، حتى أصبحت بلادنا مجموعة مستعمرات صغيرة ، مختلفة الاذواق متضاربة المشارب ، كل مستعمرة منها تشد في حبل احدى الامم الغربية ، وترفع لواءها وتترنم بمحاسنها وأمجادها .

٢ ـ نيران وثلـــوج صدرت عن دار العلم للملايين ط ١ بيروت عام ١٩٤٧م(
٣ ـ كلهن نساء = = = ط ١ = = ١٩٤٩م (
٤ ـ الدمع المر صدرت عن دار الآداب ط ١ = = ١٩٥٦م
٥ ـ رحماك يا دمشق = = = ط ١ = = ١٩٦٥م
٦ ـ العمراء = = = ط ١ = = ١٩٧٤م

٢ ـ الروايات ، وله فيها ثلاث روايات :

١ ـ الحي اللاتيني صدرت عن دار الآداب ط ٦ = = ١٩٧٣م
٢ ـ الخندق الغميق = = = ط ٢ = = ١٩٧٤م
٣ ـ اصابعنا التي تحترق = = = ط ١ = = ١٩٦٢م

٣ ـ الدراسات الادبية والنقدية واللغوية ، وله فيها :

١ ـ محاضرات عن القصة في لبنان ، نشرتها جامعة الدول العربية معهد الدراسات العربية العالية ط ١ ١٩٥٧م .
٢ ـ قاموس المنهل ، عربي فرنسي ، وقد شاركه في هذا العمل الدكتور جبور عبد النور
٣ ـ مجلة الآداب ، صدرت عام ١٩٥٣م
٤ ـ دار الآداب تأسست عام ١٩٥٦م
٥ ـ اتحاد الكتاب اللبنانيين تأسس عام ١٩٦٨م

٤ ـ الترجمات ، وله فيها اكثر من عشرين كتابا منها :

١ ـ دروب الحرية ٠٠	لسارتر
٢ ـ الايدي القذرة ٠٠	لسارتر
٣ ـ موتى بلا قبور ٠٠ مسرحية	لسارتر
٤ ـ الذباب ٠٠ مسرحية	لسارتر
٥ ـ الغثيان ٠٠	لسارتر
٦ ـ سيرتي الذاتية ٠٠	لسارتر
٧ ـ الطاعون ٠٠	لألبير كامو
٨ ـ الافواه اللامجدية ٠٠	لسيمون دي بوفوار
٩ ـ الملثوم المحرق ٠٠	لتشارلز مورغان " الانكليزي " من الفرنسية
١٠ ـ كامو والتمرد ٠٠	لروسبير دولوبيه
١١ ـ بستان الكرز ٠٠	لانطون تشيكوف
١٢ ـ الحقيقة ماتت ٠٠	لمانوئيل روبلس
١٣ ـ ثمن الحرية ٠٠	لمانوئيل روبلس
١٤ ـ دريس	لجانين اوريانو
١٥ ـ العدالة الاجتماعية	لاميل غيري
١٦ ـ شمس الغرب تسطع على الغرب	لسيغريد هانك " الالمانية " من الفرنسية .

خاتمـــة البـــــاب الاول

دخلنا هذا الباب بخطة عملية ، وقيمة عملنا أننا بسطنا البحث بالتفصيـــل ، وقد بدا لي وأنا أبسط هذا البحث أنني اكتشف المسارب المتداخلة بين الزمان والمكان والانسان ، وهو يتكون فيهما ، ويتحدث عنهما وعن ذاته من خلالهما .

تكلمنا في الفصل الأول عن مناشط حياة سهيل ادريس منذ ولادته ســـــنة ١٩٢٥م وحتى سنة ١٩٧٥م - أطال الله عمره - وأعطاه المقدرة على متابعة المسيرة التي بدأها ، حتى يكثر من عطائه الأدبي ، ويمسك بأيدي الشـــباب الناشـــئين ، ليهديهم الطريق .

وتناولنا آفاق عصره في لبنان وفرنسا ، حيث الزمان والمكان اللذان صاحبهما بالفكر والجسد ، كما تناولنا تأثيره بهذا الحيز الزمني والمكاني ، وما أكســـــبه من معرفة أظهرت في آثاره الأدبية في الأبواب التالية ، التي سنقف عند كل بـــــاب وقفـــة دراســـة وتقويـــم .

الباب الثاني

القصة ، اطارا ، وتخطيطا

تمهيد

١ ـ الفصل الاول : القصة في اللغة والاصطلاح والتاريخ

٢ ـ الفصل الثاني : فن القصة

الباب الثاني

القصة ، اطارا ، وتخطيطا

المدخل :

القصة هي نوع من الكتابة الأدبية الفنية ، تصوّر حالة معينة تصويرا يعبّر فيه كاتبها عن شعوره الخاص وتفكيره الناشيء عن هذا الشعور والوجه الذى يتجه اليه رأيه حسب ماشعر وفكر .

والقصة من فنون النثر الأدبي الحديث ، وتعتبر من أهمها لارتباطها بالحياة ، ولكنها لم تكن في العصور الماضية موضع درس وتقويم ، لاهتمام الناس بالشعر ، الذى أخذ منهم كل جهد وطاقة .

ومن أجل التنوع الواسع في مادة القصة أصبحت أهم نوع أدبي في عصرنا الحالي ، لأنها تستطيع بصورها المختلفة أن تمثل الحياة وتجلوها في شتى وجوهها ، اذ لايستعصى عليها أى من خطوطها . واذا كان القصاصون قد نوعوا في طرق عرضها ، فانهم عنوا أشد العناية بطريق بنائها ، فلا بدّ أن تغدو كل قصة بناء متكاملا تترابط وحداته ترابطا عضويا ، تراصّت جزئياته فيه كما تتراصّ اللبنات في البناء المحكّم ، وقد يطول البناء حتى يصبح مجلدات (١) .

واذا كانت دراستنا في الأبواب التالية ستتناول أعمال سهيل ادريس القصصية والروائية ، كان لزاما علينا أن نبسط عناصر فن القصة عموما قبل الدخول الى التطبيق ، ليكون نقدنا لقصص سهيل ادريس على ضوئها واضحا ، ونجمل هذا البسط في هذا الباب من خلال فصلين اثنين .

في الفصل الاول : تناولنا القصة في اللغة وفي الاصطلاح والتاريخ ، حيث حاولنا أن نتتبع الأصول التاريخية والفنية التي أوصلت القصة الى فنيتها الحديثة الموجودة عليها الآن ، بعد أن كانت فنا مهملا غير ذى شأن ، ولكنها أصبحت الآن من أهم فنون النثر الأدبي . وقد حاولنا - بقدر الامكان - أن نوجز هذه الأصول حتى تصبح دراستنا قريبة من الكمال .

وفي الفصل الثاني : تناولنا فيه فنية القصة ، وحددنا مفهوم كلمة " الفنّ " في اللغة وفي الاصطلاح ، كما تناولنا عناصر القصة الفنية التي - من خلالها - نصدر أحكامنا على أعمال سهيل ادريس القصصية والروائية .

وكانت مصادرنا ومراجعنا لاتخرج عن نطاق القصة وفنها ، لذلك حاولنا - عبر هذه المصادر - ان نتتبع خطوات هذا الفن الحديث من موضع قدمه الأولى حتى عصرنا الحاضر ، مارين عبر زمان ومكان هذه المسيرة ، راجين من وراء ذلك افادة القارىء من جهة ، واعتبار أعمال سهيل ادريس حلقة متممة لزمان هذا الفن ومكانه من جهة ثانية . الى أى مدى كان فن سهيل ادريس موافقا أو مخالفا لفنية القصة الحديثة ؟

هذا ماسنجيب عليه في الباب الثالث .

---

(١) - ضيف ، شوقي . في النقد الأدبي ، ص ٢٢٧ ط ٢ القاهرة - دار المعارف سنة ١٩٦٦م

الباب الثاني

القصة ، إطارا ، وتخطيطا .

الفصل الأول : القصة في اللغة والاصطلاح والتاريخ :

القصة في اللغة : من قص قصصا عليه الخبر : حدثه به . وقصّ قصاً وقصصا أثره : تتبعه شيئا فشيئا . تقصّص الكلام : حفظه ، وتقصص الحديث : رواه .

والقاص : من يأتي بالقصة ، والقصة : جمع قصص ، والاقصوصة : أقاصيص : الحديث ، الأمر الحادث .

والقصّاص : هو الذى يقرأ القصص في مجتمعات الناس ، ليأخذ الجباية منهم ، اذن ، فكلمة القصة في اللغة العربية مشتقة من اقتصاص الأثر ، وهو التتبع والاقتفاء . وما أصدق هذا التفسير في انطباقه على خصائص القصص الفني . فقصّاص الاثر يتقصص الخطأ على بساط الرمال ، وفي مسارب الطرق حتى يعرف كيف كان مصير الأقدام ، فاذا لم يتتبع القاص أبطاله في خطوات الحياة ، وفي مسارب العيش ، ولم يدامجهم في شتى مايمارسون من أعمال ، ولم يتخذ له في طريقه عدة من التحليل والتعليل والمعالجة ، كان أهون من قصاص الأثر شأنا ، وكانت قصصه اخبارا بالغيب ، ورجما بالظن وافتئاتا على الفن[1] .

١ — قصة :

أطلق العرب هذا اللفظ على عدة معان ، أحدها قريب من الفن الذى نعرفه اليوم بهذا المعنى ، وكان العرب قديما يطلقون عليه عدة أسماء ، مثل الحديث ، والخبر ، والسمر والخرافة . وأقدم قصص عربية مدونة ما أورده القرآن عن الأمم الغابرة ، ولما عني المسلمون بالقصص القرآنية وتفسيرها وتكملتها ، نشأ القصص الديني الذى اختلط بالقصص المسيحي واليهودى .

وعني الخلفاء الأولون بالقصاص الذين كانت مهمتهم الوعظ في المعسكر والتحريض على الاستبسال في الحرب ، فعينوا لهم الرواتب وأباحوا لهم التحدث بالمساجد — وان كان المتشددون من رجال الدين لم يرضوا عنهم لعدم تحريهم الصدق — وبلغ من شأنهم أن استقدمهم معاوية بن أبي سفيان الى بلاطه ودوّن قصصهم . واتسعت القصص العربية ، والمعربة في العصر العباسي ، ودونت في الكتب التي يحصي منها ابن النديم الكثير بعد أن فتح ابن المقفع الباب للترجمة " بكليلة ودمنة " .

وفي القرن الرابع هجرى ظهرت المقامات ، واتصل التأليف فيها ، وكان للعامة قصاصيهم الذين تجاوبوا معهم ، وألفوا ماعبر عنهم من أمثال قصص ألف ليلة وليلة ، والسيرة الشعبية التي وجدت ابان الحروب الصليبية .

وفي العصر الحديث حاكى الأدباء العرب القصة الغربية في مختلف ألوانها وفنونها ،

---

(١) راجع المعجمات العربية .

وتطورت القصة في مصر خاصة حتى وصلت نماذج منها الى مستوى القصة الغربية (١) .

القصة في الاصطلاح : هي مجموعة من الاحداث يرويها كاتبها ، وهي تتناول حادثة واحدة أو عدة حوادث ، تتعلق بشخصيات انسانية مختلفة ، تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة ، على غرار ماتتباين به حياة الناس على وجه الأرض ، ويكون نصيبها في القصة متفاوتا من حيث التأثير والتأثر (٢) .

وعرفوا القصة على أنها ومضة من الضوء يلقيها الكاتب على شريحة من شرائح الحياة — اذا صح هذا التعبير — ليصور بها حادثة ذات وحدة عضوية ، ويكشف بها عما يربط بين أجزائها من معان أو علائق .. (٣) كما قالوا عنها إنها تجربة انسانية يصور فيها القاص مظهرا من مظاهر الحياة ، تتمثل في دراسة انسانية للجوانب النفسية في مجتمع وبلد خاصين . وتتكشف هذه الجوانب بتأثير حوادث تساق على نحو مقنع يبررها ويجلوها ، وتؤثر الحوادث في الجوانب الانسانية العميقة وتتأثر بها (٤) .

وعلى هذا الاساس نرى أن القصة في الاصطلاح هي كل كتابة أدبية فنية تصدر عن كاتب واحد بقصد تصوير حالة معينة في التاريخ أو الأدب أو الأخلاق او الاجتماع أو غيرها ، تصويرا ينزع فيه الكاتب عن شعوره الخاص وتفكيره الناشيء عن هذا الشعور والوجد الذى يتجه اليه رأيه حسب ماشعر وفكر ، بحيث تتمثل شخصيته في هذا التصوير مثلا يفرق بينه وبين غيره ممن كتبوا فيما كتب ، مع أن هذه الأشياء التي ذكرناها واحدة في ذاتها من حيث النظرة العلمية الصرفة ، ولكن الذى يختلف انما هو نظرة القاص الفنان اليها من حيث كيفية تصورها وتصويرها ، وكلما اتسعت مسافة الخلاف بين نظرات القاصين تباعد البون بين التصويرات وتراءت الأشياء في أثواب تبعدها عن مرآها العلمي الثابت الأصيل ، الى مرأى يخلع عليها ثوب القصة بوجه عام ، سيان في ذلك القصة القصيرة ، والصالحة للتمثيل على المسارح ، وغير الصالحة ، ولكن العرف الجارى خصّ القصة القصيرة باسم الأقصوصة كما خص القصة الطويلة الصالحة للتمثيل باسم الرواية ، التي اذا غلب عليها عنصر الضحك والهزل أخذت اسم الملهاة ، ولكنها اذا بقيت بعيدة عن هذين العنصرين استمرت مستأثرة باسم الرواية (٥) دون تقييد .

---

(١) الموسوعة العربية ط ١ صفحة ١٣٨٣ دار العلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٥م

(٢) راجع فن القصة لمحمد يوسف نجم ص ٩ دار الثقافة ط ٥ بيروت ١٩٦٦م .

(٣) حمزة ، عبد اللطيف . المدخل في فن التحرير الصحفي ، ص: ٩٩ ، ط ٣ ، دار الفكر العربي ١٩٦٥ .

(٤) غنيمي ، محمد هلال . النقد الأدبي الحديث . ص : ٥٢٤ ط ٤ ، دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٦٩م .

(٥) يقول أنيس المقدسي في الفنون الأدبية وأعلامها عن الرواية : ان هذا النوع من الفن القصصي لم يعرفه كتابنا القدماء ، وانما دخل أدبنا في جملة مادخله بتأثير الحضارة الجديدة ، وقد سلكت الرواية في تطورها نفس السبيل الذى سلكته القصة القصيرة ، فظهرت أول أمرها في ترجمات شتى من الأدب الأوروبي ، وظلت الترجمة مصدرها الأكبر حتى الى مابعد الحرب العالمية الثانية ، علما أنه منذ أوائل قرننا الحالي أخذت بعض الأقلام تتجه نحو التأليف ، وازدادت حركة التأليف نشاطا بعد الحرب العالمية الأولى ، وما زالت حتى بلغت شوطا بعيدا في ميدان التقدم . وللرواية ثلاثة أوجه : التاريخي ، الاجتماعي ، الفلسفي .

ومهما كان نوع القصة ونكرتها ، فهي " مرآة متعددة السطوح ، وكل قارئ يلقي بناظريه على السطح الذى يعكس صورته بأمانة وذمة ، أو لعلها كالبناء الضخم ذى الكوى العديدة ، ولكل قارئ أن يطل من الكوة التي يختارها ذوقه ومزاجه وطبيعته "(١) .

القصة في التاريخ : العودة الى كتب التاريخ القديمة . التي تتناول الانسان الأول وحياته هي العودة الى حقيقة تلك الحياة التي كان يحياها ، وكانت مهددة بالوحوش الضارية من جهة ، وبالطبيعة من جهة ثانية ، الأمر الذى دفعه الى الخوف الذى دفع خياله الى التفكير في طريقة دفاعه أمام هذه العوائل التي أوجدت العلاقة بينه ، كانسان ضعيف خائف ، وبين الرعب المخيف ، عبودية ذات طرفين : عابد ومعبود ، فظهر دين القوة الخافية التي عبدها الناس من آثارها في الطبيعة . وكانت الأفكار اللادينية أول بوادر العلاقة بين الانسان وتأملاته ، فأخذ يعبد قوى الطبيعة التي فرضت على الانسان التجمّع بعد أن كان منزويا على نفسه . وهنا بدأ خيال الانسان ، عن طريق الأحلام ، عبر خياله البدائي ، يحيك أساطير خياله عن العالم الذى يخافه وينتظر قدومه ، وهو عالم غير عادي ، وذلك في شكل بطولات يرجو منها دفع الشر عنه أو جلب الخير ، غير أن البيئات التي عاشها لم تكن جميعها متكافئة من حيث كم ونوع الخيال لصوغ تلك الأساطير ، فنما في بعض البيئات أكثر مما نما في البيئات الأخرى ، ارتباطا بالأخطار البينة ، فحيث تكثر الأخطار يعظم الخوف ، ويقوى التخيل ، وحيث تختفي هذه الأخطار عن العيان ، تقل الرهبة ، ويضعف الخيال . وكلما قوى عامل الخوف عند الانسان توسع في التأليه ، وأكثر من المعبودات ، والعكس صحيح .

ونتيجة لتنازع البقاء في العصر القديم ، بين الانسان والطبيعة والحيوان ، وبين الانسان والانسان عن طريق الحروب التي كانت مستمرة بين الجماعات ، وقعت الأساطير الخرافية الاولى ، ثم حيك على منوالها قصص تغنّى فيها المنتصر ، وتخيّل فيها المنهزم بطلا منتظرا سيأتي على يديه الانتصار ، وهذا ما دفع جماعة من الناس يمتهنون هذه الحكايات للارتزاق بها ، وبطبيعة الحال ، فقد أضافوا اليها قصصا أخرى حاكوها حول نبل الأمراء ومالهم على العامة من أفضال ، ولدى العامة يخرجونها على السخرية من الأمراء ، وذكر ما يشينهم من فضائح ومخاز . وهكذا جاوز القصاصون الحقائق الواقعة الى الزيادة عن طريق المبالغة والتهويل ، وعن طريق الخلق والابداع ، وساعدهم على ذلك في القصص التي وضعوها بعد الهوة بين طبقتي الأمة من خاصة وعامة ، وفي غير القصص الموضوعة انقطاع الصلات بين بعض الأمم وبعضها الآخر انقطاعا خلفه اكتفاء كل أمة ببلادها ، وضاعفه سوء وسائل الانتقال ، الأمر الذى قاد الى مضاعفة نشأة الملاحم المعبرة عن الحروب وسير الأبطال ممزوجة بذكر الآلهة المساعدين ، حيث كان تمجيد البطل واستيحاء الآلهة أمرين جوهريين في القصص القديم الذى جاء أكثره شعرا " لأن الشعر ألصق ببداءات الأمم وأصلح من النثر للتغني الذى كان صفة لازمة لكل قصّاص "(٢) .

كان اليونان بحكم بيئتهم من أصلح الأمم قديما لنشأة الأساطير والقصص ، وقد حفظ لنا التاريخ " الالياذة لهوميروس " التي وصفت حرب طروادة بآسيا الصغرى والتي دامت عشرين سنة ضد اليونان .

---

(١) نجم ، محمد يوسف فن القصة ، ص ٣٠ دار الثقافة ط ٥ بيروت ١٩٦٦ .

(٢) بيومي ، السباعي ، تاريخ القصة والنقد ص : ١٧ القاهرة — مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٦ م .

وكذلك " الأوديسة " لهوميروس أيضا في ظلال أوذيس طريق البحر وهو عائد الى بلاده من تلك الحرب .

وقد وجدت في هذه الملاحم اليونانية عناصر قصصية ، هي التي مهدت لظهور النثر القصصي فيما بعد ، وقد تم أول ظهور ذلك النثر القصصي في الأدب اليوناني في القرن الثاني بعد الميلاد وكانت القصة آنذاك ذات طابع ملحمي ، فكانت حافلة بالمغامرات الغيبية وبالسحر والأمور الخارقة، ويتمثل النموذج العام لأحداث تلك القصص في افتراق الحبيبين ، تقهم الأخطار المروعة والعذبات المؤثرة حدا فاصلا بينهما ، ويغلبان منها بطرق تفوق المألوف ، ثم تختم القصة ختاما سعيدا بالتقاء الحبيبين (١) .

وظهرت القصة في الأدب اللاتيني في أواخر القرن الاول بعد الميلاد ، على نحو مخالف للقصة اليونانية في بادئ الأمر ، كما في قصة (ساتيريكون) التي ألفها " بترونيوس " وفي هجائيته تصور مغامرات شائنة لصعلوكين وخادمهما وتكشف عن حال الطبقات الفقيرة في عهد " نيرون " وتصف العادات والتقاليد في سخرية مرة ، كما تحكي كثيرا عن جيل السحرة واللصوص .

ثم تأثرت القصة اللاتينية بالقصة اليونانية ، والقصة التي تمثل هذا التأثير هي قصة " المسخ " أو الحمار الذهبي الذى ألفها " أبوليوس " في النصف الثاني للقرن الثاني بعد الميلاد ولها أصل يوناني مجهول للمؤلف (٢) .

والقصة في نشأتها الطويلة ، كانت تختلط فيها الحقائق الانسانية بالأمور الغيبية ، وكانت تجمح في الخيال فتبعد كثيرا عن واقع الانسان وقضاياه ، كما كان لايفرق فيها بين ماهو ممكن وماهو مستحيل .

ونرى ان القصة الخيالية قد سبقت القصة الواقعية الى الوجود ، اذ أن المرء كان يتخيل ويصف مايتخيل ، أيسر مما يصف الواقع ويواجهه . وكان الناس في العصور الاولى يهتمون بالاحداث العجيبة ، وبالأخطار الخيالية أكثر مما يهتمون بالواقع ، وكان الشاعر والقاص يستلهمان كلاهما من مورد واحد ، فظلت نزعة الغيبية او الاسطورية تصبغ القصة صبغة شعرية (٣) لأن القوتين الرئيسيتين

---

(١) هلال ، محمد غنيمي . الأدب المقارن ص: ٢٠١و٢٠٢ ط ٥ دار الثقافة ودار العودة بيروت .

(٢) وموضوع قصة "المسخ" أو الحمار الذهبي لخص في أن "لوسيوس" يذهب عند ساحره ، فيطلب منها أن تطليه بدهان ليصير مخلوقا آخر ، فيتحول الى حمار ، ويقع في أيدى كثير من الناس ، من اللصوص وسواهم . ويقاسي الجوع وضربات العصى ، ويطلع على ضروب الفسق والعار ، ثم يعود الى حالته الأولى على يد كاهن للالهة " ايزيس " ويشيد بايزيس ودينها . وبعد التحول الى انسان تصبح آراء المؤلف واضحة كأنه كان يتفحص في خياله ذلك الحمار ، فيهجو العادات والتقاليد ، وقد أوّل هذا التحول بانحطاط الانسان اذا استسلم لغرائزه الحيوانية ، ونجاته بالشريعة والمحن

(انظر الأدب المقارن لمحمد غنيمي هلال ، ص: ٢٠٢ دار الثقافة ودار العودة ، بيروت ،

(٣) انظر المدخل الى النقد الأدبي الحديث لمحمد غنيمي هلال ، ط ٢ ص ٥٦٤ — ٥٩٥ .. وانظر H. Le Haitre Essai Sur le Mythe de Psyclié pp. 140,146

في الانسان ، في العهد القديم هما : قوة الفكر ، وقوة الخيال[١] .

وفي العصور الوسطى وجدت قصص ذات طابع شعبي هي "القابليو"[٢] على أنها لاتندرج في القصة بالمعنى الفني ، ولم تساعد على تطور مفهوم القصة بعامة ، انما تشير هنا اليها لخصوصية تأريخية ، وكمرحلة تأثير الثقافة العربية في أدب الغرب . وأهم ماتعنيه هنا من قصص العصور الوسطى هو قصص الفروسية والحب ، وفيها بدأ ، تأثير عربي ذو قيمة أدبية كبيرة ظل طوال العصور الوسطى وشوطرا من عصر النهضة ..

وعلى الرغم من طابع الحب والعنف في قصص اليونان ، لم تكن المرأة فيه ذات مكانة تخول لها سلطانا على الحب كما في قصص الفروسة ، على أنه من الثابت أن هذا النوع الجديد للحب — في القصة والشعر معا ، قد نشأ على أثر اتصال الغرب بالشرق . اما في الحروب الصليبية ، واما عن طريق العرب في الأندلس[٣] .

وفي القرن الثاني من القرن الثاني عشر الميلادى ألف "اندريه لوشابلان" كتابا باللاتينية سماه " فن الحب العف " وفيه يذكر ادراكا جديدا للحب لم يكن للأدب الاوربي به عهد حتى ذلك القرن وفيه ترتفع المرأه الى مكانة لم تحظ بها من قبل في اوربا ، ويخضع الفارس لها كما يخضع التابع للسيد صاحب الاقطاع في تلك العصور .

وقصص الفروسة والحب تحتوى على جانب عاطفي ذاتي ذي طابع انساني تفوق به الملاحم ولكنها بعد ذلك تقرب من عالم الملاحم لأن أخطار الحب فيها شاذة تشبه مافي سيرة بطل الملاحم فالبطل في القصة مثال الفارس الكامل ، يعيش في عالم بعيد عن الحقيقة ، وتحميه قوى غيبية . ثم ان هذه القصص متخلفة في نضجها الفني ، اذ لايربط الحوادث فيها سوى شخصية البطل الذى لايزال ينتقل من نصر الى نصر . فالوحدة العضوية لاوجود لها .

---

(١) فالفكر وسيلة التعرف على الحقائق ، وانما يستعين المرء بالخيال على سدّما في الواقع من فراغ واكمال مابه من نقص ، معتمدا بأمرين في هذا الخيال ، المخاطرة والخوف . فالمخاطرة مجابهة المجهول والتطلع الى فرض ارادتنا على الاشياء الادبية المستعصية ، والخوف : هو التوجس من المفاجآت التي تتبدى بين مظاهر الامور المستقرة .
(انظر النقد الأدبي الحديث ، لمحمد غنيمي هلال — ط ٤ دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٦٦

(٢) "القابليو" جنس ادبي خاص راج في فرنسا من حوالي منتصف القرن الثاني عشر حتى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى . وهو قصة شعرية تؤلف لتحكى ، والجانب الغالب فيها هو جانب المسلاة" ولكنها قد تكون مع ذلك ذات طابع خلقي او اجتماعي ، ثم انها تنحو منحى واقعيا مبنيا — عادة — على شؤون الحياة اليومية . أو مشاغل العيش الغالبة والمشاكل الصغيرة التي تعرف لأفراد الطبقة الوسطى . ويعنى الشعراء فيها بابراز العيوب التي تثير السخرية ، لانها أسهل في اثارة الضحك وارضاء العامة الذ بن كانوا هم جمهور الشعراء في هذا الجنس الأدبي .
ويرى " جاستون باري " ان هذا الجنس قد استمد كثيرا من عناصر وجوده من الآداب الشرقية ، واستشهد بقصص من هذا الجنس الأدبي مصادرها عربية ، او هندية انتقلت من قبل الى الأدب العربي عن طريق الفارسية في كليلة ودمنة .
(انظر الادب المقارن ، لمحمد غنيمي هلال ، ص : ٦٤ و ٦٥ ط ٥ دار الثقافة ودار العودة بيروت .

(٣) انظر الادب المقارن صفحة ٢٠٦

وقد سخر " سرفانتيس " الاسباني من أدب الفروسية وما فيه من تصنع وزيف في قصته الخالدة " دون كيخوته "[١] اذ قلد قصص الفروسية تقليدا ساخرا ، ونقل مجال الحوادث من الجانب المثالي الى الجانب الواقعي الأليم ، وتقدم كثيرا في التحليل النفسي لشخصيته : " دون كيخوته " فجعل منه نموذجا بشريا ، وكشف عن جوانب نفسية دقيقة تجاوز بها مجرد تصوير نموذج عام . وقد حمل " سرفانتيس " على من يبتعدون عن الواقع ، ويقاقون ميدان الكلمات بدلا من سنابل الحقيقة ، وساعدت دعوته تلك على أن تخطو القصة خطوة أخرى نحو العناية بالواقع وما فيه ، على الرغم من أن معاصريه لم يفهموها حق الفهم[٢] .

وكانت قصص الرعاة في عصر النهضة أقرب الى الواقع من قصص الفروسية السابقة ، على الرغم من ان ادراك الحب واحد فيهما فقصص الرعاة تظل فيها العناصر العجيبة الموجهة للاحداث ، وتكاد تنحصر في السحر واستطلاع المستقبل ، فالحوادث فيها انسانية في جوهرها ، على الرغم من أنها رتيبة وقد صور كتابها اماكن واقعية في بلادهم جعلوها مجال الحوادث التي دارت بين الرعاة . وهذه القصص نشأت أولا في الادب الايطالي ، ثم الاسباني ، ثم الفرنسي[٣] .

وفي القرن السادس عشر والسابع عشر في اوروبا وجد جنس جديد من القصص ، خطا بالقصة خطوات نحو الواقع ، وهو ما أطلقوا عليه قصص الشطار — أول ماوجدني اسبانيا — وهو قصص العادات والتقاليد للطبقات الدنيا في المجتمع ، وتختص بأن المغامرات فيها يحكيها المؤلف على لسانه ، كأنها حدثت له . وهي ذات صبغة هجائية للمجتمع ومن فيه . ويسافر فيها البطل (المؤلف) على غير منهج في سفره ، وحياته فقيرة يائسة يحياها على هامش المجتمع ، ويظل ينتقل بين طبقاته يكسب قوته . وأول قصة من هذا النوع هي قصة اسبانية عنوانها " حياة لازاريو دي تورمس وحظوظه ومحنه "[٤] وهي قصة تنبع من واقع الحياة في الطبقات الدنيا ، وتصفها كما يمليها منطق الغرائز الصريح ، وهي معارضة تامة لقصص الرعاة السالفة الذكر ، وتسير على نقيضها ، لانها تصف واقعا لا مثالية فيه ولا أمل .

وقامت على أنقاض قصص الشطار قصص العادات والتقاليد في معناها الحديث ، وخلت القصة بذلك من العناصر العجيبة الخارقة للمألوف ، واتخذت حوادث الحياة العادية مادة خصبة لموضوعاتها[٥] .

وفي أواخر القرن الثاني عشر نهضت القصة في الآداب الكبرى الاوروبية ، فتطورت قصص العادات والتقاليد ، ونتج عنها ما يسمى : القصص ذات القضايا الاجتماعية ، وصارت القصص بذلك ذات صبغة ديمقراطية في علاج مشكلات الشعب ، وقامت بأخطر دور للأدب في الحضارة الحديثة[٦] .

---

(١) انظر ملخص القصة في كتاب : المدخل الى النقد الأدبي الحديث ، الباب الثالث ، الفصل الاول ، لمحمد غنيمي هلال ، وانظر كذلك :
P. Hazard, Doq Quichotte , Paris 1949. P.P. 282 - 303

(٢) انظر المرجع السابق ص ٩٧ — ١٠٨ (المدخل الى النقد الادبي الحديث) ، لمحمد غنيمي هلال .

(٣) انظر المرجع السابق ، فيه أمثلة لتلك القصص وموجز لها في الفصل الاول ، من الباب الثالث .

(٤) انظر ملخصا لهذه القصة في "الادب المقارن" لمحمد غنيمي هلال ط ٥ دار الثقافة ودار العودة بيروت ص : ٢١٤ الحاشية رقم ١ .

(٥) الادب المقارن ، لمحمد غنيمي هلال ، ص ٢١٦ ط ٥ دار الثقافة ودار العودة — بيروت .

(٦) انظر André le Breton; Le Roman Francais an XVII Siècle Chap. VI , VII, XI.
وكذلك F.C.Green, op, Cir, PP. 200-230

وفي العصر الرومانتيكي [1] ساعدت الفلسفة [2] على الدعوة الى حقوق الفرد في المجتمع على ليمان شخصيات القصة في الأدب الفرنسي والانجليزي • وكانت هذه الدعوة هي جوهر الرومانتيكية في ناحيتها الاجتماعية • وفيها وضع اتجاهان كانا يتلاقيان آخر الامر ، هما : الكشف عن حالة الفرد في حقوقه المهضومة التي تتطلب تغيير النظم القائمة في ذلك الحين ، ثم ما تستلزمه سعادة الفرد بعد ذلك من تعاون اجتماعي من نوع جديد [3] •

وفي ظل الرومانتيكية ايضا نشأ جنس القصة التاريخية بقواعدها الفنية الخاصة بها ، وكان الرومانتيكيون يقصدون في هذا الجنس الى احياء ماضيهم الوطني التاريخي •

ويعد الرومانتيكيين استكملت القصة نواحيها الفنية ، في الآداب الاوروبية ، في ظل المذهب الواقعي والمذاهب الأخرى التي تلت الرومانتيكية ، [4] :

وعن طريق المذهب الواقعي [5] والمذهب الطبيعي اكتمل مفهوم القصة الحديث ، فتخلصت من العالم الغيبي والقوة العجيبة التي كانت تدينها من الملاحم ، ومن العالم المثالي الذى كانت تبعد فيه عن الواقع المألوف ، ومن العالم الارستقراطي الذى كانت تهتم فيه بطبقة خاصة هي في الغالبة من المجتمع ولا تمثله •

ولم تكتف بعد ذلك بالنزول الى أغوار المجتمع لتسير مشكلاته ، بل غاصت كذلك في الجوانب المظلمة ، جوانب السوء في الافراد والجماعات لعالجها •

اذا نظرنا الى العرب من هذه الزاوية التاريخية ، نجدهم في الجاهلية كانوا من أبعد الأمم — نتيجة لبيئتهم — عن هذا العطاء الذى قدمه اليونان ، ولم يتهيأوا فيها للشعر القصصي

---

(١) كانت قصص الرومانتيكية تدافع عن القضايا الاجتماعية وتحمل الطابع العاطفي المشبوب الثائر، وتثير الافكار اثارة مباشرة خطابية غالبا •
والشخصيات الرئيسية فيها ضحايا نظم المجتمع ، وهم رمز لطبقات اجتماعية ، يدافعون عن آرائهم او يمثلونها في بطولة يحيد بها مؤلفها عن مجرى الحقائق المألوفة في عامة الناس • وغالبا ما كان الشر — وهو هدف الهجمات في هذه القصص — ممثلا في صور الظلم الجماعي الذى يعاني منه البائسون والفقراء (النقد الأدبي الحديث) ص: ٥١٥ •

(٢) انظر كتاب الادب المقارن صفحة ٣٣ و ٣٤ و ٣٨ •• لمحمد غنيمي هلال ط ٥ دار الثقافة ودار العودة بيروت • وانظر تاريخ الفلسفة تأليف اميل بريه باريس ١٩٥٠ جـ ٢ ص ٤٨٦ — ٤٨٧ •

(٣) تشابهت القضايا الاجتماعية في الآداب المختلفة في العصر الرومانتيكي ، وكانت تدور حول اثارة الرحمة بالبائسين والاعتداد بحقوق الفرد في وجد المجتمع ، ثم الحد من حقوق الطبقات الارستقراطية • Holcraft: Saint - Jves, letter 79; Cité par L.
انظر Gagamian : le Roman Social en Augleterre I, PP.66,67

(٤) المذهب البرناسي)(مذهب الفن للفن) والمذهب الواقعي ، والمذهب الرمزى ، والمذهب الوجودى •

(٥) الواقعية: لاتوغل في وصف الشر، وتنتصر للخير ، فتوجد الاحداث بحيث تنتصر الحياة على العدم ويغلب الخير الشر، وتسير الانسانية الى التقدم حتى ولو أدى ذلك الى تزييف الموقف •
على حين تعنى الواقعية الاوروبية والوجودية معا ، بوصف الموقف كما هو ، على أن تختار جانب انتصار الحياة بالايحاء لا بالتزييف • تاركة للقارئ استنتاج مايرى من خلال التجربة الانسانية الصادقة المبررة ، مع قصد أصحابها الى التنفير من الشر عن طريق وصفه الصادق •
انظر: النقد الادبي الحديث لمحمد غنيمي هلال ص ٥١٩ و ٥٢٠ ط ٤ دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٦٩ •

والتمثيلي كما تهيأت له اليونان ، فنرى شعرهم قد بقي غنائيا ، لا يخرج عن نفس صاحبه ، عكس ما أتى به شعراء اليونان وغيرهم ، على أن القصة لدى العرب — في القديم — لم تكن من جوهر الادب كالشعر والخطابة والرسائل مثلا ، بل كان يتخلى عنها كبار الأدباء لغيرهم من الوعاظ وكتاب السير والوصايا ، يوردونها شواهد قصيرة على وصاياتهم وما يسوقونه من حكم ، وقد يكون لذلك صلة بنبوغ كثيرة من مسلمي ايران في القصص والمواعظ العربية ممن كانوا يجيدون اللغتين : العربية والفارسية ، على ما يذكره الجاحظ ، مثل الخطباء والقاصين من أسرة الرقاشي ، ومثل موسى الاسواري ، وكان هؤلاء يفيدون من اطلاعهم على قصص "الشاهنامه"(١) .

واذا حاولنا أن نلقي نظرة تاريخية فاحصة على مصادر القصة العربية في الأدب العربي القديم نجد أن عيون الأدب العربي التي تمت للقصة بصلة تأتي فنها وغرضها قسمان (٢) .

١ — قسم مترجم دخيل : كليلة ودمنة ، وألف ليلة وليلة .

٢ — وقسم عربي أصيل : كالمقامات ، ورسالة الغفران ، وحي بن يقظان .

اذا نظرنا الى القسم المترجم الدخيل ، نجده قد وصل أشده في عصر امتزاج الشعر (٣) بعد انتشار الاسلام ، حيث دخل كثير من الفرس الاسلام حفاظا على قيمتهم بين العرب ، الأمر الذي فرض عليهم ان يتعلموا اللغة العربية لفهم القرآن والسنة من جهة ، ورغبة في الظهور والاستعلاء من جهة ثانية ، فهم أهل حضارة قديمة ، عرفت الكثير من حضارات الأمم الغابرة فدرسوا اللغة العربية ، وتمرسوا بها ، فوجدوا أن يغذوا هذه اللغة الجديدة ، عن طريق الترجمة والنقل بما يرونه في القصة الفارسية من روعة وجمال ، فكان ان ترجم عبدالله بن المقفع (٧٢٩ — ٧٥٨م) (١٠٦ — ١٤٢ هـ) كتاب كليلة ودمنة (٤) كما ترجم مترجم مجهول الهوية كتاب "ألف ليلة وليلة" وقد حملت كثيرا من قضايا الرومانتيكية ، منها الهرب من واقع الحياة في عالم خيالي طيب سحري ، ومنها السخرية بالملوك ، ومنها ترجيح العاطفة على العقل في الاهتداء الى الحقائق الكبرى ، اذ أن "شهرزاد"

---

(١) من أخبار "الشاهنامه" أو سير الملوك الفارسية ما تسرب الى جزيرة العرب في الجاهلية كالقصص التي كان يحكيها "النضر بن الحارث" عن "رستم" و "اسفنديار" يعرف بها الناس عن الرسول . وفيه نزلت الآية "ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ...." وكذلك انظر الجاحظ : البيان والتبيين ، جـ ١ ص ٢٧٤ — ٢٨٤ .

(٢) انظر الأدب المقارن ، لمحمد غنيمي هلال . ط ٥ ص: ٢٢٠ دار الثقافة ودار العودة بيروت

(٣) كان ذلك في العصر العباسي الاول والثاني ابتداء من ٧٥٠م — ١٣٢ هـ الى ٩٤٥ م — ٣٣٤ هـ .

(٤) "كليلة ودمنة" كانت ترجمة عبدالله بن المقفع لهذا الكتاب سببا في خلق هذا الجنس الادبي الجديد في اللغة العربية ، ذلك أن حكايات الحيوان في الادب العربي القديم قبل كليلة ودمنة كانت اما شعبية فطرية تشرح ما سار بين العامة من أمثال ، واما مقتبسة من كتب العهد القديم ، وهي ذات طابع ديني يتصل بالعقائد .... وفيه تتمثل الخصائص الهندية .

انظر جمهرة الامثال للعسكري ، وفي "مجمع الأمثال" للميداني (جـ ٢ ص ١٣) وانظر الجاحظ : الحيوان ، جـ ٢ ص ٣٢٠ — ٣٢٤ وانظر : قصص الحيوان في الادب العربي ص ٦٤ و ٦٥ للدكتور عبد الرزاق حميده .

قد هدت الملك الى انسانيته ، وردته عن غريزته الوحشية ، لابوساطة المنطق ، بل بالعاطفة ، فصارت رمزا للحقيقة التي يعرفها المرء عن طريق هذا الشعور والحب ، وبهذا المعنى الاخير انتقلت " شهرزاد " الينا في أدبنا العربي المعاصر ، بفضل تأثير الآداب الأوروبية ، وذلك كما في مسرحية " شهرزاد .. لتوفيق الحكيم ، وقصة شهرزاد " التي عنوانها " القصر المسحور" لتوفيق الحكيم وطه حسين ، وكقصة " أحلام شهرزاد " للدكتور طه حسين ، ومسرحية شهرزاد "لعزيز أباظة ، ومسرحية : شهرزاد لعلي احمد باكثير (١).

أما عن القسم العربي الأصيل فأصوله أصيلة النشأة غير مترجمة ، ومنها المقامات (٢) ورسالة التوابع والزوابع (٣) ورسالة الغفران (٤) وقصة حي بن يقظان (٥).

---

(١) راجع الأدب المقارن (ص ٢٢٣) .

(٢) المقامة في الاصل معناها المجلس" ثم أطلقت على مايحكي في جلسة من الجلسات على شكل حكاية ذات أصول فنية . وموجز هذه الاصول انها حكاية قصيرة يسودها شبه حوار درامي وتحتوى على مناظرات يرويها راو هو عيسى بن هشام في مقامات البديع ، والحارث بن همام في مقامات الحريري ، عن " بطل " يقوم بها وأبو الفتح الاسكندري في أشر مقامات بديع الزمان وأبو زيد السروجي في مقامات الحريري .

اول من اخترع المقامات وأعطاها هذا الاسم في العربية هو بديع الزمان الهمذاني المتوفي عام ٣٩٨هـ (١٠٠٧ ـ ١٠٠٨م) انظر ابن الاثير : الكامل ،جـ ١١ ص ١١٨ .

(٣) للشاعر الاندلسي ابي عامر احمد بن شهيد (٣٨٢ ـ ٤٢٦ هـ) وهي رحلة خيالية في عالم الجن يحكي فيها كيف التقى بشياطين الشعراء السابقين من توابع ومفردة تابع او تابعة اى مايتبع الانسان من الجن) والزوابع (جمع زوبعة ، اسم شيطان او اسم رئيس الجن ، تجرى بينهم مناظرات ومساجلات أدبية ، وكذلك بينه وبين مايجده من مخلوقات في عالم الجن وهو ينتصر في هذه المساجلات الادبية دائما (انظر كتاب : المدخل الى النقد الادبي الحديث ، ط ٢ ص ٤٢٠ ـ ٤٣١ لمحمد غنيمي هلال .

(٤) لأبي العلاء المعري المتوفي عام ٤٤٩ هـ (١٠٥٩ م) التي تشبه الكوميديا (الالهية " لدانته في نوع الرحلة وأقسامها وكثير من مواقفها .. ولكن دانتي لم يطلع على رسالة الغفران ، بل تأثر تأثيرا مباشرا " بحكاية الاسراء والمعراج التي نمت بين المسلمين وزيد كثيرا فيها ، بناء على احاديث موضوعة شرحت بها الآية الكريمة " سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا " ثم من مصادر عربية صوفية أخرى من أهمها الفتوحات المكية" لمحي الدين ابن العربي .
انظر (البحاثة المستشرق الاسباني " ميجيل بالاثيوس " (١٨٧١ ـ ١٩٤٤) مجلدا كبيرا في مدريد يشرح فيه مصادر دانتي العربية في ملحمة الكوميديا الالهية ص ١٥٣ .

(٥) لابن طفيل محمد بن عبدالملك (٥٨١ هـ) وحي " يقصد به العقل الفعّال ، أو النفس الملكية المفكرة ، وهذا العقل حي دائما ، غير متغير ، لايهرم ابدا " وابن يقظان "كناية عن صدوره عن القيم الذى لاتأخذه سنة ولا نوم . والرحلة الموصوفة في الرسالة رمزية ترمز الى طلب الانسان للمعارف الخاصة ، بصحبة رفقة من الحواس ، وفي حركة تطلب المعارف العليا ، يستعين الانسان بالعقل الفعّال الذى يهديه عن طريق المنطق والفلسفة ، وبفضل مصدر المعارف الذى هو مصدر النفس الملكية . وهذا العقل الفعال قدسي . انظر الادب المقارن لمحمد غنيمي ص: ٢٣١ ط ٥ دار الثقافة والعودة بيروت وانظر ملخص للقصة في الادب المقارن ص (٢٣٤ ـ ٢٣٥) لمحمد غنيمي هلال .

انظر ابن سينا رسالة حي بن يقظان ، رسالة القدر طبعة ليدن ١٨٩٩ ومعها شرح وترجمة بالفرنسية .

اذا نظرنا الى هذه المقامات ، بالاضافة الى أصلها العربي ، نجدها قد أثرت تأثيرا واضحا في الادب الفارسي " ففي مقامات حميد الدين الفارسية ، للقاضي حميد الدين البلخي (عمر بن محمود) المتوفي عام ٥٥٩ هـ (١١٦٦ — ١١٦٧ م) يسير على نهج اصحاب المقامات العربية .

" وكان لهذا التراث القصصي يد بيضاء على الادب الاوروبي ، يشهد لها المنصفون من النقاد والمؤرخين للادب العالمي ، حتى أن " جوستاف لابون " يقرر أن العرب هم ابتدعوا روايات الفروسية "(١) وقد بنى تيمور هذا الرأى على سبق رسالة الغفران " للمعرى قصته " الكوميديا الالهية " التي كتبها " دانتي " الايطالي بثلاثة قرون ، وكلتاهما تعالج وصف العالم المجهول ، عالم الآخرة ، وما يزال الباحثون يعقدون أشتات الموازنات بين القصتين ، ويستجلون ما بينهما من مشابهات في الخالم والاتجاهات .

ونرى بعد مضي خمسة قرون على قصة " حي بن يقظان " التي وضعها " ابن طفيل " في القرن الثاني عشر الميلادى ، ترجمت الى اللاتينية والانجليزية ثم ترجمت الى غيرها من اللغات (٢) وبعد هذه الترجمات بقليل ظهرت قصة " روبنسن كروزو لدينو " وقصة " جلفر " لسويفت " وكلاهما كان في القرن الثاني عشر ، ولم يخف على الناقدين أثر " ابن طفيل " فيما أخرجه " ديفو " و " سويفت " من قصصهما الخالد . وكان ابن طفيل هو الذى شق لهما وجه الطريق ، ورسم لهما خطة السير ، وانهما يسبحان في كثير من الاجواء التي هو سبح فيها ، ويتأثران فيما لاحظ وما فطن ، فقد أظهر وأبان في قصته الرائعة ، كيف يتاح لامرئ أرضعته ظبية على طفولته الشاردة ، وألقته أرض ليس بها أنيس ، أن يدرج على الفطرة في مدارج الحياة ، وكيف يكتشف نفسه ، ويتبين الطبيعة حوله ، وكيف يسلك سبيل المعرفة ، ويهتدى الى غوامض العلم ودقائقه ، حتى يتصفح بتفكيره ذروة الحقيقة المقدسة في هذا الوجود (٣) .

ونرى أيضا أن ترجمة القصص الشعبي مثل " سيرة عنتر " قد شاعت وقصص ألف ليلة وليلة (٤) التي جاوز الهوس بها كل حد ، فقد استعذب الأجانب فيها مذاقا جديدا لم يعرفوه من قبل ، وأنسوا وراء صورها وشائج انسانية عريقة . ويؤثر عن " فولتير (٥) أنه لم يزاول فن القصة الا بعد أن قرأ ألف ليلة وليلة اربع عشرة مرة ، ويحكى عن " استدال " مؤلف " ديربارم " أنه تمنى لو أن الله محا من ذاكرته " ألف ليلة وليلة " حتى يستعيد لذته بقراءتها من جديد .

واذا حاولنا أن نتتبع هذا التأثير في كتب الأدب المقارن (٦) نجد أن الباحثين قد كشفوا عن معالم التأثير بأدب القصة ، الذى خلفته القرائح العربية في جملة من أعمال الأدباء الأعلام

---

(١) تيمور ، محمود . القصة في الادب العربي الحديث وبحوث أخرى ، ص ١٢ القاهرة مكتبة الآداب .

(٢) راجع تاريخ القصة والنقد للسباعي بيومي ص ١٤ — ١٦ القاهرة — مكتبة الانجلو المصرية ١٩٤٦ م

(٣) راجع ملخص القصة في الادب المقارن ، ط ٥ ص ٢٣٤ — ٢٣٥ دار الثقافة ودار العودة بيروت

(٤) راجع جدد وقدماء (دراسات — نقد — ومناقشات) ص ٢٦١ لتقف على رأى " بول فان تيغم " جب " الانكليزى .

(٥) راجع القصة في الادب العربي وبحوث أخرى ، لمحمود تيمور ، ص ١٣ — ١٥ القاهرة مكتبة الآداب .

(٦) من كتب الأدب المقارن : الادب المقارن : لمحمد غنيمي هلال — ط ١ دار الثقافة ودار العودة بيروت ١٩٥٣ .

في الغرب ، وما يزال المجال فسيحا لاكتشاف جوانب التأثير المباشر وغير المباشر لهذا الأدب القصصي العربي في الآداب الاجنبية على الصعيد العالمي .

وعلى سبيل المثال ، عندما نقرأ ما تخلل أعمال القاص " أدجار آلان بو " من صور للأبنية والقصور ، وما وصف به الأستار والطنافس ، ونحوهما من أثاث ورياش ، وما صور به المسارك والقناديل وتلونها واندلاع ألسنة اللهب من أثنائها ، لا تملك الا أن تعود بنا الذاكرة الى القصص العربي وصوره وأخيلته وتهاويله ، وان " بو " قد تأثر في كل هذا عن طريق " ألف ليلة وليلة " وما جرى مجراها . وليس اقتنان بو " باللسان العربي يحتاج الى توكيد ، فقد صور ذلك في مقطوعاته الشعرية عندما أراد وصف مثال للحسن في أسمى نماذجه ، فلم يجد اقتباسا أفضل من تلك الصورة المعجزة التي وصف بها القرآن نور الله في قوله تعالى " نوره كمشكاة ، فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري ، يوقد في شجرة مباركة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار (١)

. . . . .

ما ذكرناه من قصص كان أشهرها في الادب العربي قبل العصر الحديث ، ولكن ، لنا ملاحظة لابد من تسجيلها ، وهي ، ان القصة العربية لم ينظر اليها في القديم على أنها جنس أدبي له قواعد ، اورسالة فنية اوانسانية ، كما أن هذا الجنس لم يلق أية عناية من نقاد العرب قبل العصر الحديث ، لأنهم لم يعنوا بنقد الأدب الموضوعي ، ولم ينظروا بنظرات ذات قيمة فيما يخص وحدة العمل الأدبي غنائيا كان أم غير غنائي ، لأن نقدهم كان نقدا لجزئيات العمل الأدبي في الأعم الأغلب .. (٢) .

اذن لم يكن للقصة قبل العصر الحديث عندنا شأن يذكر ، بل كان لها مفهوم خاص لم ينهض بها ، ولم يجعلها ذات رسالة اجتماعية وانسانية ، لأن الألوان القصصية القديمة ، التي كانت حكاياتها خليطا من قصص الكتب السماوية ، ومن القصص الشعبي العربي الذى دار حول أعمال الأبطال المغامرين ، نجد ها الألوان المستحكمة في النفوس ، وقد نسج الناس على منوالها الكثير من الحكايات التي كان يتلهون بها ويسمرون ، وكان تنقل أخبار الأبطال المحليين وأعمال الأمراء والمشايخ الذين كانوا يتناوبون الحكم ، وخصوصا في لبنان (٣) حيث كانوا يتناولون ألوانا من القصص لا تخرج عن قصص الأخلاق والعادات التي تعرفها كل أمة ، ومازالت تصحبه حتى اليوم (٤) ولكن ، هل استطاعت الحكايات الشعبية بأنواعها المختلفة ، أن تهيء في لبنان لكتابة القصة في بداية عصر النهضة ؟ وهل استطاع أولئك الكتّاب أن يأخذوا من هذه المادة القصصية موضوعات يصوغونها فـــــــــــــــــــــــــي

---

(١) سورة النور ؟ آية ٣٥

(٢) راجع الأدب المقارن ، لمحمد غنيمي هلال ، ط ٥ ص؟ ٤٢ ، دار الثقافة ودار العودة — بيروت .

(٣) ركزنا على لبنان ، لأنه البيئة العربية التي تحتضن سهيل ادريس وتؤثر فيه ، وهو موضوع بحثنا

(٤) من الاساطير التي اشتهرت في لبنان ، كما اشتهرت عند امم كثيرة ، أسطورة " أدونيس وعشتروت " وهي اسطورة عيد الربيع في لبنان ، وكانت اسطورة مشهورة عند السومريين والبابليين والاغريق مثال الجمال اللبناني القديم .

قوالب غنية ؟ ان ما وصلنا من فن قصصي لا يؤكد هذه القضية ، وان كانت هناك بعض الملاحم الشعبية الشعرية[١] رغم ان اللبنانيين كانوا يتلون أخبار الشعر والشعراء ، ويطلعون على جميع الألوان التي اعتبرناها أصلا للقصة العربية[٢] .

كان هذا التراث الضخم من الألوان الأدبية المختلفة لقى أمام عيون أدباء لبنان في بداية عصر النهضة ، ولكنهم لم يتلفتوا اليه أكثر من لفتة يانية ، حيث نبذوا ما كتب منه بلغة لا يرضونها فقامت معركة لغوية حامية الوطيس في تلك الآونة التي كانت تقتضيهم جهادا شاقا لاحياء لغتهم لغايات قومية وطنية ، ولمآرب أدبية[٣] .

وفي نهضتنا الحديثة أيضا ، كان الرأى الأدبي العام في بلادنا العربية ، تصطرع فيه نزعتان : نزعة احياء القديم من الأدب العربي ، وما فيه من لون قصصي ، وذلك ببعث ذخائره ، ومحاكاتها ، ليستأنف أدبنا العربي بمامجده في عصوره الزاهرة ، وكانت النزعة الثانية أن ننهل من أدب الغرب ماننهل حتى يتاح لنا أن نكتب القصة في صيغتها الجديدة ، وننفخ فيها من روح الحياة ، والمجتمع[٤] ولكن ، هذا لم يمنع اللبنانيين من المحاولة في كتابة القصة[٥] بيد أن أنضج هذه المحاولات كانت محاولة اليازجي في "مجمع البحرين" كان القصد منها ـ كما يقول محمد يوسف نجم ـ كتابتها بلغة عربية صافية جزلة ، وادارتها في جو عربي صرف ، ووسيلة لبعث التراث العربي ، وبث الشعور القومي في النفوس[٦] .

لم تكن كتابة اليازجي الا تقليدا لكتابة المقامة في العصر العباسي الثالث والرابع ، فالمقامة باطارها الصلب الجامد ، وبانشائها المتكلف الرهق ، وبحكاياتها التي تتوارى خلف الشغف بالاغراب اللغوى ، والحرص على تسجيل المعارف والعلوم ، لم تكن لتلائم روح العصر الأدبية ، لذلك لم يقدّر لها أن تعيش ، وتساير ركب النهضة الأدبية الحديثة ، فماتت قبل أن تتحرك ، سواء في القديم أو في الحديث ، رغم ما اتحفت به مقامات " المويلحي " في مصر ، وحافظ في " ليالي سطيح " بعيسى الجدة ، وثوب يلائم روح العصر الى حد كبير .

ونرى أن اللبنانيين بحكم اتصالهم بالغرب ، سواء كان هذا الاتصال عن طريق الترجمة أو غيرها ، أخذوا يتطلعون الى نتاج الفكر الغربي ، بعد أن أحاطوا التراث القصصي الشرقي ، واستطاع نتاج الغرب ان يلعب دورا هاما في تحرير شعورهم وعقليتهم وتطوير شخصيتهم . وكانت القصة أول ما قابلوه أمامهم ، لأن النصف الثاني من القرن التاسع عشر سجل نهضة عظيمة للقصة في الأدب الغربي ، ولعل دنو القصة من الينابيع الشعبية واستجابتها لرغبات القراء العاديين ، أبناء الطبقة

---

(١) كحكايات دارت حول الأمير بشير الشهابي ومحسن الهزان ويوسف كرم وسواهم .
(٢) الأغاني " وكليلة ودمنة " وألف ليلة وليلة ، والمقامات ، ورسالة الغفران ، وحي بن يقظان وغيرها .
(٣) نجم ، محمد يوسف . القصة في الأدب العربي الحديث ص ١١ و ١٢ .
(٤) بيومي ، السباعي . تاريخ القصة والنقد . ص ١٥ ـ ١٨ القاهرة . مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٦م
(٥) مثل القس حنانا الصير ، واحمد البربير ، ونقولا الترك ، وابراهيم الاحدب ، والشدياق ، واليازجي .
(٦) راجع القصة في الادب العربي الحديث " لنجم ص ١١ و ١٢ " .

البرجوازية الناشئة في عالمي الفكر والشعور كانا سببين مهمين في أيثار الكتّاب لها وتفضيلها على غيرها من ألوان الأدب ، ولقد لعبت الصحافة والترجمة ومن ورائها المطبعة دورا في خدمة القراء الذين لم يتمكنوا من قراءة القصص في لغاتها الأصلية ، حيث بدأت المجلات تنشر وتترجم بعض القصص لترضي قراءها ، وأغلبيتهم الساحقة من العامة (١) .

ومع انتشار القصص المترجمة ، وعن طريق الصحف والمجلات ، تغيرت نظرة الأدباء الى القصة ، وفهموا نظرية هذا الفن ، وبخاصة اولئك الذين يجهلون اللغات الأجنبية ، والمتمسكين بلغتهم العربية ، لذلك أقبل الناس على قراءة هذا اللون من الأدب ، كما أقبل الكتّاب على كتابته فحسنوا في أساليبه ، ورفعوا من موضوعاته ، وأعلوا من شأنه ، لأنهم بدأوا يشعرون بتطور الذوق الأدبي العام ، وبخاصة القصة ، فزاد عدد الكتاب ، كما زاد عدد القراء .

ونرى أن القصة كانت من أهم ماشغلت به اقلام الناقلين ، ولاتزال حتى الآن بابا واسعا في الأدب العربي الحديث ، على أن هذا الفن لم يظل معتمدا كل الاعتماد على النقل ، فقد ظهر جيل في العالم العربي ، بعد الحرب العالمية الثانية ، استطاع أن يعالج القصة والتأليف فيها فجروا فيه شوطا بعيدا في تطوير العبارة ، فأصبحت أقرب الى أذواق الجمهور ، كما تطورت موضوعاتها وأهدافها ، ولم يبق العالم العربي كما كان في بدء النهضة يحاول السير الى الامام وعيناه الى الوراء ، بل اندفع يغرف من مناهل الحضارة الغربية ، فتأثر بها فكريا واجتماعيا ، واستوحى منها مالم يجده في مانقل اليه من تراث قديم .

ومنذ استقر الوضع بعد الحرب العالمية الثانية ، بدأ يظهر في جيل الأمة العربية جيل من رواد الاداب الأجنبية ، فترجموا الكثير من روائعها ، ثم أخذوا يحاولون التأليف القصصي من واقع حياتهم ومطالب عصرهم .

ونرى بعد جيل الحرب الثانية من رواد القصة العربية جيلاً آخر في النزعة والأصول في كتابة القصة من رجال ونساء ، يمثلهم سهيل ادريس ، وكلهم مرهف القلم (٢) على أن عملهم لم يتم بعد ، ولكننا سنتناول أعمال سهيل ادريس بالدراسة والتحليل في الابواب التالية ، حتى تكتمل الصورة التي بدأناها في تاريخ القصة ، ولكن بالصورة الفنية التي تتعلق بالاسلوب والمضمون ، وما يدور بفلكهما ، حتى نعرف الأبعاد التي وصلت اليها القصة العربية الحديثة على أيدي هؤلاء الناس الذين يمثلهم سهيل ادريس في وقتنا الحاضر .

---

(١) - من المجلات التي كانت تنشر القصص المترجمة :
" حديقة الأخبار " لخليل الخوري بيروت ١٨٥٨ . فقد نشر فيها قصص عدة ، موضوعة ومترجمة ، ومنها قصته " (وى) اذن لست بافرنجي " التي جمعها فيما بعد ، وطبعها بالمطبعة السورية ١٨٦٠ ، وكان كثير من أصدقائه يترجمون بعض القصص والمقالات ، ويبعثون بها لنشرها في صحيفته ، ومن هؤلاء : سليم بسترس ، واسكندر توبني ، وغيرهما . وراجع كل مايتعلق بهذه الصحف في القصة في الادب العربي الحديث " لمحمد يوسف نجم ص ١٥ و ١٦ و ١٧ .

(٢) - المقدسي ، أنيس . الفنون الأدبية واعلامها ص ٥٠٨ . دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٣ .

الفصـــل الثانـــي

الفن في اللغة :

الفن ، من فن فنا الشيء : زينه ، وفن الابل ، طردها • وفنن النـــاس ، جعلهم فنونا • وفن رأيه ، لونه فلم يثبت على راى أحد ، وفن الشيء بالشيء ، خلطه • تفنن الشيء ، تنوعت فنونه • والفن : جمع أفنان وفنون • وجمع أفانين ، الضرب من الشيء أو النوع "الحال " هو تطبيق الفنان معارفه على ما يتناوله من صور الطبيعة فيرتفع به الى مثل أعلى تحقيقا لفكرة او عاطفة يقصد بها التعبير عن الجمال الاكمل تلذيذا للعقل والقلب "(١)

الفن في الاصطلاح :

هو انتاج الانساني الذى يدور حول عنصر الجمال ، او الذى يكون فيه الجمـــال اصلا يدور حوله •

والفن من أوسع الالفاظ العربية انتشارا ، تستعمل كثيرا في موضوع الأدب ، وفي غيره من الموضوعات ، ولها ألوان من المعنى • ونستطيع أن نطلق على كلمة فن كلمة صناعة ، مع كل ما ينطوى تحت هذه اللفظة من نوع ، ووصف ، ومعنى •واختلاف النظرة الى الفن معروف وقديم ، فقد يكون بنظر البعض ترفا ومتعا يستغنى عنهما ، وقد يكون تقليدا للطبيعة • وقـد يكون ابتكارا ، وقد يكون مستمدا من الوظيفة التي يؤديها • وقد قيل فيه الكثير "(٢) ولكن معنـاه يتضمن المهارة والقدرة •

وفن القصة ، هو الطريقة التي يعالج فيها الكاتب القصصي موضوع قصته بأسلوب فني ويستجيب لواقع الحياة •• وهذان العنصران : العنصر الفني ، والاستجابة لواقع الحياة همـــا الاساسان الضروريان لكل قصة فنية •

فمن حيث الفن ، نرى المحدثين من كتاب القصة يعنون بأن تكون اكثر احكاما وأكثـر حرصا على الانسجام الفكرى والارتباط العاطفي ، والتحليل الباطني ، ليجد القارئ فيها شيئـا غير مجرد الخبر والتسلية الممتعة العابرة •

ومن حيث استجابتها لواقع الحياة ، فيمكن القول أن القصة بهذا المعنى حديثـــة العهد في جميع الآداب العالمية • فمؤرخو الادب لايرجعون تاريخها الى أبعد من القرن الثامن

---

(١) راجع المعجمات العربية •

(٢) علي أسعد : فن المنتجب العاني ـ الكتاب الثالث ص ٢٦١ ط ١ دار الانسان الجديد بيروت
الفن عند افلاطون: تقليد للتقليد ، لذلك تأتي مرتبته ادنى من الفكر ، وهذه هي النظرية المثالية •
والفن عند ارسطو : تقليد او تعبير لشيء ما ، ولكنه ليس تقليدا اعمى ، انما هو تقليـــد بتصرف والفنان لاينقل الطبيعة كما هي ، انما يستعين بها ليعبر عن اشياء جديدة ، وليضيف اليها من ذات نفسه ، وهذه هي النظرية العلمية الواقعية •
وأصحاب النظرية المثالية يقولون : ان الفن للفن ، اى يجب ان يسمو الفن على مستوى الحياة العادية ، ويرون ان الفنانين آلهة يعيشون في عالم مثالي ، ويخلقون في هذا العالـم مايشاؤون ، ويحاولون بما خلقوا ان يسموا بالناس الى مستوى هذا العالم •

عشره لانها كانت قبل تدور على غرائب من الحوادث التي لا تمت الى واقع الحياة بصلة ، او على أشخاص خياليين تنسب اليهم من وقائع البطولة او المغامرات ما لا يساوه العقل والمنطق [١] حتى أتى " سرفانتس" الاسباني ، فألف قصته " دون كيخوته " وضمنها من الواقع ما جعلها أول نموذج للقصة الحديثة ، وقد تلاها قصص كثيرة تصور المجتمع ، وتنقل العادات والتقاليد ، وبذلك خرجت القصة من دور الخيال الى دور الواقع المحسوس ، وأخذت تعنى بتحليل العواطف والنفوس ، ولكنها لم تتخلص تماما من حكايات المغامرات . ولا نصل الى القرن التاسع عشر حتى نجدها تعنى بطبقات المجتمع والفرد وحقوقه المهضومة .. وكلما تقدمنا في القرن حقبة كلما تقدمت القصة خطوة .. ولم تابث ان استوعبت الحياة بجميع صورها السعيدة والشقية ، وفسحت صدرها للقضايا الاجتماعية وللتحليل النفسي ، بحيث غدت في عصرنا أهم نوع ادبي انساني يجلو أعماق الحياة البشرية ، والأحوال النفسية الواعية ، وغير الواعية ، وكأنها دائرة معارف الانسان ، فهي تجسم احساسنا به ، وبمشاكله وظواهره وبواطنه منفردا ومتقلبا في مجتمعه [٢] .

عناصر القصة : قبل الكلام عن عناصر القصة لابد من الاشارة الى أنواعها [٣] ، فقد قسموا القصة الى ثلاثة أنواع من حيث الكم ، أما من حيث النوع ، فقد قسموها الى أنواع عديدة .

آ ـ من حيث الكم ، ركزوا على ثلاثة أنواع هي :

١ ـ القصة القصيرة ، وسموها بالأقصوصة [٤] أحيانا ، وهذه القصة تعالج جانبا او قطاعا من الحياة ، وتقتصر فيها على حادثة او بضع حوادث يتكون منها موضوع مستقل بشخصياته ومقوماته ، ولكن افترة زمنية محدودة ، تفرض عليه أن يكون تاما وناضجا من الوجهة التحليلية والمعالجة .. وهنا تظهر براعة الكاتب لان مجال القصة القصيرة ضيق ومحدود أمامه ، الامر الذي يتطلب منه الوعي التام والتركيز المركز .

٢ ـ والقصة : وهي تتوسط بين الاقصوصة والرواية ، وفيها يعالج الكاتب جوانب ارحب مما تعالجه " القصة القصيرة " فيطول الزمن ، وتمتد الحوادث ، وتتوالى تطورها في شيء من التشابك .

---

(١) المقدسي انيس ، الفنون الادبية وأعلامها ، ص: ٤٩٨ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ١٩٦٣م

(٢) ضيف ، شوقي ، في النقد الادبي ، ص: ٢٢٥ و ٢٢٦ ، ط ٢ دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٦

(٣) ١ ـ راجع دراسات في القصة العربية الحديثة لمحمد زغلول سلام ص ٥ مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٦٤ .
٢ ـ وراجع الفنون الادبية واعلامها ، لأنيس المقدسي ص ٤٩٩ و ٥١٥ دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٣ .
٣ ـ راجع تاريخ القصة والنقد ، للسباعي بيومي ص ١٤ ـ ١٦ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٦م

(٤) تختلف القصة القصيرة عن الاقصوصة في أنها فترة كاملة من حياة خاصة أو مجموعة من الخبرات بينما الاقصوصة تتناول قطاعا او شريحة او موقفا من الحياة ، ولذا يضطر الكاتب الى الخوض في تفاصيل يتجنبها كاتب الاقصوصة .
نجم ، محمد يوسف ، فن القصة ، ص ٩ ط ٥ دار الثقافة بيروت ١٩٦٦م

٣ — والنوع الثالث هو الرواية[١] " يعالج فيها كاتبها موضوعا كاملا او اكثر ، زاخرا بحياة واحدة تامة او اكثر ، فلا ينتهي القارئ منها الا وقد ألم بحياة البطل او الابطال في مراحلهم المختلفة . وميدان هذا النوع فسيح امام كاتبها ، حيث يستطيع ان يكشف الستار عن حياة ابطاله ، ويجلو الحوادث مهما تستغرق من الوقت ، وقد تتناول أمة بكاملها ، أوجيلا بكامله .

ب — والقصة من حيث النوع ، سواء كانت قصة قصيرة ، او رواية ، نجدها قصة اجتماعية وقصة فلسفية ، وقصة تاريخية ، وقصة بوليسية ، وقصة عاطفية ، وقصة انسانية ، اى حيث الموضوع الذى تعالجه . ونستطيع ان نطلق على جميع هذه الانواع اسم القصة الفنية ، لانها لم تكن على هذه الفنية إلا بعد التطعيم الذى حصل نتيجة للثقافات الغربية التي اطلع شرقنا عليها ، آذن ، " فالقصة الفنية ، دخيلة على الادب العربي ، ناشئة فيه ، لا أنصب لها في الشرق ولا استمداد لها من ادب العرب "[٢] .

واذا أخذنا كلمة تطعيم[٣] ، وحاولنا أن نقف على نتائجها ، نجد أن تطعيم الآداب بعضها ببعض خير الوسائل وأجداها لترقية الأنواع . وهذا ما عمله الخيال اللبناني المعاصر في الادب العربي ، حيث طعمه بالثقافات الاخرى ، فأتم ما بدأ به العباسيون الاوائل ، لان الثقافة كالمتجر ، تنمو وتزداد بالتبادل والعمل المنتج ، واللبناني تاجر عبقرى ، وصورة الثقافة كما قالوا : تختلف باختلاف المحيط والزمان .

والقصة الفنية ، على اختلاف مضمونها لاتكون بلا هدف اجتماعي ، فهي صورة عن المجتمع .. أما الذى لايهم ، فسواء أن يكون القصصي واعظا "[٤]

عناصر القصة الفنية[٥]

كل قصة فنية لها عناصر تلتزمها ، ولا تخلو منها أية قصة جيدة ، وهذه العناصر هي : (الوسط او البيئة ـ الحبكة ـ الحدث ـ الشخصيات ـ الحوار ـ الاسلوب) وسنحاول بقدر الامكان ، اعطاء فكرة عامة موجزة عن قيمة هذه العناصر في وحدة القصة الفنية ،

---

(١) الرواية ، نوع من القصص يتفاوت في الطول ، ويكتب بالنثر ، استخدمت هذه الكلمة لاول مرة في انجلترا في القرن ١٦ عندما عرفت فيها القصة الايطالية ، ومنها قصص الديكاميرون التي كتبها بوكاشيو .

اما الرواية الحديثة فيرجع تاريخها الى القرن ١٨ والى الروايات التي كتبها كل من دانيل ديفو وصمويل ريتشاردسون .

ولما كانت الرواية تختص بقدر كبير من الحرية ، من حيث الصياغة والموضوع ، كان من الصعوبة بمكان الوقوف على تعريف دقيق لهذا النوع من التأليف .

الموسوعة العربية ص ٨٨٣

(٢) راجع القصص في الأدب العربي ، ماضيه وحاضره ، لمحمود تيمور ، ص ٢٣ مكتبة الاداب القاهرة .

(٣) راجع ، جدد وقدماء لمارون عبود ، ص ٣٠٥ دار الثقافة بيروت ١٩٥٤ م

(٤) عبود ، مارون . جدد وقدماء ص ٢٦١ دار الثقافة بيروت ١٩٥٤ .

(٥) راجع فن القصة عند نجم ، ودراسات في القصة العربية ، لمحمد زغلول سلام ، وفن القصة القصيرة لرشاد رشدى ، والقصة من خلال تجاربي الذاتية ، للسحار .

حتى تصبح دراستنا شاملة ، نوعا ما ، لفن القصة من جهة ، ومن جهة ثانية نرى الى أى مدى استطاع سهيل ادريس ان يوفق بين كتاباته وبين هذه العناصر الفنية .

نحن لانعني أنه يوجد مقياس دقيق لمعرفة القصة الجيدة ، فالقصة ككل عمل فني يختلف الناس في تقديرها ، والاختبار المعقول لتقديم قصة ما هو الا مدى تأثيرها في نفس قارئها ، فان عاش فيها مدة طويلة ، وتغلغلت في نفسه وبدلا من أن تذوب وتتلاشى نمت فيها على مرور الزمن ، تكون قصة فنية تقرأ ، فيهبها قارئها الحياة ..

١ — الوسط أو البيئة ؟

هي مجموعة القوى والعوامل الثابتة والطارئة التي تحيط بالفرد وتؤثر في تصرفاته في الحياة ، وتوجهها وجهات معينة ، وبهذا لم يعد الانسان سيد نفسه ، كما لايمكن أن يعتبر ظاهرة منبتة مفصولة عن أسبابها ونتائجها ، بل هو الحلقة الأخيرة من سلسلة طويلة من الأجداد والآباء ، وهو عضو في أسرة كبيرة ، وآلة تديرها يد ضخمة قوية هي يد الطبيعة أو يد القدر أو يد المجتمع (١) .

وللبيئة دور هام تلعبه في تطور الأحداث ، والحبكة القصصية ، وفي حياة الأبطال وصراعهم مع القوى المختلفة لهذه البيئة ، أو الظروف التي تمليها عليهم ، وتكون العنصر السائد عند الواقعيين لأن الواقعية التي نريدها للقصة الفنية الكاملة ليست هي الواقعية التي يشهد بصدقها المؤرخون ، وتقدم الوثائق دليلا على صحتها ، لكنها الواقعية التي تلقي في روع القارئ أنها صحيحة . (٢)

وأثر البيئة واضح جدا في تطور احداث "الخندق الغميق" و"الحي اللاتيني" وقد أملت ظروف البيئة على سامي " الصراع المستمر الذى لازمه في كل خطوة كان يخطوها على مسرح حياته ، ولم تكن اقامته في فرنسا قادرة على أن تزيل هذا الأثر الذى اعاده الى بلاده ، تاركا حبه هناك بوحي من البيئة التي عاشها في طفولته .

٢ — حبكة القصة ؟

الحبكة في القصة ، أو العقدة ، هي مجموعة الحوادث التي تجرى فيها ، ويربط " نجم " هذه الحوادث التي تجرى فيها برباط السببية ، وهي لاتنفصل عن الشخصيات الا فصلا مصطنعا مؤقتا ، وذلك لتسهيل الدراسة ، فالقاص الذى يعرض علينا أبطاله دائما لايعرضهم الا متفاعلين مع الحوادث ، متأثرين بها ، ولا يفصلهم عنها بوجه من الوجوه (٣) .

ومهما يكن من أمر ، فهناك نوعان متميزان للحبكة الاصلية ، هما : الحبكة المفككة ، والحبكة المتماسكة .

---

(١) راجع فن القصة لمحمد يوسف نجم ، ص ٢٣ ط ٥ دار الثقافة بيروت ١٩٦٦ م

(٢) فنون الأدب لتشارلتون — ترجمة زكي نجيب محمود ص ١٤٠ .

(٣) نجم ، محمد يوسف ، فن القصة ، ص ٦٣ ، دار الثقافة — بيروت ١٩٦٦ م .

والقصة ذات الحبكة المفككة ، لايكون لها سلك ينظم كل حوادثها ، وليس لها عقدة واحدة ، ففيها أكثر من عقدة ، وأكثر من بطل ، وأكثر من حادثة غير متماسكة لانها أشبه بالحياة الكبيرة التي تتفاعل فيها الشخصيات وتتصارع لتتكون الحقيقة الفنية التي يهدف إليها كاتبها (١) وعلى سبيل المثال نذكر روايات سهيل ادريس وقصة الشارع الجديد للسحار و " زقاق المدق " لنجيب محفوظ ، " والحرب والسلام " لتولستوى .

ويرى تشارلتن " أن بعض كتاب القصة المعاصرين لايعنون بهذه الحبكة ، ومن ثم بهم لايرتبون احداثهم في ترابط وتسلسل ، بل يحشدون حوادث القصة في خلط وفوضى لتجيء قصصهم مطابقة للحياة ، لأن حوادث الحياة لاتسير على نظام معلوم ، تراهم لايجعلون لقصصهم بداية ، ولا نهاية ، لأن الحياة لاتبدأ عند نقطة وتنتهي عند أخرى ولا بد أن يصوروا الواقع في قصصهم ، فيضعون حقيقة في أثر حقيقة لاتربطهما صلة ، لأن حقائق الحياة تتابع على هذا النحو بغير صلة لازمة ، بين السابقة واللاحقة . ومن هذا القبيل أيضا مايتجه اليه بعض رجال القصة المعاصرين من سوق حكايات قصيرة متعاقبة ، او محادثات متقطعة تفصل بينها الفواصل ، وقد بلغ هذا الاتجاه الجديد في القصة ابلغ مداه عند " جويس " و " مس وتشردس " فنراها يخرجان القصة في غلط عجيب زاعمين أنهما يصوران الحياة تصويرا واقعيا (٢)

وعلى هذا الاساس يرى تشارلتن ان حبكة القصة ذات أهمية كبرى في صياغتها الفنية ، وتعتمد على عدة عناصر ، منها : التوقيت (٣) ، والايقاع (٤) والتشويق (٥) .

---

(١) نجم ، محمد يوسف ، فن القصة ص ٧٣ ، وكذلك راجع دراسات في القصة العربية الحديثة لمحمد زغلول سلام ص ٢٦ .
وراجع القصة من خلال تجاربي الذاتية لعبدالحميد السحار ص ٢٧ — ٣٠ محمد الدراسات العربية العالية القاهرة ١٩٦٠م

(٢) فنون الادب لتشارلتن ، ترجمة زكي نجيب محمود ص ١٤٧ .

(٣) التوقيت : هو سير الحوادث في بطء أو سرعة تجمعها ثم انطلاقها ، وهكذا .

(٤) الايقاع : هو التنويع والتغاير في درجات الانفعال ، ومقدمة من القاص لتاعلى هيئة امواج تتحرك بنظام خاص لتؤدى الى تأثير معين يشعر القارئ معه بأن القصة تسير وفق قانون مرسوم وهذا التعبير التموجي هو الذى يسمى الايقاع ، وقد يبدو احيانا متحركا مسرعا .

(٥) اما عنصر التشويق : فهو كل مايعمد اليه الكاتب من حيل وما يعرفه من اشياء في القصة وتطور احداثها تشد القارئ اليها . ويختلف هذا العنصر باختلاف عرض كل كاتب له وطريق معالجته اياه مثل اخفاء سر معين على القارئ تدور عليه احداث القصة ويكشف للقارئ شيئا فشيئا حتى العقدة او الذروة . وهذه الذروة هي نقطة فاصلة تتدرج الحوادث قبلها صعودا حتى تصل الى ذلك التوتر ، ثم عملية التصفية والكشف عن الخاتمة .
١ — راجع دراسات في القصة العربية لمحمد زغلول سلام ص : ٢٧ و ٢٨
٢ — راجع فن القصة لمحمد يوسف نجم ، ص(٨٥ — ٨٧) .

والقصة ذات الحبكة المتماسكة هي على عكس ذلك ، اذ تقوم على حوادث مترابطة يأخذ بعضها برقاب بعض ، وتسير في خط مستقيم حتى تبلغ مستقرها .. وأكثر قصص سهيل ادريس القصيرة من هذا النوع ، مثل العراء ، وأشواق ..

ولا يمكن فصلها عن شخصياتها و فالشخصيات ، وسلوكها تؤثر في سير القصة وتطورها حتى تصل الى نهايتها الطبيعية ، وتحل مشاكلها بعد أن ينتهي الصراع بين الشخصيات ويستنفذ كل أغراضه . (١)

٣ ـ الحدث :

الحدث هو اقتران فعل بزمن ، ومن الضروري وجوده في القصة لانها لاتقوم الا به وقد يكتفي بعرض الحدث نفسه دون مقدمات او نتائج كما في القصة القصيرة ، وقد يعرض هذا الحدث متطورا مفصلا مثلا في القصة الطويلة او الرواية .

وتتفاوت القصص في بيان هذا العنصر ، فمنها مايهتم بالحدث ويؤثر على غيره ويفتن في عرضه في صور مشوقة ، كما هو الحال في قصص " الف ليلة وليلة " وفي " القصص البوليسية " .

على أن بعض كتاب القصة يعتمدون على اغفال الاحداث (٢) لشد القراء لقصصهم ويدخلون عليها عناصر غير طبيعية ، لزيادة المفاجأة والاغراب ، وتضخيم الحوادث مثل تدخل الجن والمردة في قصص " الف ليلة وليلة " والقضاء والقدر والمصادفات في قصصنا الحديث ، ولكن الافضل والأنسب ماتقدمه سهيل ادريس من قصص تسير الاحداث فيها طبيعية او كالطبيعية .. ولا تخلو قصة من قصصه تناقض هذا الاسلوب الذي يقودنا الى الاحساس بواقعية الحياة التي يحياها أبطال هذه القصص .

٤ ـ الزمن :

والزمن ضابط الفعل ، وبه يتم ، وعلى نبضاته يسجل الحدث وقائعه ، ونحن وان كنا لانستطيع ان نفصل بين الحدث والزمن الا اننا نتبين اثر الزمن عاملا فعالا في كثير من القصص الطويلة والروايات .. ومن أظهر القصص التي تبرز عنصر الزمن قصة " تولستوي " الحرب والسلام " فقد يبدو عامل الزمن في هذه القصة في انطواء وزوال الاجيال .

والزمن يلعب دورا كبيرا في تنوع القصة . فالقصة القصيرة ، مثلا لا تحتاج الى فترة زمنية محدودة ، عكس الرواية التي تحتاج الى زمن قد يستغرق أسرة كاملة أو شعبا كاملا او أجيالا متتابعة .

---

(١) راجع القصة من خلال تجاربي الذاتية ، للسحار ص (٣٠ ـ ٣٣)
وراجع فن القصة ، لنجم ص : ٧٦

(٢) راجع فن القصة ، لمحمد يوسف نجم ، ص: ١٤٣ ـ ١٤٧ ط ٥ ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٦م .

٥ — شخصيات القصة :

اذا أخذنا بعين الاعتبار قصة ما ، فأول مايصادف الكاتب ، سواء استمد موضوعه من الحياة التي يحياها او يراقبها او تعدى ذلك الى عوالم الخيال والخوارق لايجاد شخصياته ، وتحركاتهم ، من رجال ونساء ، تحركات الاحياء الذين تعرفهم او نعلم بوجودهم ، ونراقبهم حتى نهاية القصة على مسرح خاتمتها .

ولكن ، من أين يأتي الكاتب بشخصياته ؟ (١) ولا شك فشخصية كل انسان مشتقة من عناصر اساسية لاتتعدى مولده وبيئته وسلوكه او الظروف التي تعترض طريقه ، والانسان بصفة عامة له صورتان لشخصيته : صورة يعرفه الناس من خلالها ، وأخرى خاصة به ولا تظهر الا للاخصاء ، او المقربين العارفين ، لذلك نرى ان شخصيات كل كاتب لاتخرج عن ثلاثة مجالات هي :—

١ — الملاحظة المباشرة في الحياة المحيطة به ، والاعتماد على ادراكه لامكانيات الشخصية الانسانية ، ولطاقاتها الكامنة ، وهذا الادراك يتوقف على فهمه لشخصيته وقدرته على استيطانها والفطنة الى أحاسيسها الداخلية ، وخصوصا ان الانسان مزيج من الخير والشر ، ولا وجود للشخصية الخيرة كلها ، ولا للشخصية الشريرة كلها في واقع الحياة ، لذلك كان تصوير شخصية بيضاء بلا شر ، او سوداء بلا خير تصويرا يبعد عن الصدق ، ويزخر بالزيف والافتعال .

٢ — الاقتباس من اكثر من شخصية حية ، قد يسمع عنها في احد مجالسه او من احد اصدقائه ، او حتى يقرأ عنها في صحيفة او في كتاب ، ويعجب بها ، فيبني لها عمارة قصصية يؤثثها بالاثاث اللائق من الانفعالات ، والاحداث ، عبر فترة زمنية محددة .

٣ — الخيال : حيث تكون شخصية القصة خيالية ، لاوجود لها في الحقيقة وليدة الخيال ، الذي من خلاله يستطيع الكاتب ان يخلق الشخصية التي يريدها ، ويستطيع بوساطتها ان يفعل مايعجب ان يفعله عبر الحقيقة ، اى يستطيع من خلال هذه الشخصية ان ينفّس عن رغباته الكامنة في أعماقه .

وعلى "العموم" إن الشخصية في القصة تختلف عنها في الحياة . فالفن والحياة شيئان متباينان ، والوجود في أحدهما يختلف عن الوجود في الآخر ، فالحياة تفرض علينا وجودا مستمرا ، بينما الشخصية في القصة ، لاتظهر الا في الاوقات التي ينتظر منها ان تقوم فيها بعمل ما ، بينما نحن في حياتنا الواقعية نعيش اياما ، بل سنين ، دون ان نعمل عملا هاما يلفت النظر (٢)

---

(١) ١ — راجع فن القصة لمحمد يوسف نجم ، ص : ٩ — ١٠٨ ط ٥ دار الثقافة بيروت ١٩٦٦م.
٢ — وراجع دراسات في القصة العربية الحديثة لمحمد زغلول سلام ص ١٤ — ١٩ مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٤م.
٣ — وراجع القصة من خلال تجاربي الذاتية للسباعي ص ٨٢ — ٨٦ معهد الدراسات العربية العالية القاهرة ١٨٦٠.

(٢) نجم ، محمد يوسف ، فن القصة ط ٥ : ص : ٩٣ ط ٥ دار الثقافة بيروت ١٩٦٦م

واذا نظرنا الى القصص الحديثة من حيث الشخصية ، نراها لم تكتف بعرض الشخصيات بصورة عامة ، او ترك الاحداث تبين جوانبها ، بل عمدت بتطور الدراسات النفسية ، الى التغلغل في أعماق العقل الانساني ، وتعقب العوامل التي تعمل داخل النفس الانسانية ، لها بالنسبة للحدث في اللحظة والزمن الواحد ، بل بناء على تعقيد ناشيء من الظروف المختلفة . وفي القصص الجيدة نرى شخصية ابطالها يغلب عليها هذا اللون ، ولكن قد تكون بعض الشخصيات مركبة وان غلبت عليها صفة واحدة تحجب جوانبها .

ضروب المعالجة الفنية :

اذا نظرنا الى هذا الموضوع بعين يقظة ، نجد ان كل كاتب طريقة خاصة به ، يقدم من خلالها ابطال قصصه على مسرح القصة ، ويكشف جوانبهم شيئا فشيئا ، ونراه يحايثهم بالطريقة التي يريدها لهم ، ولكن عن طريق المراقبة لا التدخل المباشر .

وضروب المعالجة الفنية ، او طريقة عرض الحوادث او تطويرها لم يظهر منها حتى الان الا اربعة انواع ، نلخصها لاعطاء فكرة ايضاحية لبحثنا هذا ، وحتى تكون المعالجة كاملة من جميع نواحيها وان كانت بشكل موجز بسيط .

١ — طريقة السرد المباشر : وهي الطريقة الملحمية ، يعمل الكاتب هنا كعمل المؤرخ ، وفي هذه الطريقة يسرد القاص الاحداث في تتابع ، ويقدم اشخاصه مفسرا تصرفاتها ، ومحللا افعالها ، ويسير بالاحداث او الشخوص السير الطبيعي ، حتى تبلغ الاحداث نهايتها ، وهي اكثر الطرق شيوعا ، ويغلب فيها التاريخ الظاهر لمجموعة شخصيات القصة ، واكثر ما نعرفه من قصص ينتمي الى هذه الطريقة .

٢ — طريقة الترجمة الذاتية : ويتحدث فيها الكاتب بضمير المتكلم على لسان البطل او البطلة ، او على لسان شخصية ثانوية وهي أبسط طريقة لعرض حوادث القصة وتطويرها ، ويعيبها ان القراء — وأحيانا النقاد — غالبا ما يستقر في ضمائرهم ان القصة المروية انما هي الا ترجمة ذاتية لمؤلفها ، وانها قد وقعت بتفاصيلها . وهذا الاتهام الذي وجهه الكثيرون من القراء والنقاد الى سهيل ادريس .

٣ — طريقة الوثائق : او الرسائل المتبادلة ، ومنها يعتمد القاص على الرسائل المتبادلة بين ابطال القصة ، ومن خلال تلك الرسائل يعالج المشكلة ، ويوضح الشخصيات ويرسم الجو العام للقصة .. ويستطيع القاص ان يجمع بين طريقتين او اكثر من هذه الطرق كما فعل سهيل ادريس في رواية "الحي اللاتيني" .

٤ — طريقة تيار الوعي (١) ، او المنولوج الداخلي ، المعتمد على معطيات علم

(١) هذه الطريقة اوجدها كاتب فرنسي مغمور من الرمزيين "ادوار ديجاردان" وقد ألف قصة ردعا ما "لقد سقطت اشجار الغار" اصدرها في باريس ١٨٨٨ وهي قصة شاب باريسي دعا احدى الممثلات الى العشاء ، وهي تسجل الخواطر التي جالت بذهن ذلك الشاب وبذهن تلك الممثلة في ذلك اللقاء .

النفس ، والقول باللاشعور ، وهو عبارة عن شرح مايدور في أخيلة الشخصيات وعرض الناحية الفكرية لها . وتعتبر هذه الطريقة من أحدث التطورات في فن القصة ، ويعتمد الكاتب فيها على احلام اليقظة وتكاد ان تخلو القصة من الحوادث ، فقوامها الافكار والذكريات ، دون التقيد بالنظام المنطقي للاحداث .

ولكن ، لكل ضرب من هذه الضروب ميزاتها الخاصة :

فطريقة السرد المباشر ، يستطيع الكاتب من خلالها تحريك شخصياته ، ورسم الامكنة والمواقف كما يشاء .

وطريقة الترجمة الذاتية ، تساعد الكاتب على رسم جو من الصدق والسذاجة والالفة .

وطريقة الرسائل والمذكرات ، فائدتها تتجلى في اثارتها الكاتب التعبير عن الاحاسيس والعواطف التي تعتمل في نفوس مختلف الشخصيات بحرية وانطلاق ، كما انها تساعد على الارهاص والتنبؤ بالمصائب قبل وقوعها ، وبالنتائج قبل تكشفها .

وطريقة تيار الوعي " او " المنولوج الداخلي " تتيح للكاتب ان يصور لنا الحياة كما تتصورها تلك الشخصية ، وان يكشف لنا عن نظرة الشخصية الى الشخصيات الاخرى ، وبالعكس ، وهذا يرسم معالم الشخصية من خلال عالمها الشعوري واللاشعوري الخاص ، ومن خلال الاضواء التي تلقيها الشخصيات الاخرى عليها ، وبهذا يقدم لنا صورة تنضح بالطرافة والالفة والصدق (١) .

٥ ـ الحوار :

الحوار ركن من أركان الاسلوب في القصة ، يستخدمه الكاتب في تكوين الشخصية والتعبير عن آرائها ، ونظرتها الى الحياة ، وفي تصارع الشخصيات بعضها ببعض ، وفي شرح عواطفها ، وهو من أهم الرسائل التي يعتمد عليها الكاتب في رسم شخصياته ، وعمل الحوار الحقيقي في القصة هو رفع الحجب عن عواطف الشخصية ، وأحاسيسها المختلفة ، وشعورها الباطن تجاه الحوادث او الشخصيات الاخرى ، وهو ما يسمى عادة بالبوح او الاعتراف ، على أن يكون بطريقة تلقائية تخلو من التصنع والصنعة والرهق والإفتعال (٢) .

---

(١) لمزيد من الاطلاع راجع :

١ ـ النقد الادبي الحديث ، لمحمد غنيمي هلال ص: ٥٥٠ و ٥٥١ ط ٤ دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٦٩ م

٢ ـ دراسات في القصة العربية الحديثة لمحمد زغلول سلام ص٢٣ و ٢٤ مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٤ .

٣ ـ فن القصة ، لمحمد يوسف نجم ط ٥ ص٧٧ ـ ٨٢ ط ٥ دار الثقافة بيروت ١٩٦٦ .

٤ ـ القصة من خلال تجاربي الذاتية لعبدالحميد السحار ص٣٤ ـ ٤٣ معهد الدراسات العالية القاهرة ١٩٦٠م .

(٢) نجم ، محمد يوسف ، فن القصة ٥ ص : ١١٨ ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٦ .

والحوار يجب ان يكتب بلغة عربية تناسب لغة الشخوص ، فيها مذاجة ، وفيها سخرية ، وفيها عمق ، وفيها خفة ، ويكون سببا مباشراً في اكتمال جو القصة واتمام الانسجام .

٦ — الاسلوب :

نعني بالاسلوب : الصورة التعبيرية التي يصوغ بها كاتب القصة قصته ، متضمنة اللغة والعبارات ، والصور البيانية ، والحوار ، وما اليها من عناصر الصياغة . وفي الاسلوب تتجلى براعة القاص في العرض ، وفي التعبير . ولكن للاسلوب مقاييس لا يستطيع القاص ان يتجاوزها ، فهناك مقاييس نقد الكلمة ، ونقد الجملة ، والتلاؤم بين اللفظ والمعنى ، والمواءمة بين الالفاظ والطبيعة ، والتثقيف ، والتكلف والصنعة ووحدة النسيج ، وضعف التأليف ، والايجاز ، والاطناب ، وهذه المقاييس مجتمعة تؤدي اغراضها في الشعر وفي النثر ، وفي دراستنا التعثر في الطريق التعبيرية (١) .

ويحاول نقاد القصة الربط بين الاسلوب والمضمون في القصة ، شأن غيرهم من نقاد الشعر ، وهؤلاء هم الغالب في اتباع الاتجاه الواقعي . يقول " ليدل " يمكننا القول بأن الاسلوب لا ينفصل عن المعنى اذا أردنا بالمعنى المعنى الاجمالي كما ذكره رتشاردز عند ما حلله الى أربعة أقسام : الادراك والشعور ، والنغمة ، والقصد ، ويذكر ما نقله موبا سان عن فلوبير " ان كل معنى يراد التعبير عنه لا بد له من كلمة للدلالة عليه ، وفعل لحركة ، وصفة لبيان ما هيته ، ولهذا فان على الكاتب ان يبحث حتى يصل الى تلك اللفظة ، والفعل والصفة (٢) ولكن شوقي ضيف يقول عن الاسلوب القصصي انه ذو معنيين : معنى عام يشمل نسيج القصة كله بجميع مواده وعناصره ، ومعنى خاص يقف عند التعبير ووسائله اللغوية وخصائصه اللفظية وقد مرت القصة بأدوار تميزت فيها أساليبها وافترقت من طور الى طور ، ونحن نستطيع ان نتبين أصولها في الملاحم وفي الاناشيد والترانيم الدينية ، والاقاصيص الشعبية المختلفة ، ولكل امة من ذلك أطيافها التي احتفظت بها (٣) من هنا نرى أن التعبير بأسلوب غني يحتاج الى كثير من المران والدربة ، وأن الصور البيانية المشرقة لها خطرها في تقديم العمل الادبي عامة ، ولها في القصة شأن آخر وهذه الصور تجمع بين الفائدة القصصية والروعة البيانية .

اما عن عناصر القصة الفنية ، وانسجامها مع ما أنتجته العبقرية السهيلية ، فلنا معها وقفة طويلة في الباب الثالث ، وسنرى الى اى مدى كان سهيل ادريس متجاوبا ومنسجما مع هذه العناصر الفنية ، وذلك من خلال دراستنا وتحليلنا لرواياته الثلاث ، وبعض القصص القصيرة التي تمثل مجموعاته القصصية القصيرة الست .

---

(١) لمزيد من الاطلاع ، راجع كتاب في المنتجب العاني وعرفان لاسعد علي — الكتاب الثالث نقد الاسلوب الفصل الاول من صفحة ٢٦٥ — ٣٥٥ .

(٢) سلام ، محمد زغلول . دراسات في القصة العربية الحديثة ص ٣٣ مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٤م

(٣) ضيف شوقي في النقد الادبي ص ٢٢٥ ط ٢ دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٦م .

الخاتمـــــــة

رأينا من منطلق دراستنا التي تتعلق بدراسة القصة والرواية عند سهيل ادريـــــس ، رأينا أن نعطي القارئ لمحة عامة عن القصة في اللغة والاصطلاح والتاريخ ، وكذلك عـــن فن القصة ، لذلـــك جعلنا هنا الباب في فصلين :

في الفصل الأول : تناولنا القصة في اللغة وفي الاصطلاح وفي التاريخ ، وخطونا معها خطوات ايضاح عبر هذه المفاهيـــم .

وفي الفصل الثاني : تناولنا فن القصة ، من خلال الفن في اللغة ، وفـــي الاصطلاح ، وعبر عناصر القصة الفنية ، من وسط أو بيئة ، وحبكة ، وحدث ، وزمن وشخصيات وخيال ، وحوار ، وأسلوب ، مارين على ضروب المعالجة الفنية ، حتـــى تتجه دراستنا الوجهة القريبة من المعالجة الفنية التي تفرض على الكاتب القصصـــــي التزامه بقواعدهـــا .

* * * *

الباب الثالث

اعمال سهيل ادريس

الفصل الأول

١ - المبحث الأول : قصة العمراء
٢ - المبحث الثاني : قصة القراءة في العيون المغمضة
٣ - المبحث الثالث : قصة اصدقاء
٤ - المبحث الرابع : قصة رحماك يا مشرق

الفصل الثاني

روايات سهيل ادريس

١ - المبحث الاول : الخندق الغميق
٢ - المبحث الثاني : الحي اللاتيني
٣ - المبحث الثالث : اصابعنا التي تحترق
٤ - المبحث الرابع : روايات سهيل ادريس في مرايا النقاد

خاتمة

الفصل الأول

أقاصيص سهيل ادريس

١ — المبحث الأول : العراء
٢ — = الثاني : القراءة في العيون المغمضة
٣ — = الثالث : أشواق
٤ — = الرابع : رحماك يا دمشق

الباب الثالث

اعمـــال سـهيل ادريـــس

المدخـــل :

أعمال سهيل ادريس تدلّ عليه في حياته الخاصة وفي حياته العامة ، ولطالما عرفت الحياة بعديد من ألوانها من الآثار الأدبية التي يكتبها الموهوبون . (١)

وربما يصحّ ماقاله المستشرق الأب . جومييه ، في صدد دراسته لثلاثية نجيب محفوظ ، على مايتعلّق بأعمال سهيل ادريس عموما ، وروايانه الثلاث خصوصا . فالأب جومييه يقول : " وما من شك في أنّ كلّ عمل فني فيه نصيب من الخيال ومن الابتداع الذي خلقه الفنان خلقا ، ولكنه - فيما عدا حالات نادرة جدا - يعكس أيضا جانبا من الواقع ، حتى ولو لم يكن هذا الجانب سوى الفنان نفسه ... " (٢)

فالخيال والواقع يدخلان في كلّ عمل فني ، الواقع يمدّ الفنان بالوقائع ، والخيال يمدّه بالصور التي تنقل الواقع تصويرا وتطويرا . (٣)

وسهيل ادريس ، تأثر بوقائع عاشها ونقلها الى الدنيا بأعماله لعلّها تحدث أثرا فتشجّع على المثل العليا وتنفّر في الحياة الدنيا (٤)

ان سهيل ادريس يصوّر الحياة في " الخندق الضيق " وفي " الحي اللاتيني " وفي " أصابعنا التي تحترق " ويعطي للواقع ألوانا من الخيال المصوّر الذي يصوّر به جهاد المفكر العربي ليقرّر واقعا ويغيّره .

فسهيل ادريس يقرّر " عمق الخندق " الضيق بين جيلين : جيل متزمّت ، وجيل يتوق الى التحرّر (٥) . وابن الخندق الضيق التائق الى التحرر لايجده في وطنه وانما

---

١ - لاحظ على سبيل المثال :
أ) الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، للدكتور أحمد محمد الحوفي ، القاهرة ، مكتبة مصر ، ط ٤ ، سنة ١٩٦٦ م .
ب) ابن الرومي حياته وشعره ، لعباس محمود العقاد ، بيروت . دار الكتاب العربي ، ط ٦ ، سنة ١٩٦٥ م .
ج) الانسان والتاريخ في شعر أبي تمام ، للدكتور اسعد علي ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ط ٢ ، سنة ١٩٧٢ م .

٢ - ثلاثية نجيب محفوظ . الأب ج جومييه : ترجمة الدكتور نظمي لوقا . القاهرة ، مكتبة مصر ١٩٥٩

٣ - تظهر الفكرة جلية في " مجتمع العرب وشخصيتهم في البلاغة " للدكتور اسعد علي ، بيروت ، دار الانسان الجديد ، ص : ٣ ط ١ ١٩٧٤ م ففيه درس تحليلي لاشتراك الواقع والمثال في كل عمل فني .

٤ - لاحظ الحماسة للمثل العليا وحسن الاستفادة من اثارتها في الأدب عموما في مقدمة : الانسان والتاريخ في شعر أبي تمام ، ص : ٣٠

٥ - قرأت تحليلا يركز المشكلة تركيزا نقديا وتربويا في :
أ - العلاب وانسان المستقبل ، لاسعد علي . بيروت . دار الرائد العربي ط ١ ١٩٧١ م
ب - لأنك حبيبتي أو اسطورة الصحراء ، المقدمة لاسعد علي ، بيروت ، التعاونية اللبنانية ط ١ ، ١٩٧٤ ، ص ١١ - ١٧

يجده في "الحي اللاتيني" وهنا يشعر بالغصّة ، لأن الحي " لاتيني وليس عربيا ، هذا هو الواقع فماذا يحمل الانسان العربي المفكر ؟ أيعيش لهو " الحي اللاتيني " ، بعيدا عن تزمّت الاب والام ، أم أن عليه واجبا آخر ؟

في روايات سهيل ادريس الثلاث ،

وفي قصصه القصيرة الخمسين .

وفي مسرحيته ، ومحاضراته ، ونشاطاته في مجلة الآداب ، واتحاد الكتاب (١) أجوبة مختلفة على مضمون هذا السؤال .

يفهم ، اجمالا من أعمال سهيل ادريس القصصية ، أن على المفكّر العربي الذي عاش في العالمين أن يتّخذ شيئا لحيه " الخندق الضيق " ليردم جور الأخطاء والتزمت ويصعد به ليكون " الحي العربي " .

في هذه الأعمال صور لهذا التدرّج عن " الخندق الضيق " الى " الحي اللاتيني " ثم العودة الى " الخندق الضيق " والكفاح له ليكون الحياة " للحي العربي " .. وكل هذه الأعمال تؤرّخ ، بصورة ما ، لحياة مؤلفها العائدة من " الخندق الضيق " ممثّلة حياة أمته المكافحة لتصعد من خندقها الضيق الى " حيها التوعي " المشرق .

ومن هنا أهمية أعمال سهيل ادريس ، فقد تحدث أثرا في نفوس الشباب العرب الذين يظنّ بعضهم أن مهمتهم تنتهي في مقارعة آبائهم وأمهاتهم للتغلّب على تزمتهم والتعويض من كبت التربية الشرقية بانحلال جنسي يعيشونه في " الحي اللاتيني " أو مايشبهه " إن اعمال سهيل ادريس تبشّر بالمرحلة الثالثة : وهي مرحلة العودة الى الأصول واحتضانها لتحيا بنور الغروب (٢) فتنفع جيل الشيوخ وجيل الشباب (٣)

لذلك ابسط هذه الاعمال السهيليه ، تحليلا ونقدا ،

فأشرع بالتحليل خلاصة موضوعاتها أمام القارئ ليرى حركة سهيل الفكرية في حوالي ربع قرن .

ثم ألفت بالنقد الى قيمتها الفنية والاجتماعية .. وبالتالي أظهر دور الثقافة والفن في بناء الانسان فردا وجماعة (٤) .

---

١ ــ سأوضح مشاركة سهيل ادريس في الأدب العربي الحديث من خلال مجلته ، واتحاده بعد بسط آثاره القصصية المنشورة .

٢ ــ لاحظ الاب الانسان المستقبل ، قصة الدوامه ، أو شجرة للحياة ص ٤١ ــ ٤٤

٣ ــ لاحظ : لانك حبيبتي ، ص ١٧

٤ ــ لاحظ : زكي الارسوزي " ودور اللسان في بناء الانسان ، رسالة ماجستير لخليل احمد ، نوقشت في معهد الآداب الشرقية سنة ١٩٧٤ م ، فيها ايضاح لدور اللغة والفن في تربية الانسان ونهضة المجتمع .

وأرجو في هذا التحليل وهذا النقد أن أساعد قرّاء سهيل ادريس على حسن التأثـــر به ، سلبا وايجابا .

أعني بالتأثر السـلبي : الابتعاد مما صوره مبعدا عن جوهره الفعّال في تغيير ذاته وفي تغيير مجتمعه .

وأعني بالتأثر الايجابي : الاقتراب مما صوره مقرّبا الى جوهر "الانسان الحق" الذى يجاهد الكاتب لصناعة الحياة له ، فردا ، وفي أسرة ، وفي وطن ، وفي أمة ، وفـي كون انساني .

فهل استطعت ذلك في دراستي هذه ؟

حاولت في الباب الأول : دراسة حياة سهيل ادريس معتمدا على نصوصه أولا ، وخصوصا رواياته التي تعتبر نوعا من أنواع الرواية الفنية يسمونه : رواية الترجمة الذاتية ، ولكن هذا لايعني أن رواياته لم تأخذ من خصائص الرواية التحليلية ، وهي نوع آخر من أنواع الرواية الفنية ، كمـــا لايعني أنها لاتعطي ملامح من الرواية التاريخية ، وملامح من رواية الترفيه والتسلية [1] ، وفـي كل ذلك مواد طيبة للتعليم [2] مستمدا من الواقع [3] والابتداع [4] .

وحاولت في هذا الباب دراسة أعمال سهيل ادريس تعبيرا عن تأثراته وموهبته ، ثـم الاشارة الى مشاركته في الأدب الحديث بأوجه نشاطه المختلفة التي منها أعماله . وفي أعماله ركّزت على النتاج القصصي ، وميّزت فيه بين الروائي والقصصي ، وفي القصصي درست صـــور الأسلوب المعتمدة توصلا الى المعاني المتأثرة بالواقعية ، واقع الكاتب الفردى ، وواقع الأمة القومي .. وسنرى أن القصص القصيرة ، عند سهيل ادريس لاتعدو وقائع هذين الواقعيـــن ، كيفما جاء لأن المعالجة بصوره : سرد مباشر ، أو ترجمة ذاتية ، أو رسائل ووثائق متبادلـــة ، أو تيار الوعي أو المونولوج الداخلي [5] .

---

(١) لاحظ : تطور الرواية العربية في مصر (١٨٧٠ - ١٩٣٨م) للدكتور عبد المحسن بدر القاهرة - دار المعارف ١٩٦٣ م .

(٢) ملاحظات الأستاذ المشرف .

(٣) لاحظ : الواقعية في الرواية العربية ، للدكتور محمد حسن عبدالله . القاهـرة ، د ر المعارف بمصر ١٩٧١م .

(٤) لاحظ : فكرة الخيال والواقع في خاتمة هذا العرض ، وكذلك فكرة الواقع والمثال .

(٥) لاحظ : دراسات في القصة العربية الحديثة ، لمحمد زغلول سلام ، بعنوان : ضروب المعالجة الفنية ، فهو يعتبر ضروب المعالجة اربعة هي التي ذكرتها لأتبين عناصرها في قصص سهيل ادريس عند التطبيق عليها .

وللتأكد من كل ماتقدم نعمد الى تحليل قصص سهيل ادريس ونقدها ، لنتعرف الى عناصرها الفنية [1] وما تحققه من شروط : الوسط والبيئة ، والحبكة ، والحدث ، والشخصيات ، وضروب المعالجة الفنية ، والحوار ، والأسلوب .

من هنا جعلنا هذا الباب من فصلين ، وكل فصل يتكون من أربعة مباحث ، وهذا التمهيد وخاتمة .

في الفصل الأول : تناولنا أقاصيص سهيل ادريس في اربعة مباحث :

١ - المبحث الأول : تناولنا قصة العراء دراسة وتحليلا .

٢ - وفي المبحث الثاني : تناولنا قصة القراءة في العيون المغمضة دراسة وتحليلا

٣ - وفي المبحث الثالث : تناولنا قصة أشواق دراسة وتحليلا .

٤ - وفي المبحث الرابع : تناولنا قصة رحماك يادمشق أيضا دراسة وتحليلا .

وخرجنا بنتيجة عامة طبقناها على مجموعات سهيل ادريس القصصية الست .

وفي الفصل الثاني : تناولنا روايات سهيل ادريس في أربعة مباحث أيضا :

١ - المبحث الاول : تناولنا فيه رواية الخندق الغميق دراسة وتحليلا .

٢ - وفي المبحث الثاني : تناولنا فيه رواية الحي اللاتيني دراسة وتحليلا .

٣ - وفي المبحث الثالث : تناولنا فيه رواية أصابعنا التي تحترق دراسة وتحليلا .

٤ - وفي المبحث الرابع : تناول روايات سهيل ادريس في مرايا النقاد ، حيث استعرضنا بعض ما قيل في هذه الروايات ، ومن ثم حللنا هذه الآراء ووقفنا على أبعادها الفنية .

---

(١) بسطت القصة الفنية ، في كتب النقد المختلفة ، منها :

آ - فن القصة ، لمحمد يوسف نجم ط ٥ بيروت ، دار الثقافة سنة ١٩٦٦ م

ب - دراسات في القصة العربية الحديثة ، لمحمد زغلول سلام ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٤ م .

جـ - الأدب الفرنسي الجديد ، لفاتيان بسايكون . ترجمة نبيه صقر وانطون شمالي . بيروت - دار عويدات ط ١/ ١٩٦٣ م ، الفصل الثالث ، القصة الفرنسية الجديدة .

في هذا الفصل اعتبار خاص للقصة ، فهي لاتستجيب لحاجة سرد حكاية ، وخلق اشخاص ووصف اخلاق وأوساط اجتماعية . . تريد القصة الحالية أن تكون قصة الوضع البشري (ص ١٠٤) .

د - نظرية الأدب طبيعة السرد القصصي وأنماطه (ص ٢٧٥ - ٢٩٣) أوستن دارين ورينيه بليك ، ترجمة محي الدين صبحي . دمشق . المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ١٩٧٢ م .

المبحث الأول

أقصوصة العـــراء (١)

هي الاقصوصـــة الثالثـــة في المجموعة المسماة باسمها .

١ـ زمانهـــا : سنة ١٩٦٧ ، وهي سنة الشـــدة ، فيما تصعد العمل الفدائي وفيما كانت معركة العرب الخاسرة ، المشهورة بنكسـة الخامـــس من حزيران .

٢ ـ مكانهـــا : رأس مثقف في بيروت ، يرى صور الاسوى العرب أمام مجندات اسرائيليات في صحيفة فرنسية ، فتذهله الصور ، ويستثقل المدلول فيفقد وعيه ويسقط على حافة الطريق العام فينقله سائق سيارة الى المستشفى فيتصور ، وهو فاقد الوعي ، أنه يقوم برحلة عمليات كما يفعل الفدائيون ، فيدخل الصحراء الكبرى ، ويتعرف الى عالم مجهول بعيد غامض ، لم يعرفه الا أولئـــك الذين خرجوا دفاعا عن حق وتوكيدا لكرامة (٢) .

٣ ـ أشخاصها وأحداثها : المثقف العربي ، وزوجته سلوى ، وصديقه غسان وابن عمه عاطف ، وهناك شخصيات عامة : الشعب العربي المخدوع ، الجنود المغامرون ، الحكام المتكلمون ، المقاتلات الاسرائيليات ، الصحافـــة الاجنبية ، والاذاعات العربية .

٤ ـ جوها العام : هو جو الحياة العربية الذاهلة ، بصورة عامة ، في تلـــك الفترة من الزمان . الكل يحب ان يدافع عن وجوده وأن يغلب على ضعفـــه وأن يخرج من أقبية الظلام الى عرى الحقيقة في وضح العراء .

---

(١) العراء : ترجمها المستشرق ميرماكوف ، ترجمت الى اللغة الروسية في مجموعـــة صدرت عن دار اجانبول ، وضمت المجموعة معظم قصص العراء ، مـــع قصـــص اخرى مختـــارة من مجموعات سهيل ادريس السابقـــة طبـــع منها ١٠٠٠٠ نسخة بتاريخ ٢/ ٦/ ١٩٧٥ .

(٢) العراء ، ص: ٣٦

٥ - تسميتها : العراء ، ومعناه : "الفضاء الذى لا يستتر فيه بشيء"(١) . والكاتب في حبكة القصة وتطور احداثها يدعو "للخروج إلى العراء"(٢) . فلماذا هذه الدعوة ، وماجدواها عند التحليل والنقد ؟ .

سهيل ادريس يدعو للخروج الى العراء ، هذه خلاصة المسيرة التي قام بها المثقف العربي في تصوره ، كما فهم ذلك المثقف من زوجته رمي تروى له الحكاية بعد الوعي .

وبناء القصة الفني يجعلها نوعا من المونولوج الداخلي الذى يقرر العالم الخارجي المألوف ويحاول التخلص من أثقاله .

وتبدأ القصة بقمة الحبكة أو العقدة ،

فالعقدة في هذا الصراع الذى يصوّره الكاتب بين المثقف والجندى ، فالجندى يمشي في رأس هذا المثقف ، يمشي فوق عينيه ، يكاد حذاؤه الضخم يسحق أنف المثقف وفمه .. إن تدمي الجندى تملأن المدى كله ، الصحراء والسماء .. انهما تسدان على المثقف كل الآفاق ، وتتحركان في رأسه كطرقات مطرقة حتى ينام ارهاقا راعياء(٣) .

تلك هي عقدة القصة ، وقمة تأزمها . وأى تأزم أكبر من أن تحتل ساقا جندى بحذائهما الضخم رأس المثقف من داخله ولا تبرحانه ؟ كيف تحل هذه العقدة المتأزمة ، من ينقذ المثقف العربي من هذا الاحتلال الساحق ؟ .

ان سهيل ادريس لا يعمد الى حل العقدة ، بل يقفز الى ماقبلها ، ويحاول أن ينقلنا الى الوسط الزمني والمكاني الذى توالدت فيه خيوط الحبكة ، ونسجت الأحداث ، وسيرت الشخصيات حتى كان مالا بد منه ، وهو تلك العقدة المتأزمة ، عقدة احتلال حذاء الجندى لرأس المثقف العربي ، فكيف تطورت الأحداث حتى حصلت الأزمة .

أذيع أن الحرب قد بدأت ، ففرح الناس ، ورقصوا في الشوارع ، تعبيرا عن ايمانهم وتوقهم الى الميدان وحمل السلاح(٤) .

لكن الاذاعة لا تكسب حربا ، فقد خسرت الحرب بدون حرب ، لم يكن الحرب في المعركة ، ولم تعط لهم فرصة لممارسة شجاعتهم ، لقد كان في الأمر مافيه ، فهزم الحرب في الخامس من حزيران .

---

(١) المعجمات
(٢) العراء ، ص : ٤٢
(٣) العراء ، ص : ٣١ - ٣٢
(٤) نفسها ، ص : ٣٤

ونقل الاعلام العالمي أنباء الحرب وصورها ، في اذاعاته وصحفه .. وكان عاطف في فرنسا فحمل لابن عمه المثقف صحفا فرنسية فيها صور لجنود من الحرب الأسرى ، يسيرون أمام جنديات اسرائيليات ، وهم يرفعون أيديهم وراء رؤوسهم ، ويسيرون حفاة الأقدام .

واستلمت سلوى ، زوجة المثقف ، الصحف وقدمتها لزوجها وأرته الصورة المفجعة ، وخطرت له صور النساء العرب ، وأوشك أن يصرخ في وجهها : " أيتها القوارير الفاخرة المتلمظة التي لاهم لها الا أن تتلقى ما يقذفه الذكور في أحشائها العطشى "(١) ثم كف عن ذلك وتذكّر أن الرجال مسؤولون أيضا ، ثم فكر أن الرجال والنساء من شعبه غير مسؤولين ، انهم فرحوا باعلان الحرب ، ورقصوا ، وكانوا يتوقون لحمل السلاح والمشاركة .. ولكنهم ، لم يتح لهم ذلك الشرف العظيم .. وماذا بعد ؟

ان في عيني سلوى شيخ استسلام . وان ضمة من زوجها لها تمنحها القوة ، وتستجيب للضمة ، وتبتهل اليه ، كعادتها ، ليرحم نفسه ويرحمها ويرحم الأولاد ويعود الى الواقع والحياة وينسى أو يتناسى قضايا الأمة (٢) .

لكن المخيلة تخترع خيالا ادمى من الواقع وأشد ايلاما من الحقيقة .

ويغادران المكتب بسيارتهما ، الى شاطيء البحر فيرى السماء مقلوبة في البحر ، ويتذكر الصورة والشهداء في الصحراء ، وينكر على نفسه عذوبة حياته هنا وشقاء اخوانه هناك .. ويعودان الى المنزل لملاقاة الأولاد الذين آن موعد عودتهم من المدرسة ، وكان قد نسي أولاده منذ أيام .. ويضطجع في سريره ، ويقلب صفحات المجلة الفرنسية الممنوعة فيرى تلك الصورة المزعجة(٣) .

وينسى أنه يرى صورة ، وينسى حتى الاتجاه ، ويسير في الصيرة ليخوض الصحراء كما خاضها صديقه غسان ، وكما سيخوضها عشرات الآلاف ومئاتها .

ويبتعد عن عالمه المألوف ، متقدما نحو الصحراء ليعيش نقاءها وعريها في العراء .. لكنه يشعر بحرارة الشمس الشديدة في التاسعة .. ويتذكر زوجته سلوى وكيف رافقها الى المكتب في الثامنة ، بعد أن ذهب الأولاد الى المدرسة ، وكيف خدعها بزعمه أنه قاصد مكتب البريد ليتذكر رسالة من أهل غسان ، حملها بريد الاسبوع الماضي .. ويأمل أن يرى غسان في الصحراء ليحدثه عن ابنه وزوجته وأمه . وفجأة خطر له أن صاحب الصورة القتيل قد يكون صديقه غسانا ، وبهذه الخاطرة ازداد عذابه بالظن الذي أخذ يلسعه كحرارة الشمس (٤) .

وتذكر أنه يحمل مطارة في كتفه اليسرى ، وترانزستور في يده اليمنى .. فشرب جرعة ثم جرعتين من المطارة .. وانتبه للقتيل المجهول في ارض الصحراء الكبرى الذي قيل أنه مات عطشا ،

---

(١) العراء م ص : ٣٤
(٢) نفسه ، ص : ٣٤
(٣) العراء ، ص ٣٤ ـ ٣٥
(٤) نفسها ، ص : ٣٥ ـ ٣٧

فرص المطرة في الصحراء لعلها تساعد شديد العطش على النهوض والارتواء (١) .

وتذكر الترانزستور الذى يحمله ، " ويم فيه زرا ، وأدار زرا آخر ، فانبعثت أصوات غناء وموسيقى وأنباء وتعليقات . وفورا شعر بالغربة والاغتراب صوت عالمه المألوف " وتذكر الجنود الذين كانوا يحملون معهم أمثال هذا الترانزستور ليربطهم بالعالم البعيد ، لقد كان أولئك الاصدقاء يريدون من أجهزتهم أن تدلهم ، غير أنها أنبأتهم بأن طائرات العدو تتساقط كأوراق الخريف ، بينما كانوا يرونها تحلق فوق رؤوسهم طيورا سوداء تحمل في مناقيرها الموت ، وتجبرهم على الانسحاب خطوة خطوة (٢) .

وهذه عقدة جديدة فما الحل ؟

هذا الترانزستور يضلل ويكذب ولا يمكن أن يكون دليلا ، وعلى كل جندى أن يبحث عن بيته ، معتمدا فحسب على قدميه وعينيه ويديه ، وربما أظافره .. ولكن حتى تحمل الأظافر ينبغي أن تتحرر الأيدى .. فكر هكذا ، وقذف الترانزستور بعيدا من غير أن يخفت صوته ، وقال : " سيظل ساعات ، بل ربما أياما ، وهو يطلق زعيقه ، ولكن الصحراء لن تلبث طويلا حتى تخنقه (٣) .

ولما ألقى عنه ما يذكره بالعالم المألوف ، أحس نفسه خفيفا مطلق اليدين والروح ، فخلع قميصه ، واستقبل بصدره الشمس المحرقة ، وقال لنفسه : الآن فقط ، قد يبدأ العذاب الحقيقي (٤) .

هنا تلتقي الخيوط كلها لتشكل قمة التأزم في عقدة القصة ، ترك المثقف زوجته وأولاده واندفع الى الصحراء في مسيرة يشاركه بها البطل غسانا وأمثاله " وترك مطرته التي كان يمكن أن يشرب منها عند الظمأ .. وترك مذياعه الذى كان يمكن أن يصله بعالمه بصورة من الصور . وها هو يترك قميصه ويستقبل شمس الصحراء بصدره العارى ليبدأ مواجهة العذاب الحقيقي .. فهل يموت في الصحراء من الظمأ والحر ؟ أم هو يرى صديقه غسانا هناك ؟ .

عندما تبلغ العقدة قمة التأزم تتدرج نحو الحل ، فكيف تحل عقدة المثقف ؟ كيف يتراءى هذا الجندى رأسه ؟ وكيف ينجو من الموت في حر الصحراء ؟ .

انه يحس بلسعة في جبينه ، وحين يرفع يده تصطدم بكيس بارد ، ويسمع همس صوت يعرفه مبشرا بأنه أفاق .. ويسأل : " ماذا هناك ، وأين أنا ؟ ويسمع صوت ساوى يخبره بأنه مصاب بالحمى ، وأنه سيعود الى البيت بعد أيام .. ويغمض عينيه متذكرا رحلته القصيرة .

---

(١) نفسها ، ص : ٣٧ ـ ٣٩
(٢) الدراء ، : ص : ٣٨
(٣) نفسها ، ص : ٣٨
(٤) نفسها : ص : ٣٩

وعندما يغمض عينيه يعود الجندى ، لكنه لايمشي في رأسه هذه المرة ، بل يمشي الى جانبه ، ويشعر أنهما ينبغي أن يمشيا معا ، وماينبغي أن يسقطا أو ينهضا [١] .

ويتنبه الى كلام سلوى ، وهو لايزال مغمض العينين ، فيفهم من كلامها : أن سائقا نقله الى المستشفى بعد أن وجده ملقى على حافة الطريق العام ، فاقد الوعي .

ويتحدث الى سلوى بشأن الأولاد ، ولماذا لايأتون لرؤيته ، فتجيبه أنها لاتريد أن يروا وجهه المحروق .. وتخبره أن غسانا قد عاد من رحلته كما عاد هو من غيبوبته .. ويبدأ يعي صوت سلوى وهي تحكي له حكاية تلك السيرة ، كأنما كانت تقرأها في رسالة .. لكن الرسالة كانت طويلة وقصيرة :

انها طويلة طول أيام العذاب التي عاشها غسان في الصحراء ، فعلا ، كاشفا صدره للسماء ، يتطهر في الشمس من الأدران .

وهي رسالة قصيرة قصر لحظات الحلم الدابوسي التي عاشها المثقف بصورة ملموسة لاشعورية لم يكن فيها شيء تقريبا ، لم يكن الا دعوة للخروج الى الصحراء [٢] .

هذه تفاصيل بناء قصة الصحراء : البدء بالحبكة المتأزمة ، ثم العودة الى بدايات الاحداث ومرافقتها ، وهي تتطور وتتشابك خطوطها في الزمان والمكان لتخلق التأزم المتعقد ثم سحب الخطوط المتشابكة في رأس المثقف ، خيطا خيطا ، لتنجلي الرؤية وتتحلل العقدة ، فاذا الأخطار كلها والمخاوف جميعها تنهار دفعة واحدة بالعودة الى اليقظة الواعية .. فكيف يستفيد النقد من عرض أحداث هذه القصة ؟

ان عدسة النقد تلتقط خيوط الأشعة إلى نقطة التركز في المشكلة الام . والمشكلة الام في هذه القصة ، كما تضيء رموزها هي مشكلة القوة والفكر .

فالقوة التي رمز اليها بالجندى تعمي الفكر الذى رمز اليه بالمثقف ، اذا تسلطت عليه تسلطا فوقيا . وهذا التسلط الذى يسحق بحذاء الجندى أنف المثقف وفمه فيمنعه من الحياة مرتين : مرة عندما يمنع عن أنفه الهواء ، ومرة عندما يمنع فمه من ارسال الكلمة المنقذة المحيية .. وفي مثل هذا الموقف تقف القوة من الفكر تكون النتيجة هزيمة الأمة ، كما حصل في الخامس من حزيران .

والهزيمة ثقل آخر ، يحمله المفكر حذاء جندى يسحق أنفه وفمه مرة أخرى بالهزيمة وبما تحمله الهزيمة من عار .

وأمام الثقلين يجد المثقف نفسه فاقد الوعي ، غاضبا على نفسه ، فهو المثقف القذر [٣]

---

(١) الصحراء ، ص: ٤٠

(٢) نفسها ، ص: ٤١ - ٤٢

(٣) نفسها ، ص: ٣٥

وهو " الارستقراطي المترف "[1] وهو البعيد عن رحلة المعاناة البطولية التي يعانيها الرجال الشجعان الاشداء كصديقه غسان ، الا في التصور[2] .

ان المثقف يجلد نفسه ، وبلا رحمة يقيم بمحاكمات طويلة لنفسه ، فيدع أسرته ويتخفف من كل شيء في عالمه المألوف ليتخلص من الكذب والخطأ اللذين يؤديان الى مقتل القوة في الشعب المسالم وفي الجيش المقاتل .. انه لا يلوم الشعب الاعزل ، رجالا ونساء ، ولا يلوم الجنود ، قتلى أو أسرى أو فارين .. انه لا يلوم سوى الفكر . على الفكر ان يماشي القوة ويسير معها ، فبالفكر تهدى القوة وبالقوة يحمى الفكر . واذا افترقا فانهما يضيعان معا ، تسحق القوة الفكر فتمنعه من مدها بما يحميها من توجيه وارشاد ، وتسحقه بما تجره عليه هزائمها من آلام وأحزان وعار . اذا افترقا فان الفكر يجلد نفسه ويصبح طلوسة لاوعي فيها ، ان علاقة القوة بالفكر توأم عقدة القصة فيمشي الجندي بحذائه في رأس المثقف ويسحق انفه وفمه قبل المحركة وبعدها .. وان علاقة الفكر بالقوة تحل العقدة وتفرج الغمة ، فهل تسمع القوة نداء الفكر .

ان الفكر يدعو الى العراء ، يدعو الى الصحراء ، لأن الصحراء العربية رمز الاصالة القومية ، فمنها شعت شمس القوة العربية وحضنت العالم بدفئها ، وهدايتها ونورها .

ان صحراءنا الأصيلة تخنق زعاق الترانزستور الكاذب ، مهما طال زعاقه .. وتحيا ثبات النقاء العاري في عين السماء ،

اننا ، قوة وفكرا ، بحاجة الى العراء الذي يطهرنا من الأدران التي تحمي المفكر والجندي وتودي بهما معا الى الهلاك والهوان أمام نساء يهوديات .

هذه قصة العراء " تحليلا ونقدا "

وانها ، في مبناها ، ومعناها ، تحطي صورة عن قصص سهيل ادريس القومية .

فالمعنى قوي ، ذو ابعاد عميقة شاملة لالوان القوة والفكر ، لا تكاد تغفل اقاصيصه الاخرى من أحد هذه الالوان .. ودراستها قصة قصة تؤكد مثل هذا الاستنتاج .

والمبنى ، يصور المعنى بلغة سليمة ، وبطريقة يصح بها ما قيل في القصة الفرنسية الجديدة ، انها قصة الوضع البشري[3] .. كما يصح بها ما قيل في القصة الاميركية القصيرة ، وانها .. مرقف وانثراح[4] .. وان فيها من الخيال والواقع[5] ، كما قيل في ثلاثية نجيب محفوظ .

لكن هذه الترافقات لا تعني انها لا يمكن أن تكتب بصورة فنية أوضح وأحكم . ولعل هذا الامكان يتحقق في قصصه الاخرى ، كفاحية وغرامية ، فماذا في قصصه الأخرى ؟

---

(١) العراء ، ص: ٤١
(٢) نفسها ، ص: ٤١
(٣) الادب الفرنسي الجديد ، ص ١٠٤
(٤) الوان من القصة القصيرة في الادب الاميركي ، ص ١١
(٥) ثلاثية نجيب محفوظ ، ص ٣

المبحث الثانـــي

القراءة في العيون المغمضـة

١- زمانها : سنة ١٩٧٣ ، سنة تحطيم اسطورة اسرائيل التي لاتقهر ، وفيهـا كانت معركة العرب الرابحة ، واشتهرت بحرب رمضان ، عكس ١٩٦٧ . التي حملت معركة العرب الخاسرة ، هزيمة الخامس من حزيران .

٢- مكانها : أ- مطار بيزا ، ليستقل بدالما الطائرة الى روما في طريق عودته الى بلده ، رآها في قاعة الانتظار " تنفض شعرها التدلي ، فينكشف له مناوجه أبيض أميل الى الاستطالة منه الى الاستدارة "(١) .

٢ - ساحة الحمام ، وفتاة ايطالية ترجوه ان يلتقط لها صورة مـــع الحمام ، ففعل ، وكانت جولته الاولى مع أول فتاة في رحلته هذه ، طلب منها أن تكـــون مرشدته على بعض معالم مدينتها ، فوافقت ، ورافقته الى المتحف ، ثم تطورت الامور ، فأنقلبت الآية من مرشدة سياحة بالنسبة له الى صحبة عشاء راقص .

رافقته " باتريشا " ، التي هي بعمر ابنته "حنان " الى عشاء راقص كانت نهايته أن تركها وحدها وعاد الى فندقه .

٣- أشخاصها وأحداثها : أديب عربي ، باتريشا الفتاة الصغيرة ، والفتـــاة السويسرية ، امرأة الاعمال التي التقى بها في قاعة الانتظار في مطار بيزا ، وامرأته سلمـــى ، وابنته حنان . وهناك شخصيات عامة ، كالمياح والمصورين ، وموظفي الفندق الذي قصده لتناول طعام الغداء ، والراحة لريثما تقلع طائرته .

٤- جوها العام : هو جو الحياة الغربية المتحررة ، ورغبة الشاب العربي في امتلاك الفتاة الغربية ، حيث يجد فيها الشيء الذي افتقده في الفتاة الشرقية ، وخصوصا بعد ان أخـــذ العرب يستعيدون كراماتهم في انتصارهم في معركة رمضان ، حيث ارتاح التفكير - نوعا ما - من الاحساس بالمرارة نتيجة لانتصارات الصهيونية في حزيران ١٩٦٧ التي كانت تسجن الفكـــر العربي داخل اطارها ، ولكن في هذه الفترة الزمنية أخذ الاحساس العربي يتحول - وبسرعة الى احساس الانتصار والقوة ، عكس الفريق الثاني الذي بات - ولأول مرة - يشعر بالمرارة التي كان يشعر بها الشعب العربي .. ومن هنا نرى الأديب العربي يفكر - خلال عودته من مؤتمر الأدباء - بالحب لا بالحرب .

٥- تسميتها : التسمية مستوحاة من أحداث القصة ، فعندما " كانت شفتاه ملتصقتين

---

(١) العراء ، ص ٦٩ .

بشفتي السويسرية الشقراء ، ارتسمت في عينيه صورتها[١] " وحين قبل زوجته تلك الليلة ، ظل مغمض العينين ، حتى لاتقرأ فيهما شيئا ، لأن من عادتها " بعد عودته من كل رحلة ، كانت تطلب منه شيئا واحدا : أن يبقي عينيه مفتوحتين ، لتقرأ فيهما "[٢] فكيف يقوى على أن تظل عيناه مفتوحتين بعد حادثتي تلك الليلة ؟ هل يسمح لها أن ترى من خلال عينيه " باتريشـــا " الفتاة التي لايزيد عمرها عن عمر ابنته بأكثر من سنتين أو ثلاثة ، والفتاة السويسرية التي لاتتخطى الرابعة والعشرين من العمر ؟؟ اذن ، الخير كله ـ في هذا الموقف ـ في ألا يبقى مغمض العينين ، ولن تستطيع امرأته في هذه الحالة أن تقرأ مافيهما .

يرى سهيل ادريس أن القراءة في العيون المغمضة لاتصل بصاحبها الى نتيجة منطقية ، وخصوصا اذا ارتكب صاحب العينين خطأ مثل أخطاء أديب قصته ، لأن النظر في عينين مفتوحتين سيفضحه أمام من يحرف القراءة في العيون ، كمثل زوجة هذا الاديب العربي ، التي تعودت أن تقرأ في عينيه كل ماطبع من صور خلال كل رحلة يعود منها ، وكان لايمانع ، فيقول لها : " اقرأي ماشئت .. اقرأي في أعماقهما .. اقرأي فيما وراء الأعماق "[٣] .

بناء هذه القصة الفني يجعلها مشتركة بين المونولوج الداخلي ، والسرد[٤] ، وتدغلب عليها المونولوج الداخلي في القصة الاولى ، لاحساسه بالمقارنة بما كان يحدث معه وأفراد عائلته حتى تكتمل الصورة التي يريدها الكاتب من وراء هذه المقارنة .

تبدأ القصة في وصف الفتاة السويسرية ، وهي القضية الثانية ، فيؤكد من تجاوبه مـــع أوصافها أمنيته التي يتمناها على أن تكون رفيقة سفره الى روما ، ثم نراه يدفع عقدة القصة دفعـــا ، فيقف عن وصف الفتاة السويسرية ليقذف لنا عقدة القصة وعقده ، عن طريق صوت انسانة الداخلـــي الذي أخذ يذكره بما حدث معه .. فنراه يستبق الأحداث ويتوقعها في دنياه الغريبة هذه ... ماعساه يتوقع أن يحدث معه ؟ انه أبدا وراء أوهامه وما يزال يجرى وراء هذه الأوهام .. لم تعلمه الحياة ، ولا أحداثها الماضية ، خيبة أمل أخرى سيجنيها ، فيضيفها الى الخيبات السابقـــات كأنما هو جماع خيبات ، شغوف بها شغف صديقه بجمع الطوابع[٥] .

من هنا يوجه سهيل ادريس ذهننا الى أن بطل قصته هو خيبة الأمل توأمان ـ وبذلك يمهد لحقيقة قد تظهر في النهاية ، وهذه الحقيقة هي أن هذا الانسان الذى يبحث عن كل شيء يريده ، يذهب بحثه عبثا ، فاعتبره كجامع الطوابع ، يجمع خيبة أمل ليبحث عن خيبة أمـل أخرى ، كأنه يصيب في الاخفاق لذة يعذب بها نفسه .

ويشير سهيل ادريس الى العقدة اشارة مقصودة ، ليعود من جديد الى عقدة القصة الاولى ..

---

(١) العراء ، ص ٨٩
(٢) نفسها ، ص : ٨٩
(٣) نفسها ، ص ٨٩
(٤) راجع أسلوب المعالجة الفنية في دراسات في القصة العربية الحديثة ، لمحمد زغلول سلام ، ص : ٢٣ و ٢٤ وفي فن القصة عن نجم من ص ٧٧ ولغاية ٨٤ .
(٥) العراء ، ص : ٦٩

وقصة القراءة في العيون المغمضة تدور في فلك عقدتين اثنتين مع بطل واحد ، والقصتان تدوران حول تدالح الشاب العربي الى فتاة الغرب ، ولكن أديبنا هذا الذى يرى بتراجيده في مطار بيزا" لوحة تصويرية يرى من خلالها ، مكتبه ، وبيته ، وحاجتهم اليه ، ويرى أعماله المتراكمة التي مضى على عدم انجازها أسابيع نتيجة انجاز طوارئ من الدعوات او الرحلات أو الاجتماعات ثم يعترف ان هذه الطوارئ قد يخلقها خلقا بحثا عن المتعة التي لا يجدها هناك بين أهله وفي عمله ولكنه لا يستطيع أن ينسى واجبه تجاه أولاده وبيته ، فيشعر بنزع من التأنيب عن طريق التامل هذا

و يفسر لنا سهيل ادريس صمت الزوجة أمام أخذ رأيها في مواضيع تهم الزوج ، فيعتبره تشجيعا ، ثم يقول : أليس هو على الأصح ، صمت الغض ؟ صحيح أنها تدعو الزوج اذا تكلمت الى أخذ قسط من الراحة كلما تلاحظ عليه التعب ، ولكنها لا تدعوه "للراحة في البيت .."(١)

ثم يطرح سؤالا : أتكون ملازمة المنزل هي التي تهدئ الاعصاب وتريح الفكر ؟ وذلك ليبرر ما يصدر عنه من تصرفات في بلد بعيد عن البيت والعمل ، والاولاد ، ليبرر تجواله في شوارع هذه المدينة على غير هدى ، ليبحث عن أجواء جديدة ، فيها نكهة الاغتراب" عن درب جديدة لم تعرفها قدماه .. (٢) ففي البعد عن أجواء العمل والبيت الشيء الجديد .. لم لا يبحث عن هذه الاشياء الجديدة ، لعله يستطيع أن يحطم أسطورة خيبة الامل التي تلازمه ، وتصبغه بصبغتها " لابد أن يتحرر ، ويقضي على هذا الوهم .. فالأمة العربية استطاعت أن تتحرك ، وتحطم اسطورة اسرائيل التي لا تقهر ، فلم لا يتحرك هو ، ويحطم اسطورة خيبة الأمل ؟ ولكن ، الى اى مدى تحرك ونجح أو فشل ؟ .

ان سهيل ادريس قد وصف في بداية القصة ، الفتاة السويسرية ولكنه وقف عند حد الوصف ، ولم يأخذ بيدنا لنعبر معابر القصة ، بل أوقفنا على معبر مطل على قصته الأولى ، وتركنا نراقبه - في انتظار المستفسر عن حقيقة لا يعرف أبعادها ، ثم وجهنا الى قصته السالفة مع "بارتريشا" ليؤكد أبعاد القصة التالية ، ليؤكد خيبة الأمل التي يعيشها ، وأصبحت - من وجهة نظره - حقيقة ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، يرى في صور تأملاته ، صورا لذكريات ماضيه مع زوجته وابنته الوسطى ، وطريقا الى احياء الماضي الذى يعتبره منسيا .. ثم نراه ينسى او يتناسى جميع الصور التي تعترض تفكيره عندما يلمح فتاة شابة ، بسطت له آلة تصويرها ، ورجته بلغة ايطالية أن يلتقط لها صورة ، مع الحمام ، فلم يمانع ، بل اعتبر عملها قضية تهمه ، ولا بأس من مقدمات منطقية حتى يصل الى النتيجة المرجوة .

كانت مقدمته الأولى ، أو جولته الاولى معها - كما حب أن يسميها - جملة فرنسية أضحكتها .. لقد أضحكها قوله ، فاعتبر ضحكها مقدمة أولى لنتيجة رابحة ، وهو المثقل بخيبات الأمل ، فكيف كانت المقدمة الثانية ، ليصل الى النتيجة الايجابية ؟ .

كانت المقدمة الثانية هي عبارة عن الاعلان عن نفسه على أنه شرقي ، ويرغب ان يطلع على معالم البلد ، ونسي أنه أمام فتاة شابة بعمر ابنته "حنان" نسي كل شيء كان ظاهرا على مرسم

---

(١) العراء ، ص : ٧٠ و ٧١
(٢) نفسها ، ص : ٧١

تفكيره قبل أن يراعا .. حتى زوجته ، وابنه ، والمكتب ، والبيت ، وكل شيء .. أصبحت صفحة تفكيره بيضاء ، غير مطبوع عليها الا صورة هذه الشابة البريئة ، أنه يرى فيها تنبيه الايجابيـــة ، وخصوصا عندما وافقت على أن ترافقه بعض الوقت ، وذلك بعد أن نظرت الى ساعة يدها .

كانت اشارة ذكية من المؤلف أن يجعل من يدها الصغيرة قدرة قادرة على أن تبعث الى شاشة تفكيره صورة ابنته " حنان " ليبدأ بالمقارنة بينهما من جديد .. " انهما اذن لاتكبر حنـــان " بأكثر من عام او عامين . وماذا في ذلك ؟ انهما ستكون له بمثابة دليل[1] انه يختلق الأعذار ليقنـــع نفسه ، فهو يرى في هذه الفتاة الشابة رأه والد سامي ـ في الخندق الغميق ـ بالزوجة الثانية التي كادت أن تفرض على الأسرة .. انه يمثل نفس الدور الذى مثله ذلك الشيخ ، ولكنه بـــلا التزامات الزواج التي التزم بها شيخ الخندق الغميق ، لاختلاف العقليتين .. ومن هنا نستطيع أن نلمح صراع الجيلين الذى لايزال مستمرا في عقلية الشاب العربي المثقف .. أنه يشارك فـــي المؤتمرات الثقافية خارج البلاد العربية ، ويتقن لغة أجنبية واحدة على الأقل ، ومطلع على ثقافات تلك اللغة ، وهي اللغة الفرنسية ، ولكنه ـ مع ذلك ـ لايقف عن التفكير في البحث عن المرأة ، ولو كانت مجرد رفيقة درب أو شريكة وجبة طعام .

اذا كان الشاب العربي في " الحي اللاتيني " غير متزوج ، وغير مطلع ، نراه هنا في هذه القصة مثقفا ، أديبا ، وله رأى في الثقافة والأدب ، والا لما اشترك في المؤتمر الأدبي ، ولكنه ينظر الى المرأة الاجنبية من زاوية واحدة ، لاتخرج عن نطاق التفكير الشرقي بها .

ويظهر الصراع في نفسه عندما يقارن بين هذه الفتاة الشابة ، وبين ابنته التي هي فـــي عمرها ، ولكن ، كيف اذا كانت هذه الفتاة ناضجة وقادرة على أن تكون قريبة منه بالعمر والنوايا ؟ ؟ ما موقفه عندئذ من هذه الفتاة ، وهو الذى خشي أن تهرب منه ، فأمسك وضغط على ذراعها ، تعبيرا عما في نفسه من رغبة في استبقائها ، فهو لايريد أن يرى المتاحف .. فالمتاحف البشرية في عالمه كثيرة ، يريد أشياء جديدة غير مثقلة بالذكريات والماضي والتاريخ ، يريدها هي قبل أن تصبح متحفا صغيرا من المتاحف البشرية المثقلة بالعادات والعقد ، والمآسي .

ويتابع سهيل ادريس حبكة قصته المركبة ، لينقلنا الى صحوة هذا الأديب ، واتخـــاذ القرار المناسب قبل وقوعه في الخندق الغميق ، فيرافقها الى تناول عشاء راقص ، فتطير فرحـــا ، ويبتسم هو على مضض ، ويطلب منها عندما تتلفن للبيت أن تقول لهم انها ستتأخر كثيرا [2] .

ولماذا تتأخر كثيرا مادامت هي بعمر ابنته "حنان" ؟؟ انه يعترف بهذا ، بيد أن الصراع في نفسه يفرض عليه أن يكون مترددا بين قبول هذه الفكرة وعدم القبول بها .. لماذا تتأخر كثيـــرا ؟ أليس هو تأخيرا من أجل خلوة مشتركة تتحطم فيها الأخلاق والقيم ، وهو الأب والزوج ؟ ؟ .

ان هذه الاشارة الذكية تصف لنا حقيقة هذا الصراع في نفس الشاب العربي ورغبته فـــي

---

(١) العراء ، ص : ٧٣

(٢) نفسها ، ص : ٧٦

الحصول على الفتاة الغربية حتى ولو كان زوجا وأبا لثلاثة أطفال ؟ ؟ اذن ، فنحن لانزال نصارع آثار الماضي ، وتزمت عاداته وتقاليده .

ونرى سهيل ادريس ، في نهاية المطاف مع هذه الفتاة الشابة يتعصب لعنصر الخير ، فيجعله العنصر المنتصر ، وخصوصا ساعة يراها ترقص ، كما كان يرى ابنته جنان ترقص، فيقول : " مثلما أنت ترقصين الآن ياباتريشيا ، هل أحدثك عنها ، عن ابنتي جنان ؟ هل أحدثك عن جاذبيتها وعذوبتها ... لو رأتني الان انظر الى ساقيك الجميلتين ، ياباتريشيا " حين يرتفع عنهما الثوب لذكرتني مرة أخرى بالازدواجية : تمنعني يابابا من ارتداء التنورة القصيرة ، وتعدق بساقي كل فتاة تلبس الثوب القصير .(١) فأدرك الواقع الذى يقدم عليه مع باتريشيا " فأحس بهوة عميقة تفصله عن ابنته ، وعن جيلها ، فشعر بالحزن يستولي عليه .. انه يحزن على نفسه ، ومن أجلها .. لقد دخل جيلا لايقر مايفعله الجيل الجديد ، لأنه غير قادر على مجاراة عصر هذا الجيل ، أما ذاك الشاب الذى ينهض لينضم الى باتريشيا " في حلبة الرقص، يراقصها ، ويحدثها ، ويضحك معها ، فهو من جيلها الذى يفهمها ..(٢) فحمل جيله ، وانسحب من وجودها .. تركها لجيلها بعد أن استرق نظرة بين الراقصين ، فرآها تكاد تعانق فارسها الجديد ، مغمضة العينين سحرا وسعادة ..

حمل جيله وهو يقول : أما أنا فسامحيني ياصغيرتي باتريشيا ، يارفيقة " جنان " الجديدة سامحيني لأني أردت أن أقتحم عليك عالمك ، وأرجع بك القهقرى ..(٣)

كانت " باتريشيا " آخر دليل ، وهو بعد أحدث عهدا من أن ينسى : أمس فحسب(٤) ، كانت هذه العقدة الرئيسية في القصة ، فهي تحمل معنيين معا : معنى سابقا ، وآخر لاحقا .. فالمعنى السابق هو حدث الأمس ، وملاحقته " لباتريشيا " الشابة التي أعادته الى جيله ، وأظهرت فارق الجيلين : جيله وجيل ابنته " جنان " .

والمعنى اللاحق ، هو مفتاح باب مغامرة جديدة ، نتوقعها أفضل بأحداثها من أحداث قصة الأمس ، ولكن سهيل ادريس يعطي توقعا لايفرح على ان هذه المغامرة الجديدة هي مغامرة فاشلة ، وخيبة أمل جديدة ليؤكد ما وصفه به في أول القصة على أنه شغوف بخيبات الأمل كشغف صديقه بجمع الطوابع ..(٥) فهي - من حسن حظه - من المسافرين على طائرته .. وأول عمل يجب القيام به هو رصد تحركاتها داخل الطائرة ، لعله يتمكن من الجلوس الى جوارها ، لا من أجل أن يعرف أية لغة هي لغة الكتاب الذى تقرأه ، بل ليعقد حديثا معها ، او ربما أكثر من حديث (٦) فهو خارج من مغامرة فاشلة ، ويتوق الى تغيير أبعاد هذه المغامرة في مغامرة جديدة ناجحة .

---

(١) العراء ، ص ٧٨ و ٧٩
(٢) نفسها ، ص ٨٠
(٣) نفسها ، ص : ٨٠ و ٨١
(٤) نفسها ، ص: ٨١
(٥) نفسها ، ص: ٦٩
(٦) نفسها ، ص: ٨٢

كانت جرلته الاولى ، أن قدم لها سيكارة من علبة سكاير الاميركية ، فلم تعتذر .. ان سير الامور جيد حتى الآن .. انه على الاقل يحمل الوعود بالتطور ، ولكنه لايحمل التطور البطيء .. فالوقت قصير ، لايزيد عن ساعة حتى يصل مطار روما [1] ، وهي غير مشبوكة أو متزوجة وان كانت تتخطى الخامسة والعشرين .

وكانت الجولة الثانية ، روايتها الفرنسية التي تقرأها هي " مولن الكبير " أجمل رواية قرأها في حياته على الاطلاق ، فشعر باندفاع سريع نحوها .. هذا منطلق رائع للأخذ والعطاء ، ويستطيع أن يقدر صفحات الكتاب ، ففعل ، فأكدت له رأيه بالقول : - " أكان من الضروري أن يترك عروسه التي فعل المستحيلات ليصل اليها ، من أجل أن يفي بوعد طفولي ؟ .

- وهل أجمل يا آنسة ، من الوعود الطفولية ؟؟ انها وحدها الوعود الصادقة البريئة في عالمنا هذا الملوث ..

- قد تكون على حق يا سيد .. ولعلنا نحن الكبار انما نعود الى قراءة مثل هذه الروايات بحثا عن براءة طفولية أضعناها [2] .

ونرى سهيل ادريس لايخرج عن حرفة الصراع القائمة بين الأجيال ، في مغامرته الثانية ، حيث ربطها بالالتزام القائم في القصة الاولى ، تلك كانت طفلة .. والطفولة بريئة وصادقة ، أضاعها الكبار .. وهذا هو واقع الحياة التي نحياها ..

والكبار لها معنيان : الأول : هو الجيل الماضي الذى يسير ببطء الى الزوال .

والمعنى الثاني : الكبار الذين يتسلطون على رقاب العباد . والعالم ضائع بين هؤلاء وأولئك الكبار ..

في هذا المعنى والقول ، دعوة الى تحطيم الكبار ، حتى تظل البراءة ، ويبقى الصدق رائد الجميع .

وتسير القصة في اطارها المتتابع ، عن طريق الحوار الذى ينتقل رأى الاثنين في الحياة وفي الزواج ، فهي في طريق الزواج الذى ستتناول حتفاصل من أجله عن المطلق من حريتها .. ويطلنا زوج وزوجته جميلة ونبيلة ، ولكنها مقطبة [3] . وقد يكون هذا العبوس ، احساسا يعبر عن حقيقة الزوجة في تواجد زوجها مع امراة غيرها .

وتطلب منه هذه الفتاة الشقراء أن يدعوها الى فنجان قهوة في مقهى المطار ، فأمسك بذراعها ، ودخلا قاعة الانتظار .. [4] .

وتم التعارف بينهما ..

---

(١) المرأة ، ص: ٨٣
(٢) نفسها ، ص : ٨٤
(٣) نفسها ، ص: ٨٦ و ٨٧
(٤) نفسها ، ص: ٨٨

وشعر أنه يلتصق بها ، ويود لو يعصرها بين ذراعيه ، فأخذ يقبل باطن يدها ، ورفع رأسه ، ليلامس شعرها الأشقر وجهه ، فشعر بأنفاسها على خديه ، فالتصقت شفتاه بشفتي السويسرية الشقراء ، لترتسم في عينيه صورتها ، ولكن امرأته تعودت أن تطلب منه شيئا واحدا هو : أن يبقي عينيه مفتوحتين ، لتقرأ فيهما ، كما كانت تقول ، وكان يضحك ويفتح عينيه ، لتقرأ ماتريد .. رجل سيظل مفتوح العينين عندما يعود اليها ؟ وهل ستقول له : افتح عينيك ؟

ان سهيل ادريس أعادنا الى هذه القضية لحظة انطلاق الاثنين في القبلة الملتهبة ، ولكنه لم يجعل بطل القصة يمتنع عن متابعة سيره في توقعاته المرتقبة ، فينقلنا الى صورة أخرى نترقب وقوعها ..

ان أزمة العقدة هنا تصل الى حد فاصل بين الحل وعدمه ، فالفتاة الشقراء قد استجابت لغايته ، وهو في طريق تحقيق هذه الغاية حتى يقلب معيار الفشل وخيبات الأمل التي تلازمه فهي تدعوه الى تناول طعام الغداء في مطعم فندق صغير يقدم ألذ طعام ايطالي ، ولا يبعد أكثر من نصف ساعة عن المطار (١) .. فشعر بالارتباك والضيق . ونستطيع أن نفسر هذا الشعور تفسيرين : الاول : شعوره بأنه شرقي ، والشرقي هو الذي يدعو الفتاة ، ارتباطا بالتقاليد والعادات . والثاني : يقظته المعتادة ، والتي تدور حول عائلته .. ففي " باتريشيا رأى صورة ابنته "حنان" وفي صورة الشقراء هذه يرى صورة زوجته التي ستقرأ مافي أعماق عينيه فاندفع يعلل سبب شعوره بالارتباك والضيق : خوفه من أن تفوته الطائرة .. وهنا يظهر لنا هذا الموقف أن احساسه تجاه هذه الفتاة احساسا عرضيا ، لا أصل له في نفسه ، والا لما كانت الطائرة سببا تحول بينه وبين ماتبتغيه نفسه من هذه الشقراء ، فكانت أقدر منه على الصراحة ، التي نفسرها في شرقنا العربي بالوقاحة ، لقد كانت صريحة بقولها : افرض أنها - أي الطائرة - فاتتك ؟ ألا تستحق هذه المغامرة تأخير يوم او بعض يوم ؟ فاعترف بغبائه .. (٢)

ونرى سهيل ادريس في هذا المشهد يصف تفكير الشاب الشرقي وتفكير الفتاة الغربية المتناقضين ، تفسيرا واضحا - وان جعل الغموض - من أجل تحقيق أزمة العقدة - يلف هذا التفسير . فالقارئ عندما يسمع رأي هذه الفتاة ، يتأكد من أن خيبة الامل التي تلازم بطل القصة السهيلية في طريق الحل ، لان هذه التجربة تشير الى النجاح مئة بالمئة ، وهذا مايشير الى براعة التحليل عند سهيل ادريس ومحافظته على تسلسل حل عقدة القصصية في سلاسة وعذوبة وان كانت المفاجأة - أحيانا - رصدا نهائيا غير متوقع في حل قضايا أبطال قصصه .

ونلاحق كاتبنا في انجاز مهمة بطل قصته ، لعله يستطيع أن يتغلب على الفشل الذي لازمه ويستحثه طويلا في غرفة الفندق التي تضمهما معا .. (٣)

---

(١) العراء ، ص: ٩٠

(٢) نفسها ز ص : ٩٠

(٣) نفسها ، ص : ٩٢

وداخل الغرفة ، واعد نفسه على أن يدخن سيجارة ، وسيكارتين ، ولكن سمعها تقول : انها هابطة لتطلب حقيبتها [1] . فلم يعلق على القول ، تركها تذهب ..

وعندما تأكد من ذهابها ، قرر أن ينسحب بدوره ، ليجعل نفسه سيد الموقف ، والنتيجة هو صاحبها ، ولكنه تفاجأ عندما ذهب الى مكتب الاستعلامات ليسدد الحساب ، على أنها هي سددت الحساب ، وتركت له رسالة مكتوبة .. فنراه يمزق الرسالة قبل أن يقرأها ويعود الى بلده .

كانت النهاية في غاية الانسجام مع موضوع الرسالة ، فهذا البطل الذى يتلازم مع خيبات الامل ، حاول أن يتدخل في نهاية قضيته ، ليعدل من برنامج خيبات أمله ، ففشل ، وعجز عن تغيير مسالكه القديمة ، وأصبح نهبا لخيبات أمل جديدة ، فتلك الفتاة الشقراء التي أتت معه الى فندق صغير ، وصعدت معه الى الغرفة ، وأعطته شفتيها قبل ذلك ، نراها تنسحب لتزيد من خيبات أمله خيبة أمل جديدة .

ونراه عندما قبل زوجته تلك الليلة ، ظل مغمض العينين ، خوفا من أن ترى في أعماقها صورة شقرائه التي خذلته ، وصورة صغيرته التى انسحب من أمامها لايقاظ مشاعر الأبوة في نفسه .

وزوجته في هذه المرة لم تطلب منه أن يفتح عينيه لعلها استطاعت أن ترى من ملامح وجهه مدى الألم الذى أصابه من خيبات أمله ، فأرادت أن تتجاهل القراءة في العيون حتى لاتزيد من رصيده خيبة أمل أخرى ، فلم تطلب منه أن يفتح عينيه ، لأنها أصبحت تقرأ في العيون المغمضة .

هذه هي قصة القراءة في العيون المغمضة ، وقد تناولت فكرتين منفصلتين في سياق واحد ، استطاع سهيل ادريس من خلال الفكرة الاولى أن يعالج الصراع القائم بين جيل ماض وجيل قادم ، وجعل الانتصار للجيل القادم ، لعدم استطاعة الجيل الماضي على مجاراة الجيل القادم بالحركة والانطلاق عبر كل شيء جديد ، فروا سب الماضي تثقله . وتحول دون اللحاق بهذا الجيل الجديد .

وجعل الفكرة الثانية لتفسير الامور عند الشاب الشرقي وعند الفتاة الغربية ، كما فسّر معنى الحرية عند كليهما .. فالحرية بنظر الشاب الشرقي هي العلاقة بين الفتاة والشاب في مجتمع الناس ، أما أن ينزوى معها في غرفة منفردة بعيدة ، فهذا يعني التمهيد لعمل يتنافى مع الاخلاق .. والحرية يجب أن تكون حامية وداعية للأخلاق ..

أما مفهوم الحرية عند الفتاة الغربية ، فعكس مفهومها عند الشاب الشرقي .. فهي لاتقيم وزنا للناس بقدر ماتقيم وزنا لرأيها .. فهي حرة في أن تفعل ماتشاء مادامت هي لاتؤثر على الغير في تصرفاتها .. فهي حرة بجسدها .. كما هي حرة في كل شيء يصدر عنها .

---

(١) العداء ، ص : ٩٢

ومن خلال فكرة القصة الثانية أيضا ، نرى ان الفتاة الغربية عندما تفكر بالزواج ، فالزواج يعني الحد من حريتها المطلقة ، وهي على أهبة الاستعداد للحد من هذه الحرية مقابل زواج ناجح .. أما أن يكون الزواج فاشلا فمن حقها أن تستعيد مافقدته من حريتها ، أى ماتنازلت عنه من حريتها ، عكس الفتاة العربية التي ترى في الزواج غايتها كيفما كانت النتيجة . واذا كانت النتيجة فاشلة ، نراها تظل زوجة — وفية أو غير وفية — مرتبطة بالزواج خوفا من المجتمع الذى ينظر اليها نظرة ظالمة ، فيما اذابة لشخصيتها ولارادتها أمام ارادة زوجها .

وفي هذه القصة أيضا دعوة الى كل من يفكر بالزواج ، عليه أن يدرس أبعاده ، ويعرف كمية الحرية التي يستطيع أن يتنازل عنها من أجل زواج ناجح .. اذا لم يكن عند الفرد العربي استعداد للتنازل عن بعض معطيات حريته ، فلا شك أن زواجه فاشل ، ويصبح كبطـــل القصة السهيلية : جامع خيبات أمل .

واذا أردنا أن نصنّف هذه القصـــة ، فهي من نوع قصص الغرام .. ولكن ، الى أى مدى تختلف المرأة هنا عنها في قصص الكفاح ؟

اذا نظرنا الى دور المرأة في قصة العراء ، التي تناولناها من قبل ، نراها كانـــت داعية لزوجها المثقف ، وتحاول أن تخفف عنه المصاب ، ولكنها هنا زوجة تحاسبه على كـــل أعماله ، تقرأ في عينيه لتفهم من خلالهما كل شيء حدث معه .

فالمرأة هم سهيل ادريس الباطني في الغرام .. وهو هم المرأة في قصص الكفـــاح ،

ومن هنا نستطيع أن نطلق رأيا حول سهيل ادريس ، فنقول : ان المرأة ظاهر ســـــهيل ادريس وباطنه .

المبحث الثالث

أشواق : (١)

هي الاقصوصة الاولى في المجموعة القصصية الأولى والمسماة باسمها .. وهي أول مجموعة قصصية كتبها سهيل ادريس .

١ ـ زمانها : ١٩٤٧ ، وهي السنة التي تسبق سنة اغتصاب الأرض الفلسطينية ، كانت فلسطين وقتذاك تحت الانتداب البريطاني ، وفيما وعد بلفور (٢) المسؤول عن تشتت شعب فلسطين بأكمله .

٢ ـ مكانها : احساس فتاة مراهقة في بيروت ، تجلس الى الراديو في الصباح الباكر، تستمع الى نغمات الموسيقى الناعمة ، فتوقظ في نفسها شعور الطموح والحركة والانطلاق ، ورغبة البلوغ العاجل الى ماتنزع اليه من لذة الحب ودنيا الأماني .

وأم ، تحول بين ابنتها ولقاء الشبان ، الذين هم في عمرها ، خوفا عليها من الحب دونما أي سبب يذكر .

وعقل شاب يعلم العزف على الكمان ، يعزف أعذب الالحان ، محروم البصر ، قوى البصيرة التي استطاع من خلالها أن يتحسس رثاء تلميذته لا حبها .

٣ ـ أشخاصها وأحداثها : الفتاة المراهقة ، وأمها التي تعمل على تجنبها الاختلاط بالشباب ، والشاب الاعمى الذى أحضرته الوالدة لتلقين ابنتها بعض الدروس الموسيقية لتملأ فراغها حتى تشغل تفكيرها بالموسيقى بدلا من الفراغ الذى يشدها الى التأمل ، ويقودها في طريق الحياة الطبيعية ، فتخسرها ، وهي حريصة جدا على التمسك بها بدافع الأنانية ، والحرص الفاشل ، لذلك كان أول شاب تلتقي به فتاتها هو معلم الكمان الأعمى والذى هو ـ باعتقادها ـ عاجز عن اعطاء القليل الذى يفتح براعم القلب الندية .

٤ ـ جوها العام : هو جو الحياة العربية في الاربعينيات ، الحياة التي تتحكم فيها التقاليد والعادات ، وتحول بين لقاء الفتى بالفتاة من قريب او بعيد ، لان ارادة الشباب كانت مسلوبة .. فالأم هي التي تختار رفيق درب ابنها او ابنتها .. أما الاختلاط ، فكان من عمل الشيطان المرفوض ، لذلك كانت رواسب الدين هي التي تتحكم بالنفوس ، ومصائر الأبناء المرتبطة بارادة الآباء ، أى أن عملية الالتزام الموجه كانت العملية المسيطرة التي ترفض الحب ، وتحرم وجوده قبل الزواج .

---

(١) ترجمها الى اللغة البرازيلية الاستاذ ابراهيم طنوس ، ونشرتها مجلة " Graca Bella " في عددها الخاص بمدينة "أراشا"

(٢) راجع جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن "لصالح مسعود ابوميصير ـ ـ دار الفتح للطباعة والنشر ط ٣ لفصل الأول ١٩٧٠ بيروت

٥ - تسميتها: أشواق " مفردها : شوق : وهي نزوع النفس وحركة الهوى ..[1]

ولكنها هنا تسمية لمقطوعة موسيقية ألفها المعلم الاعمى لتلميذته ، يعبر بها عن مكنونات نفسه وحبسه الضيق الذى أبت عليه كرامته أن يستجديه من هذه الفتاة ، الامر الذى دفعه الى اذابة عواطفه وسبكها في نوتة موسيقية كانت أقدر من لسانه بالتعبير عما كان يعتمل في نفسه التي تعيش على الحرمان .

وسهيل ادريس في حبكه القصة وتطور احداثها يخرج في قطعة موسيقية ، يؤلفها عاشق أعمى الى فتاة جميلة مراهقة ، يطلق عليها اسم " اشواق " فلماذا هذه التسمية وما جدواها عند التحليل ؟ .

بناء القصة يجعلها نوعا من السرد المباشر ، وهي أكثر الطرق شيوعا .. والراوى ينقلنا عبر تفكير مسميه من جهة ، وعبر تفكير معلمها من جهة ثانية عن طريق الوصف والحوار الذى لم يكن له مجالا واسعا بين البطلين ، ولكن نهاية القصة عبارة عن رسالة موجهة الى البطلة يعبر بها البطل عن حقيقة حبه ، وحقيقة عماه ، لذلك نرى بناء القصة قائما على أساسين . السرد المباشر ، والرسائل ، ضربان من ضروب المعالجة الفنية [2] .

تبدأ القصة بالتمهيد الموسيقى الذى ينقلنا الى قمة الحبكة ، فالفتاة تحب الاستماع الى الموسيقى سواء كانت عن طريق المذياع وعن طريق الآلات الموسيقية مباشرة ، لأن احساسها الموسيقي ينقلها عبر عالم الم لذيذ لم تتذوقه في حقيقتها ، فتغرق أحاسيسها في نشوة الوجد والاطمئنان ، والاخلاد الى تلك الخمرة الهائلة من صبوات الفؤاد الحالم ، وتشعرها بأنها تتم شيئا حبيبا الى نفسها : تستأنف حلما لذيذا راودها في كل ليلة فائتة ، تكمل الموسيقى فصول الحلم ، وتتم .. [3] وكانت أكثر اعجابا وأشد ميلا الى الموسيقى المفردة الوترية كأنغام القيثار " و " التولتسيل " و " البيانو " ولكنها كانت أعنف حنينا الى نغمات " الاكورديون " و " الكمان " وقد سبق لها أن رغبت الى والدتها أن تتعلم العزف على احدى هذه الآلات ، فتعاونت والدتها في تلبية رغبتها .

وتسمع " سميه " عزفا منفردا على الكمان ، ملك عليها لبها ، فألحت على أمها أن تستدعي معلما يعلمها العزف على هذه الآلة [4]

ووقفت الوالدة أمام ارادة ابنتها موقف العاجزة عما تحبها ، وتدللها ، وتحميها من الشباب ، كيف تسمح لها أن تجتمع مع الشاب الذى هي ترفضه ، وفي بيتها بالذات ؟؟ كيف تستطيع هذه الأم أن تتغلب على هذه المشكلة ؟؟ ان ابنتها مصرة ، وليست هذه المرة الأولى التي تعبر بها عن رغبتها في تعلم الموسيقى ، ولكنها في هذه المرة حددت نوعية الآلة التي ترغب التعلم عليها .

---

(١) المعجمات

(٢) راجع ضروب المعالجة الفنية في : النقد الادبي الحديث لمحمد غنيمي هلال ، ودراسات في القصة العربية الحديثة لمحمد زغلول

(٣) أشواق ، ص : ٧

(٤) نفسها ، ص : ٨

هنا تبدأ عقدة الأم تتأزم . انها تحب ابنتها ، وهي على أهبة الاستعداد لتقديم كل شيء الا الحب ، فهي تخافه ، لعل التجربة التي عاشتها هي السبب في رأيها هذا .. ان الحب يشقي ابنتها ، فرفضت الأم الموافقة على مخالطة ابنتها للشباب ، وعملت على حمايتها بكل طاقاتها لكن ، هل استطاعت هذه الأم ان تحمي ابنتها وتحول بين عواطفها وحرارة الحب ؟ وهل التجربة التي خاضتها الام - بالضرورة - يجب أن تكون مقياس يقاس به ، ونتائجها عامة ؟ ؟ لعلها أساءت الاختيار ، وهذا لا يعني أن ابنتها قد تسيء الاختيار مثلها ، اللهم الا اذا بقيت تحاصرها ، وتحول بينها وبين نور الحقيقة والحياة ؟ .

اذن كيف استطاعت الام ان تتخلص من اصرار ابنتها بطريقة ترضيها بها ، وفي نفس الوقت أرضت هي نفسها ، واطمأنت على ابنتها من الوقوع في تجربة الحب التي لاتقرها الام عليها ؟

هنا تتأزم عقدة القصة ، وتدور في اتجاهين متضادين . كيف استطاع سهيل ادريس أن يوفق بين هذين الاتجاهين المتضادين ؟ وما الحل ؟ .

ان معلم الموسيقى "الأعمى" هو الحل لهذين الاتجاهين المختلفين : فالعمى برأى الوالدة عاهة مرفوضة ، وصاحبها غير قادر على أن يعقد صفقة حب مع ابنتها ، فهو لا يستطيع أن يرى الجمال ، ويلحظ الانوثة - ان كان يستطيع التخيل - فالتخيل شيء والحقيقة شيء آخر . ومن السهل جدا تعطيل حواس ابنتها ان فكرت بالحب لهذا الاعمى .

ونرى من الناحية الثانية ان الام تستجيب لطلب ابنتها ، فهذا معلم موسيقى رائع ، ويستطيع أن يثقف ابنتها موسيقيا بالقدر الذى هي تريده دون خوف أو وجل عليها .

وهنا نستطيع أن نستخلص أمرين اثنين :

الامر الاول : ان البحث عن معلم موسيقى يؤكد حقيقة واضحة ، وهي عدم وجود معاهد خاصة لتعليم الموسيقى ، وان وجدت ، فالفتاة في تلك الفترة الزمنية لم تحصل على حرية الاختلاط في المدرسة ، فكيف تحصل عليها في معهد موسيقي ، ومفهوم الموسيقى العام أنها تهز النفوس وتطربها ، وتجول بها عبر عوالم اللذة التي تجعل الواقع خال من سحر هذه العوالم ، مالم تكن مبطنة بالحب ، لأن الحب هو القدرة القادرة على تغيير الأشياء .

والأمر الثاني : هو أن الرجل الاعمى غير قادر على الحب ، وهذا منتهى ظلم الانسان لأخيه الانسان .

ونستطيع أن نستخلص أيضا أن الحب أمر مرفوض ، فالفتاة برأي والدتها غير قادرة على حسن الاختيار ، وان اختارت ، فهي متهمة ، تصبح غير جديرة بالاحترام ، احترام الامهات والآباء الذين يبحثون عن الزوجات لأولادهم .. اذن ، ما الحل ؟ الحل في ايجاد معلم أعمى . لان الرجل الاعمى - برأى الظالمين من بني الانسان - مجرد من العواطف الانسانية ، والرجولة ، ولكنه - بحسب الواقع - قد يكون أقدر الناس على هذه العواطف ، لأن الله سبحانه وتعالى ، عندما يحرم انسانا نعمة البصر ، يوزع طاقاتها على بقية حواسه الأخرى ، ليكون أقدر على البصيرة من غيره .

ومن جهة ثانية ، فالحب تتغير الاشياء ، ويصبح مسحوره نورا يقود صاحبه بدل ناظريه ، كما أقول وأعتقد كثيرون من أصحاب الحواس المتكاملة .

وتخبر الوالدة ابنتها أن معلم الموسيقى بانتظارها في الصالون ، فأيقظ هذا الخبر شعورها المتطلع الى معرفة الشاب الذى مافتيء يراود أحلامها ، ويعبث بأمانيها (١) ودون أن تدرى اندفعت " سمية " الى دولاب ثيابها لترتدى ثوبها الحريرى الأخضر ، وتهندم نفسها على أحسن هندام وصورة .. ان قلبها يدق سريعا ، ولكن بلذة لم تشعر بها من قبل .. انها لأول مرة تكون قريبة من شاب ، وداخل بيتها ؟ ؟ هذا الذى لم تصدقه ، ولكن والدتها أكدته اذن ، ستبدأ حياتها من جديد ، مع ذلك الشاب الذى يرافق خيالها كأية فتاة تحلم وتتراءى .. ترى هل ستحقق حلمها وترى طيف أحلامها حقيقة واضحة في معلم الموسيقى ، انه ينتظرها في قاعة الاستقبال . يجب أن تسرع لرؤيته .. انها المرة الأولى التي تبطيء في ارتداء ثيابها .. انها قلقة ، تخاف ألا تحوز على اعجابه وهي الفتاة الذواقة (٢) وتفاجأ " سمية "

انها لم تكن تنتظر أن ترى شابا ، أطفئت عيناه ، فهو لا يبصر النور .. انها لم تكن تتوقع أن يكون معلمها ضريرا ، اذن ، فان هاتين النظارتين انما وضعتا لتسترعماه .. ولهذا لم تر والدتها حاجة في أن تصحبها ، لتقدمها اليه ، وهو الأعمى (٣) .

لقد عرفت والدتها كيف تقدم لها هذا الشاب ، ولكن ، هل تستطيع هذه الوالدة أن تحول بين قلب سمية واشعاعاته ؟ ؟ هنا تكمن حبكة القصة . كيف تتطور أحداث هذه الأقصوصة في نفس سمية ، انها شابة مراهقة ، تغفو على الأحلام ، وتستيقظ على الأمل ، ولكن متى يتجسد حلمها فيصبح حقيقة ملموسة ؟ متى تمنح نفسها للحبيب المنتظر الذى تراه مع كل غفوة ليلة تغفوها بعد الصراع المؤرق ؟ تريده شابا قويا يخطفها عبر أحلامها الى حيث هويشاء ، لاتريده ضعيفا لايقوى على الحركة .. بيد أن جماح عواطفها يستهدف الآن هذا الشخص الجالس أمامها ، المطبق العينين الى الأبد . بالرثاء والشفقة والعطف ، لقد كان بودها منذ لحظات أن تبكي لتتعزى من خيبة الأمل أما الآن فان بودها أن تبكي لترثي لمعلمها (٤) .

ونرى أن الصراع أخذ يتجه في نفسها اتجاها آخر ... كانت بالأمس القريب تفكر وتحلم في دائرة ذاتها ، أما الآن ، فهي تفكر وترثي لحال معلمها .. انه شاب ، وعازف كمان بارع ، لم لاتكون صديقة ومعينة ، وحامية الى الأبد ؟ " ولكنها كانت تشعر ان في قلبها فراغا كبيرا فراغا مؤلما تقاسي منه وتعاني ، وتصبوا الى أن يمتليء منه جانب بما يدعونه " الحب " هذا الشيء الجميل الرائع الذى تتداول به لداتها في المدرسة في غمرة من الآهات والشرود (٥) ..

لقد استطاعت الأم في احضار هذا المعلم أن تحول بين ابنتها وبين الحب الذى تلحظه على لسان زميلاتها الطالبات ، الحب الذى يحدث من النظرة الأولى ، ولكن ، هل تستطيع

---

(١) أشواق ، ص : ٨
(٢) نفسها ، ص : ٩
(٣) نفسها ، ص : ١٠
(٤) نفسها ، ص : ١١
(٥) نفسها ، ص : ١٢

هذه الام أن تتأكد من حقيقة رأيها اذا طالت "العشرة" بين الطالبة والاستاذ ، هل تستطيع أن تحول - على الاقل - بين ابنتها ومناقشتها الحب والرأي فيه ؟؟ لقد شجعها اللقاء بالجنس الآخر على طرح أسئلة كثيرة ، عرفت من خلالها ماتريد أن تعرفة الا الحب الذى طلبت منه أن يحدثها عنه ، اذن ، "سمية" أصبحت قادرة على التساؤل ، والاستفسار عن أمور تتعلق بالحياة ، عن غير طريق والدتها التي كانت قبل قدوم المدرس" منبع حكمتها وهدايتها ، وأسلوب حياتها .

ان الحياة التي ابتدأت تعيشها "سمية ستتعلم فيها الحرف على "الكمان" - أدخلت على قلبها الجرأة ، وجعلتها قادرة على التخيل المنطلق ، بشكل لايبعدها عن الحقيقة التي كانت تحلم بها .

ونرى أن شعور "شفيق" المعلم الاعمى أقدر على الحب من شعور سمية .. وهذا شيء واقعي ، ففي الحب ملاذه الوحيد الذى يتيه عثرات الزمان .. صحيح أنه منطلق العينين ، ولكن قلبه قادر على ارتشاف الحب بقدر لايستطيع عليه أصحاب العيون الرائية .. فالحب هو نور عينيه ، يرى من خلاله كل شيء ، لذلك نراه يكن لهذه الفتاة حبا عميقا أعجزه عن الافصاح به ، ولكنه يصف الحب بالجمال من جهة ، وبالخداع من جهة ثانية .. ولعله في هذا الوصف يعبر عن رأيها من ناحية الجمال ، أما فيما يختص نحوه ، فالحب من وجهة نظره خداع قائم على الشفقة ، عكس حبه الجميل الذى لايؤمن به ، لأن منطقة كان منطلق عماه .

ونرى "سمية" تؤكد هذه القضية بقولها : "أنا مثلك يا أستاذ ، لا أعرفه على الرغم من أني أرى وأبصر"(١)

وهنا تمة تأزم الحبكة .. فهو لم يسألها الا ليفهم شعورها ، فاذا بها تصعقه بقولها : اذن ، هي لاتحبه رغم أنها ترى وتبصر فكيف الحل اذن؟

وهنا نرى الكاتب - كعادته في حل الأزمات ... يتدرج الى الحل عبر المسالك التي طرقها .. فهذا المدرس الأعمى أدرك أن حبه لهذه الفتاة عبث ، ومرفوض ، فألف قطعة موسيقية تعبر عن مكنونات نفسه . وأطلق عليها اسم "أشواق" وطلب منها أن تتقن عزفها ، فشعرت أنها تحبه ، لعل شعورها استجاب الى نداءات نوتته التي خرجت من أعماق نفسه ، انها تحبه من أعماق أعماقها ، وأن كل عرق فيها ينبض بهواه ، وكل احساس يمور بحبه(٢) ولكن الى أي مدى ترد هذا الحب في نفسها وانتصر ؟ .

بالصمت ان المعلم قد أخبرها أنه سيتغيب ثلاثة أيام عن اعطاء الدرس لشيء هام يشغله ، واعتصم بالصمت عندما حاولت أن تسأله (٣) ونراه يغيب أربعة أيام ، أحست "سمية" ان هذه الأيام لم تنقض الا لتزيدها شوقا اليه وحبا به ، الأمر الذي يغير مفاهيم أمها للحب ..

فالعمى لايحول بين قلب انسان وقلب آخر ، واذا كان الله قد حرمه نعمة النظر فقد عوضه بالبصيرة ، والعزف الرائع الذى يشد الأسماع والقلوب اليه .. ولكن الكاتب ، يأبى على

---

(١) أشواق ، ص : ١٤
(٢) نفسها ، ص : ١٦
(٣) نفسها ، ص : ١٧

هذا الاعمى الا أن يحمل حبه وينزوى بعيدا عن "سمية" يريده ذكرى جميلة ، الأمر الذى دفعه الى الانسحاب ، وهو على أمل أن تلحق به لتمسك ذراعه ، وتغلق الباب ، وتحدثه عن لواعجها ولكنها لم تفعل ، تركته يتخبط في الحتور على طريقه تاركا لها رسالة على المقعد الذى غادره ، وكانت رسالة وصفية وصف بها الاسباب التي دفعته الى تأليف مقطوعته "أشواق" وكان ملخص مامتناه ، لو أن يوما تنكشف عن عينيه غشاوة العمى ، وينفذ اليهما بعض النور لتتبين حبيبته ماتمر به عيناه من حب لها وصبابة بها .. يتمناه مرة واحدة في عمره ، ثم يعود إلى عماه ـ ولكن .. (١) ليس كل مايتمنى المرء يدركه" ـ فيودّع حبه إلى الأبد ، بعيدا عن الناس أجمعين .

هذه قصة أشواق في مبناها ومعناها ، تعطينا صورة واضحة عن قصص سهيل ادريس العاطفي ..

فالمعنى ذو أبعاد صادقة للعاطفة عند الشبان ، ومحدودة أو تكون ضيقة عند الفتيات ، لاعتقاد المؤلف ، من خلال قصصه الغرامية ، أن بطل القصة أقدر على الوفاء والصدق من البطلة في كثير من انتاجه القصصي والروائي ، لارتباط ذلك بالبيئة العربية الاجتماعية في زمن هذه القصة فالشاب هو المسموح له بالتعبير عن عواطفه ، أما الفتاة فمحرم عليها ـ حتى التأوه والتمني ، لأن العرف والعادة والتقاليد تفرض على الفتاة ـ كمثل ـ كبت عواطفها ، بانتظار الفارس المرتقب الذى تختاره الاسرة لها .. وفي هذا صورة صادقة للحياة الاجتماعية التي لاتزال رواسبها قائمة حتى الآن ، في بعض الأسر العربية ، ولكن في نطاق ضيق إذا قيست بما كانت عليه الأسرة عموما في الأربعينات قرن هذه القصة ..

اذا نظرنا الى المبنى ، نراه يصور المعنى ، فهذا المعلم الاعمى لايستطيع أن يتحرر من الاحساس بعاهته ، ويرى أن ماتكنه الفتاة له ماهو الا مجرد اشفاق ، فيهرب من حبها ، ويعتذر عن الاستمرار في تعليمها الموسيقي .

أسلوب القصة ، ومكونات فنها تصبغه الرومانسية ، الحركة التي كانت تسيطر على الحركة الأدبية التي أخذت تتجه اتجاها واقعيا على دعائم الرومانسية (٢) ونستطيع أن نقول : إن قصة "أشواق" مغرقة في الرومانسية ، فبطلاها : فتاة مراهقة ، تبحث عن تجربة عاطفية وهي مهيأة لها بحكم عمرها وجمالها ، ومعلم الموسيقى الاعمى الذى تصدم به أولا ، ثم تشفق عليه ، فيتحول هذا الاشفاق الى حب ، ولكن المعلم الاعمى لايستطيع ان يتحرر من إحساسه بعاهته ، فيختفي من حياتها ليعيش على ذكرى هذا الحب ، لايحلم الحزف أحدا .. سيعيش هناك .. بعيدا .. في كوخ صغير لايليق به الا أعمى مسكين مثله (٣) .

ترتكز هذه المأساة العاطفية إذا جاز هذا التعبير ـ على دعامتين من الظروف النفسية والوراثية ، ومن ظروف المجتمع والطبقية ، وليس من قبيل المصادفة ان يفشل مثل هذا النوع من الحب بل دعائم الحياة الاجتماعية التي تفرض الفشل فرضا .

---

(١) أشواق ، ص : ١٩
(٢) راجع الرومانطيقية نشأتها ، وفلسفتها قضاياها ، وأثارها لفان تيغم ـ ترجمة بهيج عثمان مطبعة الرسالة ـ مصر
(٣) أشواق ، ص : ٢١

المبحث الرابـــــع

رحماك يادمشـــــق :

أغنوصة " رحماك يادمشق " هي الأغنوصة الثالثة في المجموعة المسماة باسمها .

١ - زمانها : سنة ١٩٦١ ، وهي سنة انفصال الوحدة بين سوريا ومصر ، تلك الوحدة التي كانت أمل الشباب الناهض ، ففيها القوة ، والمناعة ، والنهوض بالأمة العربية من كبوتها ، وفيها النصر الاكيد على أعداء الامة ، وتحرير الأرض ، وطرد المستعمر الغاشم الذى يكمن وراء كل انفصال ليضعف القوة العربية ، ويجعلها غير قادرة على تحديات الرجعية والاستعمار فقد اشتهرت هذه السنة بسنة الانفصال .. والانفصال يحمل أكثر من معنى ، ومفاده الضعف والاذلال والسقوط أمام قوى الغدر والخيانة . ومهما كانت صفة القائمين على هذا الانفصال ، فهي لاتخرج عن صفات الغدر والخيانة في حق الامة العربية التي تحيش لتتحد لالتتوزع أحزابا وشيعا عبر دويلات هزيلة لاحول لها ولا قوة .

٢ - مكانها : آ - من الناحية المعنوية : في عقل المفكر العربي ، فيرى العقيدة يطرح بها ، وتطعن قدسيتها بهذا الاستخفاف الذى يطلق عليه اسم الانفصال الذى أعاد الامة العربية الى ماضي العداوة والبغضاء والتفرقة ، وجعلها لقمة سائغة في فم الرجعية وتجار المبادئ .

ب - ومن الناحية المادية ، مكانها الارض السورية ، وفي دمشق ، قلب الامة العربية ، تعلن عن طريق الاذاعة ثورتها على الوحدة العربية ، وهي التي تدعو - منذ أن وجدت - الى الوحدة والحرية والاشتراكية والعدالة الاجتماعية ، نراها اليوم تعلن العكس ، الانفصال من اجل تصحيح الاخطاء التي كانت الوحدة سببا فيها ، ونرى أن صوت الانفصال أخذ يدوى في جميع اذاعات العالم ، ففيه عودة القوة القادرة للسيطرة على الأمة العربية بعد أن فشلت تجربة الوحدة بين مصر وسوريا نتيجة مطامع شخصية وأخطاء - مهماكانت - لاتدعو الى هذا الانفصال مالم تكن وراءه نفوس مريضة ، همها السيطرة والاستغلال ، والعودة الى أبواق الوحدة الفارغة ، لتنفخ كفيرها من النفوس الحاقدة على الأمة العربية .

٣ - أشخاصها وأحداثها : المثقف العربي ، المؤمن بقضية أمته ، الداعي الى وحدتها ، لأن الوحدة هي القوة الفاصلة بين الحق والباطل ، وهي القوة القادرة على أن تذود عن حياض الأمة ، وتعيد بناءها من جديد ، بناءا قادرا على الصمود أمام هزات الغدر والخيانة ، والقوى الناشمة .

نظرة المثقف العربي التي رأت صدى هذا الانفصال ممكوسا على ملامح وجه زوجها وعلى لسانه وعلى تفكيره ، في دموع عادة تكاد تحرق دعاة الانفصال لو تسقط عليهم ..

والصديق السوري الانفصالي ، والفتاتان ، والعديل الوحدوى .

وهناك شخصيات عامة : الشعب العربي المخدوع ، ودعاة الانفصال من حكام سوريا ، وأبطال الحرب الكلامية كغيرهم من القادة العرب ، والاذاعات العربية والاجنبية .

٤ - جموها العام : هو جو الحياة العربية المناضلة ، الداعية الى الوحدة في تلك الفترة من الزمان ، وفي كل فترة زمنية ، وأفراد الشعب العربي يتطلعون الى الوحدة الكبرى المعبرة عن وجودهم وارادتهم ، حيث كانوا يرون في الجمهورية العربية المتحدة نواة مباركة للوحدة الشاملة ، لذلك تقبلها الشعب العربي بدموع الفرح والفخر والاعتزاز ، الا الأنظمة الملكية الفاسدة التي تمثل الرجعية في الأردن والعراق ، فأقاموا اتحادا بينهما ، لا من أجل الأمة ووحدتها ، بل من أجل تفتيت وحدة الأمة ، وضرب مصالحها ارضاء لمصالحهم الشخصية ، ورضاة لأربابهم من القوى الاستعمارية التي تتحكم بهم كحكام يضربون الشعب في معاقلهم بالحديد والنار ، ويلقون كل صاحب صوت حر في غياهب السجون .

وتتناول هذه القصة ايمان الأديب العربي بوحدته العربية ، وتعبر عن كرهه للانفصال ، ونرى أن شعور بطل هذه القصة متناقض كل التناقض مع شعوره في قصة (الدمع العذب)[1] ولا شك الفرق واضح ، فذاك شعوره نحو الحياة ، وهذا شعوره نحو الموت .

٥ - تسميتها : دعاء الى الله ، ليرحم دمشق : لأن في الانفصال موتها ، والقضاء على نواة الوحدة العربية ، والعودة بالامة الى تخبطها السياسي والقومي ، والالتزام بقضايا الرجعية والاستعمار . " رحماك يادمشق .. رحماك يا حلب .. رحماك يا الاذقية"[2] فلماذا هذا الدعاء ، وما معناه عند التحليل والنقد ؟ .

بناء القصة الفني يجعلها نوعا من السرد المباشر ، أو الطريقة الملحمية وهي أكثر الطرق شيوعا[3] وزوجة المثقف العربي هي الراوية التي تنقل الينا مشاهداتها ، وتصف لنا أثر هذا النبأ - نبأ الانفصال - على نفسها وعلى نفس زوجها .

تبدأ القصة في دخول الزوجة على زوجها في مكتبه ، فلم يرفع رأسه الا حين أحست قبالته ، ووضعت يدها على طاولته ، وهي تحس بأنها ترتجف ، فرأى وجهها مصفرا ، فهاله الامر ، ونهض عن كرسيه ، واستدار حول طاولته ليأخذ بيدها ، ظانا زوجته موشكة على الوقوع ، وامتقاعها واضطرابها من علاماته ..[4] .

في هذا التمهيد من الكاتب ، تمهيد منطقي ، يقدمه لنا حتى يكون وقع نبأ الانفصال قائما على قاعدة من الخسوف والاضطراب الذي اكتسبه من العلامات التي رآها على وجه

---

(١) القصة الثانية في مجموعة " رحماك يادمشق (قصة يستقبل بطلها اعلان " الجمهورية العربية المتحدة " بدموع عذبة ، ان هذا الاعلان عن طريق الاذاعة قد حل الدمع المر .. ففي الوحدة القوة والحياة لهذه الامة .

(٢) رحماك يادمشق ص : ٥٣

(٣) راجع ضروب المعالجة الفنية في دراسات في القصة العربية الحديثة ، لمحمد زغلول سلام ، ص ٢٣ و ٢٤ وفن القصة عند نجيب ص ٢٧ ولغاية ٨٤ .

(٤) رحماك يادمشق ص ٣٧

زوجته .. وهذه لفتة جيدة من الكاتب كعادته في كل قصة فالكاتب هنا لا يجعل المفاجأة تتحكم بسير احداث قصته ، بل يقدم لنا بنوع من التمهيد يترك اثرا من نوع الاثر المفرقع ، وذلك حتى تنسج الحبكة متماسكة ، وان كانت تشير الى ان هذه الحبكة من النوع المفكك ، فهو يشغل هذه المقدمات التي تقود الى النتيجة المقصودة ، لذلك ، نراه يعالج القضية بالعلاج ذاته حتى لا يتمرد فيودى بصاحبه ، وتموت القصة قبل ولادتها .-

وتحاول زوجة الكاتب ان توجهه الى التقاط ما ترغب ان تتلفظ به من الاذاعة مباشرة ، فهي تعرف جيدا أن زوجها من دعاة الوحدة العربية ، ويعيش على أمل ان يراها قائمة بالشكل الذى يحفظ ماء الوجه ، وتذى في عين دعاة التفرقة والانفصال ، فخافت ان تصعقه بالنبأ الذى سمعته ولكن أسراره في سماعه منها جعلها ان تتداعى للسقوط ، ولكنها تماسكت ، وقالت دون أن تنظر اليه :

" لقد وقع انقلاب في دمشق "(١)

والعقدة هنا هي عقدة الصراع في هذا الانقلاب ، كيف وقع ، ولماذا ؟ وما أهدافه ؟ وفي هذا القول ، قمة تأزم العقدة وانطلاقها ، وأى تأزم أكبر من أن يقع انقلاب في دمشق يهدد وحدتها مع مصر ؟ كيف تحل هذه العقدة ، ومن ينقذ هذا الانقلاب من الانفصال ؟

قد يكون الانقلاب في بادئ الامر وحدويا ، غايته الاصلاح ، ومحاكمة العابثين بمصالح الشعب ومقدراته ، او محاكمة المتسلطين على رقاب الشعب ان وجدوا .

ان سهيل ادريس يجعل من جملة زوجة البطل " لقد وقع انقلاب في دمشق "(١) قمة العقدة ، ولكنه لا يعمد الى حلها ، بل يضعها في مكان وزمان القضية ، فرادير دمشق بالذات هو الذى أذاع النبأ ، ففرح ناس ، وحزن آخرون ، فرح العابثون اللاعبون بمقدرات الشعوب ، الراسخون في قاعدة الاستعمار الغربي الذين يرون من خلال قاعدتهم سيطرتهم ومصدر وجودهم ، وهؤلاء لن يقفوا مكتوفي الايدى امام دعاة الوحدة ، ففي الانفصال سلاح يضاف الى أسلحتهم ، وحقيقة تضاف الى حقائقهم في الزيف والغدر ، ولا شك أن موقفهم موقف المؤيد المشجع ، وهم قريبون من الحدود السورية ، الامر الذى دفع قادة الانقلاب الى اعلان نبأ حركة انفصالهم ليحصلوا على تأييد دعاة الانفصال ، ويشاركوا في معركة حربية اذا اقتضت الظروف ذلك الى جانب أبناء طينتهم من القادة السوريين المسؤولين عن هذه الحركة الانفصالية .

وحزن دعاة الوحدة والقومية العربية .. حزن أصحاب المبادئ الانسانية الحقة ، حزن كل فرد عربي يرى في وحدة أمته القوة والمناعة .. ولكن ، ما قيمة الشعب هنا ؟ وماذا يستطيع ان يفعل امام ثورة مسلحة وهو أعزل ؟ أن حزن دعاة الوحدة من ابناء الشعب لا يكسبهم الا الدموع والدم ، وخصوصا في عصر يتمرد فيه الباطل وينتصر على الحق الذى يلتف بالصمت مادامت أسلحته غير قادرة رأساليه قديمة .

---

(١) رحماك يا دمشق ، ص ٣٨

ويسأل " زياد " زوجته ليتأكد من الحقيقة .. انه يشك في حقيقة هذا الخبر الذى يحطم النفس ، ويدمي الافئدة ، ولكن زوجته تلقي اللوم على اذاعة دمشق .. وهذا ما أعلنه راديو دمشق بالذات [1] فينصرف عنها بخطى سريعة ولكنه رغم ذلك ، كان بطيء السير كما لو أن اعباء ثقيلة قد ألقيت على كتفيه ، كأنه يحمل دمشق بما فيها على رأسه وكتفيه ، فاذا به يرتمي على الاريكة وأفكاره شاردة بين ان يصدق زوجته التي لم تكذبه قط ، وبين ان يصدق احساسه النابع من اعماق نفسه المؤمنة بالوحدة العربية ، كيف يصدق الانفصال والوحدة غاية كل فرد عربي ، لعله نسي ان الامة العربية ملأى بالعناصر الفاسدة الهدامة الداعية الى الانفصال والتفرقة " وما الباعث أن نهض ، وهو يسحب نفسه بتعب الى مذياعه ، وأدار مفتاح الراديو الى اذاعة القاهرة ، فاذا بموسيقى عسكرية تنبعث منها كذلك ، ثم اذا بصوت المذيع يعلن أن الرئيس سيلقي بيانا هاما عما قليل" [2] وهنا يتأكد من قول زوجته .. لماذا " البارشات " العسكرية في القاهرة أيضا ؟ انه غير مصدق من ان الشعب السورى يؤيد حركة الانفصال هذه .. ان الشعب السورى ابا الوحدة يقتل ابنته ؟ [3] انه لا يصدق هذا ، لا يصدق هذا ، ولكن صوت رجل قناة السويس أكد له ما يجاريه في نفسه .

كان من الممكن ان تقف عقدة القصة عند هذا الحد من الاحداث ، لولا ان سهيل ادريس تدارك الامر ، فجعل الامل يعود الى نفس البطل من جديد ، نتيجة سماعه صوت اذاعة دمشق يعلن " اذاعة الجمهورية العربية المتحدة من دمشق " [4] فأحيا العقدة من جديد اذن ، لم تكن انتفاضة دمشق انتفاضة انفصال ، بل هي انتفاضة تصحيح ومسيرة الى الأفضل .. ان الكابوس الذى تملك "زياد" لساعات طويلة قد انتهى ، فأخذ يتصل بأصدقائه ، يخبرهم ان دمشق ستظل كعبة الوحدة والعروبة ، وان سحابة الصيف قد انجلت ، وخيل اليه أن سماعة التلفون ستذوب في يده من فرط الحرارة التي كان يحملها صوته اللاهث في تعبير الفرحة والابتهاج والطلاقة ... [5]

ويتقلنا سهيل ادريس في قصته هذه الى ردة الفعل لهذه الانتفاضة في نفوس أفراد عامة الشعب الذين تجمهروا في الحي يصفقون ويتنون ويهتفون بحياة الجمهورية العربية المتحدة ، وحياة رئيسها وحياة الشام ، ويشعر الكاتب الى أن أبا احمد ، بائع السوس ، وكان سورى الأصل ، وأن باعة الحي أحاطوا به كأنما يقصدونه الى غاية او يوحون الى رمز [6] . هذه لفتة جميلة من سهيل ادريس ، ففي هذا تعبير صادق عن النفس الانسانية فالالتفاف حول بائع السوس السوري الاصل ، حقيقة الفرد العربي ، فهم - يجمهرون حوله لا عتقادهم انه يفهم اكثر منهم ، لان الاحداث في بلده ، وابن البلد أعرف الناس بشؤونها ، ونسوا أن هذا السورى

---

(١) رحماك يا دمشق ، ص : ٣٨
(٢) نفسها ، ص ٤٠
(٣) نفسها ، ص : ٤١
(٤) نفسها ، ص : ٤٢
(٥) نفسها ، ص : ٤٢
(٦) نفسها ، ص : ٤٢

يعمل في بلدهم ، وقد لايفهم في شؤون بلده بقدر مايفهم في شؤون لبنان الذى يعيش على أرضه .. وهناك لفتة أخرى يمكن ان نفسرها على ان عامة الشعب السورى يؤيد الوحدة ويكره الانفصال ، بدليل ان مجرد اعلان الاذاعة باذاعة الجمهورية العربية المتحدة من دمشق ، اندفع الناس يهللون للجمهورية ولرئيسها ولسوريا معا .

ويتابع سهيل ادريس معنا عقدة قصته ، فيسمح لبطل القصة أن يتخذ لنفسه فترة راحة ، يرافق فيها زوجته الى المصيف ، حيث شوقه الى البنتين قد بلغ غايته ، وسيشعر بمذاق هذه النعمة شعورا اعمق حين يضمهما الى صدره [1] .. ونرى ان صدى صوت " اذاعة الجمهورية العربية المتحدة من دمشق انساه واجبه تجاه زوجته ، فالطبيبة قد نصحتها بعدم ركوب السيارة في رحلة طويلة كهذه ، ولكنها الحت عليه بأنها تحس براحة وهدوء كبيرين ، وبوسعه ان يسير ببطء . ونرى سهيل ادريس يذكر الطبيبة ، لا الطبيب ، ولا ندرى اذا كانت كلمة الطبيبة مصادفة ، لا الطبيب - وهي التي تشرف على ولادة زوجة بطل قصتنا هذه ، او كانت لفظة الطبيبة مقصودة . لان زمان القصة تتحكم به الرواسب الاجتماعية ، والنظرة التشريعية لاتزال تدور في افقها الضيق ، فيكون اشراف الطبيب على المرأة فيه نوع من الرفض تحت اسم الحلال والحرام ، والا لما أكد لنا في سياق كلامه ان الطبيبة هي التي نصحتها بعدم ركوب السيارة وليس هو الطبيب .

لم تكن نصيحة الطبيبة لزوجته بعدم ركوب السيارة قادرة على أن تلهيه عن التفكير بالقضية الكبرى ، فهو يحدث زوجته بحديث ينبض بأطياف المستقبل المشرق ، ويناقش الشكاوى التي وردت في البلاغات ، ويعبر عن أمله بأن تفيد جميعا من ذلك الحدث درسا وعبره [2] .

وتذكره زوجته بالقصة التي تتبنى اثر الوحدة ، وتقارن بين دمعته التي ذرفها حين سمع البلاغ التاسع شبيهة بتلك الدمعة ، وكأنها تؤكد الاساس الانفعالي العاطفي الذى يعيش عليه العرب ، فهم غير جديرين في معالجة قضاياهم ، فوافقها على رأيها وأكد لها أن النجاح مرتبط بتقبل افراحنا بغير الدمع العذب ، وتقبل مصائبنا بغير الدمع المر ، فالعرب يتقبلون افراحهم بالدمع العذب ، ومصائبهم بالدمع المر ، ومانفع هذا بعد فالدموع سواء كانت عذبة أو مرة فلا تغير من الواقع شيئا .. وليس الا السلاح ، سلاح العصر القادر على تغيير الواقع ، والعزيمة والتخطيط السليم .. أما مايبنى على التخطيط العاطفي ، فأقل زوبعة هواء خفيفة قادرة على ان تطوح به ، فكيف يصمد امام العواصف العاتية ؟ اما اذا كان الاساس قويا ، وقائما على التخطيط السليم ، فلن تقوى عليه العواصف والاعاصير مهما انفعلت وتمردت ..

ويستقبل " زياد " الفتاتين بشوق وحنان ، وقد حمل كلا منهما على ذراع ، فراحتا تتحكان وتلوحان لامهما وتناديان عليها بصوتيهما الناعمين ، لان والدهما قد قفز السلم قفزا والام لازالت تخرج الامتعة من السيارة ، بانتظار وصول [illegible] [3] . ولكن هذا الشوق المندفع لم يحل بينه وبين مراقبة أخبار الانفصال ، فأسرع الى جهاز الراديو يتوسل اليه ، لعله

---

(١) رحماك يادمشق ، ص : ٤٣
(٢) نفسها ، ص : ٤٣
(٣) نفسها ، ص : ٤٥

ينقل اخبارا تؤكد حقيقة بقاء الجمهورية العربية المتحدة ، فاذا به يتلقى النداء البلاغ الناسخ لتعود الاذاعة السورية ، وتعود دمشق عاصمة الجمهورية العربية السورية .. فالانفصال وقع فعلا الامر الذى أفقده الاحساس بوجود فتاتيه ، وشعر لو أنه يتحول الى قنبلة يفجرها بين دعاة الانفصال حتى تعود دمشق الى الوحدة العربية التي بدأتها مع مصر .

كانت ملاحظة جيدة من الكاتب أطلقها على لسان شقيق زوجة البطل الذى بات لا يعي شيئا مما يدور حوله ، وتلك الملاحظة هي مراقبة سكان الصيف الذين بدأوا يطلقون الاسهم النارية ، ويشعلون الحرائق ابتهاجا .. (١) وهذه الملاحظة تؤكد لنا ان فئة كبيرة من فئات لبنان تكره وحدة الامة العربية ، لاعتقادها انها ستذوب في كيان الوحدة العربية ، وسيذوب شوقهم في تحقيق مطامعهم السياسية او الدينية .. فالوحدة برأى عناصر هذه الفئة تشكل اكبر خطر على وجودهم العنصرى في لبنان ، لان لبنان - برأيهم - ليس منتميا الى المجموعة العربية ، وكل انفصال وعدم تقارب بين دولة عربية وأخرى يساعدهم على البقاء والمسير قدما في مخططات مستقبلية لعزل لبنان وشعبه عن الوحدة العربية والقومية العربية ، ولكن ، لم يكن الكاتب صريحا في تحديد طائفة هذه الجماعة ، كما أنه لم يحدد منطقة الصيف ران كان القارئ قادرا على أن يتعرف على طائفة أعضاء تلك الفئة .

ويحاول سهيل ادريس في قصته - رحماك يا دمشق - ان يبرئ ساحة بطل الوحدة من منطلق اعترافه بالاخطاء التي ارتكبت ، ويعتبر هذا الموقف هو موقف الشرفاء من الرجال ، ولكن (٢) . فهذه الكلمة ذكية للغاية ، ويستطيع من خلالها ان يتخلص من أى اتهام موالاة أو معارضة لو لم يحدد هذه " الكن " فتحديده لها ادانة لرجل الوحدة " مهادنة الرجعية التي اعترف بها الرجل ، ان الثوار لا يهادنون الرجعية (٣) .. ويؤكد هذه الادانة باطلاق حكمه على ان الثوار لا يهادنون الرجعية ، فمهادنة رجل الوحدة للرجعية حكم عليه بمسؤولية الانفصال التي تمت ..

وهناك تأكيد اخر لاتهام رجل الوحدة بالمسؤولية ، قول يطلقه " زياد " يصف فيه الشعب عموما ، فيقول : لا يستطيع أحد أن يدين شعبا ، برمته ، وان ظل الشعب ، لن يظل طويلا ، ولكنه يخضع للحديد والنار ، ومع ذلك فلن يطول صمته على حكم الحديد والنار ونستطيع ان نفسر ثورة الانفصال من هذا المنطلق أيضا .

اذن ، القضية في عالمنا العربي قضية حاكم وشعب محكوم ، والشعب آخر من يحلم ، ولا حيلة بيده .. لو كان الشعب العربي فعلا هو الحاكم بأمره لما وجدت الدول العربية ممزقة لكانت دولة عربية واحدة .. ومادام الشعب باق على انفعاله العاطفي فلن يمثله حاكم يمثل

---

(١) رحماك يا دمشق ، ص : ٤٧
(٢) نفسها ، ص : ٤٨
(٣) نفسها ، ص : ٤٨
(٤) نفسها ، ص : ٤٩

ارادته ، ستظل الامة مشتتة ، وسيحدث انفصال وآخر ، بعد اعلان الوحدة او الالتحاد مالم تقم على التخطيط السليم ، وبناء على ارادة الشعب لا ارادة الحاكم ، لان الحاكم قابل للتغيير والتبدل في كل حركة انفصالية .

ان سهيل ادريس يدين حزب البعث العربي الاشتراكي في حركة الانفصال بالاشارة الى ان زعيمين من زعماء الحزب الذى يعتقد انه الحزب العقائدى الوحيد الذى يؤمن ايمانا مخلصا بالوحدة والاشتراكية بين الموقعين على بيان الانفصال الذى زعزع ايمانه بهذا الحزب ، ولم يكن ينتظر منهما ان يسلكا طريق الانتهازية التي كثر يعيبها بدا على حزب آخر ، ويتهمه أنه هنا يبيع الغاية كسبا للوسيلة (١)

ولم يكتف الكاتب بادانة الحزب ، بل يأخذ بيدنا ليعرفنا على صديق "زياد" السورى فهو يعرف ان القضية القومية لاتشكل بأى حال هما من همومه الرئيسية ، ولهذا لم يكن يتوقع أن يصيب من هذه المقابلة أية راحة نفسية هو بأشد الحاجة اليها (٢) . وقد صدق حدسه ، فسمير "يستقبله والبشر يطفح من وجهه ، وهذه الملاحظة تؤكد حقيقة الراحة النفسية والرضى الذى يتحكم في نفس سمير وشقيق الناجر الذى حبسته حركة الانفصال دون عودته الى مقر عمله في دمشق ، واخذ الاثنان معا يتحدثان عما كان يعانيه السوريون من تضييق على الحريات والارزاق ، ووصفا الحركة الانفصالية على أنها " ثورة خبز " (٣) ..

اذن ، ليس أعضاء الحزب فقط دعاة انفصال ، بل وكثيرون من أفراد الشعب ونستطيع ان نتأكد من حقيقة واقعة هي ان الوحدة بين مصر وسوريا لم تكن قائمة على اساس من الدرس والتطبيق ، بل كانت نتيجة انفعالات عاطفية ، وعندما خمدت تلك الانفعالات وقع الانفصال " وخصوصا اذا كانت القضية قضية وحدة شعب عاش في بيئتين مختلفتين وتحت ظروف وقيادات مختلفة .

ولم يقف الكاتب عند هذين المثلين : الحزب ، وصديقه البطل سمير وشقيقه ، بل أخبرنا أن مدرس الادب الذى كان استاذ " زياد " في المعهد الديني ، وصرف من المعهد لسلوك مشبوه ، عاد الى دمشق ليصبح قاضيا شرعيا .. (٤) وهنا يؤكد لنا من هذه الحقيقة ان الانفصال زان وتم" ، فهو غير شرعي ، وأشبه بهذا القاضي الذى صرف من المعهد ليصبح قاضيا شرعيا في دمشق ، وحكومة كهذه تحتاج الى قاضي كهذا القاضي .

ولم يكتف الكاتب بهذا المثل ايضا ، بل يؤكد ان عددا من الادباء السوريين الذين يحترمهم يتحدثون من اذاعة دمشق أحاديث زلفى وتملق للعهد الجديد (٥) .. اذن ، القضية ليست قضية مثل أو مبادئ ، القضية قضية مصالح شخصية عند الحاكم والمحكوم ، كل ينظر الى الوحدة نظرة استغلال ، قائمة على عدم الثقة والمحبة ومصلحة الوطن .. وهذا الاتجاه محكوم عليه

---

(١) رحماك يادمشق ، ص : ٥٥ و ٥٦
(٢) نفسها ، ص : ٥٧ و ٥٨
(٣) نفسها ، ص : ٥٨
(٤) نفسها ، ص : ٦٣
(٥) نفسها ، ص : ٦٣

بالتغيير في يوم من الايام .. فالامة العربية بحاجة الى تغيير جذري يرد لها الثقة المفقودة بين الحاكم ، والمحكوم ، ويعد طابقوة جديدة لاستئناف النضال .. وحركة الانفصال هذه هي بداية نضال طويل من اجل وحدة طبيعية ، مبنية على اساس من المصلحة المشتركة وقائمة على العدل بين جميع افراد الشعب العربي .

وتم الانفصال .. وانتهت عقدة القصة ، ولكن سهيل ادريس لم يتركنا في تساؤل عما حدث مع زوجة " زياد " فقد كنا نتوقع من ان صدمة الانفصال التي تمت يكون لها اثر عكسي على زوجه الحامل ، ولا نستطيع ان نواصل السير .. وهنا تلتقي جميع الخيوط والابعاد لتشكل قمة الصراع في عقدة القصة ، ونراه يتدرج بنا نحو الحل .. كيف تحل عقدة الزوجة الحامل ؟ وكيف يتخلص هو من شعور القلق والحيرة والعذاب نتيجة هذا الانفصال ؟

يوازن سهيل ادريس بين عقدتي قصته : عقدة الانفصال من جهة ، وعقدة الزوجة الحامل من جهة ثانية .. فالانفصال قد تم فعلا ، والحزب ، والتاجر ، والشيخ ، والأديب يوافق أو ينافق من أجل هذه الحركة الانفصالية ، ويرحب بها كبديل للوحدة ، من اجل دعوة جديدة الى وحدة الامة تتزعمها دمشق لا القاهرة . ونرى كاتب القصة يتألم ويرثي لحال الامة العربية من خلال بطل القصة " زياد " كيف يدخل الهدوء والاستقرار على نفسه ؟ فنراه يضع مقابل هذا الانفصال ، تلك الزوجة الحامل ، فيجعلها تتألم من أجل أن تخفف عنه ألم الاحساس بالانفصال وبعده لقبول النبأ بلا أبعاد نفسية ، لان من الطبيعة البشرية ان يخاف الانسان على ما يخصه بالذات قبل ان يخاف على ما يخص الامة بأسرها ، لذلك نرى أن صدى وقوع نبأ الانفصال سوف يكون شديدا - الا أنه أخف من وقوعه على انسان يتقيد بالمبادئ القومية ، ولا زوجة تتألم عنده

ونرى الزوجة تلد مولودا ذكرا ، وهو أب لفتاتين ، فيستقبل المولود الجديد ، بوصفه انه اجمل مولود رآه في حياته [1] وهذا صحيح ، لانه يرى من خلاله وجوده ، وهذا ما يؤكد أنانية الانسان الطبيعية ، ولكن الانانية هنا تختلف عن الانانية عند الكبار الذين تزعموا حركة الانفصال - ، فهذه انانية عمياء ، تقوم على الحقد ، والمصالح الفردية ، اما تلك ، فأنانية غريزية لا يخلو منها اي انسان ، ان اختلفت ابعادها من خير الى اخر .

الانفصال قد أصبح حقيقة ، والشعب الذي يمثله التاجر ، والاديب والقاضي بارك هذه الحركة تملقا او حقيقة ، وفي هذا تنحل العقدة ، والزوجة الحامل قد ولدت ولدا ذكرا ، وهي أم لفتاتين ، فحققت رغبتها ورغبة الأب ، وأصبح للفتاتين أخ يتعكزان عليه .. وهنا الحل لعقدة الام الحامل .

ولكن السؤال الذي نطرحه : لماذا اعتبر هذا المولود الجديد - وبعد حركة الانفصال مباشرة - هو أجمل مولود رآه في حياته .. هل الدولة المنفصلة هي هذا الطفل المنفصل الجديد الجميل ؟ أو هو الامل في المستقبل ؟ او هو توقع الخير من باطن الخطر ؟ ؟ .

---

(١) رحماك يا دمشق : ص : ٦٦

الفصل الثاني

روايات سهيل ادريس

١ - الخندق الفميق
٢ - الحي اللاتيني
٣ - أصابعنا التي تحترق
٤ - روايات سهيل ادريس في مرايا النقاد

المبحث الأول

" رواية الخندق الغميق " (١)

هي الرواية الثانيه التي كتبها سهيل ادريس ..

١ ـ زمانها : بين سنة ١٩٢٦ وسنة ١٩٤٩ ، زمان الاستعمار الفرنسي (٢) ، على أنقاض الاستعمار التركي الذى سيطر على العالم العربي أكثر من اربعمائة سنه ، باسم الدين ، والخلافة الاسلاميه (٣) . استطاع الاستعمار التركي أن يعزل الأمة العربية عن الحضارة الاوروبية التي ابتدأت تباشيرها تدل عليها ، بعد الثورة الصناعية التي قلبت مفاهيم الناس هناك ، وضيّقت حلقة الصراع الديني الذى كان يتحكم بالنفوس ، وخصوصا بعد اعلان الثورة الفرنسية على الكنيسة ، وفصل الدين عن الدوله (٤) .

استطاعت اوروبا أن تتخلص من سيطرة الكنيسة ، وتحدد موقفها من الدين ، واتجهت تصنّع نفسها لرفع مستوى الحياة الاقتصادية والثقافيه والاجتماعيه ، والأمة العربية ترزح تحت الاستعمار التركي الذى عزلها عن نور الحضارة والعلم ، واستعبدها باسم الدين الذى بقي أثره قائما حتى بعد انتهاء هذا الاستعمار .

ونرى ، ان فترة الاستعمار الفرنسي في لبنان كان لها أثر معاكس على الأمة العربيـــة فقوّى عند أبنائها الاحساس الديني ، لمواجهة صادراته الثقافية والاجتماعيه ، ولم يكن للعرب غير اللغه والدين مقابل الثورة الصناعيه والثقافية التي جعلت من فرنسا دولة قوية مستعمره ، فانكمش العالم العربي حول ذاته وسيطرت القيم الدينيه في النفوس ، وعلى السلوك ، فرفض معظم العرب ـ ان لم يكن جميعهم ـ النظريات الاجتماعيه التي باتت تغزو الحياة العربية في عقر دارها عن طريق الارساليات الأجنبيه التي أخذت تؤسس المدارس والمعاهد في جميع انحاء لبنان والعالم العربـــي

وساهمت الحرب العالميه الاولى ، والحرب العالميه الثانيه في اضعاف الاحساس بالدين عند الشباب ، وخصوصا بعد أن صوّر الاستعمار الغربي تركيا صورا بشعة وربط تخلفها الصناعي والثقافي والاجتماعي بروح الدين التي لا تلائم العصر ، لذلك نرى ان الزمان الممتد بين سنتي ١٩٣٦ و ١٩٤٩ وهو زمان احداث هذه الرواية ، زمان صراع بين جيل متدين ، وآخـــر يستقبل النظريات المستورده بقبول واستحسان ، فأخذت هذه الفئة من الناس تنظر الـــى الثقافة الغربية نظرة اعجاب ، وعلى انها قادرة على أن تخلصنا من عبودية النظريات القديمة التي تعرض علينا طاعة كل ذى "لغة وجبّة" ، بالاضافة الى انها الجسر الوحيد الذى يصلنا بالعلوم الحديثه ويطالعنا على قضايا تلك الأمم ، لنأخذ منها الجيد ، ونترك الردىء الذى يتنافـــى والأخلاق العربيـــة .

---

١ ـ نشرتها دار الآداب طبعه اولى سنة ١٩٥٨ وطبعه ثانيه سنة ١٩٧٢ ببيروت ـ لبنان .
وترجمها المستشرق الامريكي : مارك جريث الى اللغة الانكليزية ، مع الدراسه ، نال بها شهادة الماجستير من الجامعه الاميركيه ببيروت سنة ١٩٧٤ .

٢ ـ راجع جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، لصالح مسعود ابو يصير ، دار الفتح للطباعة والنشر ط٣ بيروت ٧٠

٣ ـ = تاريخ الشرق العربي والخلافة العثمانيه ، لمحمد ضياء الدين الريس ، مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٠ م

٤ ـ = تاريخ الثورة الفرنسيه ، لألبير سوبول ، ترجمة جورج كدر ، دار عويدات ط ١ بيروت ١٩٧٠ م

ومقابل هذه الفئة التي استجابت الى معطيات الغرب ، وقف جيل الآباء وقفة تحـــد ورفض .. وهنا بدأ الصراع على أشده بين الجيلين : جيل الأبناء الذى يبحث عن كل شيء جديد ، وجيل الآباء الذى يرفض الجديد ويتمسك بالقديم .

٢ - مكانهـا : من الناحية المعنويه ، والناحية المادية .

من الناحية المعنوية ، في عقل الأبناء ، الذين يرون في آبائهم جيلا يعرقل ركب حضارة الأمه العربيه ، ويعملون على بقائها جامدة ، غير قابلة لنظريات العصر التي باتت تهدد الأمه العربيه تهديدا مباشرا ، يحول بينها وبين وحدتها التي قضى عليها الاستعمار الغربي في معاهدة سايكس بيكو (١)

ومن الناحية الماديه ، كان مكانها في حي الخندق الغميق ، ببيروت ، وكذلك المعهد الديني ، وفي كل بلد عربي ، لأن بيروت في تلك الحقبه التاريخيه كانت لا تختلف عن بقيـــة المدن العربيه بشيء اللهم الا بأسبقية اطلاع أهلها على العلوم الحديثه نتيجة اتصالها المبكـــر بالغرب ، وموقعها الجغرافي الممتاز الذى جذب اليها الارساليات الدينيه المسيحيه المختلفه ، وكان من نتيجة هذه الارساليات وجود الجامعه اليسوعيه ، والجامعه الأميركيه .

وما توصف به العائله اللبنانيه في هذه الفترة من الأحداث ينطبق على العائله العربيـــه في كل مكـــان .

٣ - أشخاصها وأحداثها : عائلة بيروتيه مؤلفه من أب ، وأم وثلاثة أطفال ، وفتاة ، الأب رجل دين ، وامام جامع ، يمثل الجيل القديم بنزعته القديمه ، والابن " سامي " يمثـــل الجيل الجديد المناهض للجيل القديم ... وهناك شخصيات عامة ، مثل : الجماعه الدينيـــه والخياط ومدرس الأدب السورى ، وأساتذة المعهد الديني ، وعزيز ، وأبو محمود ، صاحـــب دكان البسمه ، وسميا ، ابنة صاحب الدار الذى نزل فيها سامي وعائلته في الصيـــف .

هذه الشخصيات تشترك معا في تكوين عقدة هذه الرواية ، وان كان دور كل واحد منهم يختلف من حيث الأهميه في الروايه ، ونستطيع أن نستغني عن عدة شخصيات ، ونلتـــزم بشخصيتين أو ثلاثه دون أن تتأثر العقده الرئيسيه في الرواية ، لو أخذنا سامي ووالده ، وسميا ، ورفيق يمكننا أن نستغني عن الشخصيات الأخرى ، ولكن لغاية تقصي الحقائق أوجد الكاتب هذا القدر من الشخصيات الثانويه ، حتى يصف لنا قطعه من الحياة وصفا دقيقا بكامـــل معطياته الانسانيه والاجتماعيه والثقافيه ، فاختلفت المواقف ، والقيم وأثبت منطق العلم وجوده الممثل في شخصية سامي الذى كسب المعركه في النهايـــــة .

---

١ - راجع جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، الفصل الاول ، لصالح مسعود ابو يصير ، دار الفتح للطباعة والنشر ط ٣ بيروت ١٩٧٠ م

٤ - جوها العـــام : جو الحياة العربيه التي ترتبط بالقيم الدينيه ، وتعيش على نظريات تعسفيه قديمه ، بعيده عن العلم والمنطق والدين الحق ، لأن نظريات الدين الاسلامي وجدت لتلائم كل زمان ومكان ، أما عقليات الناس ، فقابله للتغير والتعديل نتيجة العلم والمعرفه ، لذلك نرى التفسيرات الخاطئه لبعض نظريات الدين التي لا يقرها الدين بجوهره وحقائقه ، ولكنها ترضي أنانية رجال الدين ، لأنها تخدم مصالحهم الشخصيه ، وتلبسهم ثوبا من الهالة والعظمه .

والشباب الواعي يقف عاجزا عن الاصلاح ، ولا يستطيع التمرد على هذه القيم الزائفة ، فالمعارضه شديده ، والاتهام بالزندقه وارد ، لذلك يقف أمام تحديات الرجعيه موقف حرص مترصد .. ولكن " سامي " ابن رجل الدين ، وصاحب حلقات ذكر أسبوعيه ، ويهبط بســـاط الطعام أمام جماعته مرة في كل شهر ، وجد في نفسه الشجاعة على التمرد ، لأنه يعيش فـــي جو الدين الذى لم يعشه غيره من أبناء جيله الذين يؤمنون بروح التمرد على القديم لارتباطه بعجلة الرجعية التي تجعل من الرعية قطيع ماعز يهشه رجل الدين بعصاه .

ليس بالأمر السهل على " سامي " انه يتخذ موقفا معارضا لجيل والده ، ولكنه جرىء ، ومؤمن بالعصر وأساليبه ، فأصبحت الثوره عنده أقرب بكثير من حياة الجمود التي تعّود الناس عليها ، لذلك نراه اختار طريق الثوره وطريق الصراع بغية الاصلاح ، واذا لم يصل فتكون ثورته بدايـة ثورات أعم وأشمل ، تغرى متطوعين جدد على متابعة مسيرته التي بدأها ، وسيصلون بهـــا الى الغايه المنشوده .

ان قيمة الاعمال في بداياتها .. والهداية الصادقه لها نهاية قادرة على التأثيـــر في النفوس ، التأثير الذى يثمر ثمرا يكون قادرا على أن يذهب المرض ، ويصّح العقول ، ويدفع الى التحرر من جميع القيود على اختلاف مفاهيمها وابطال دعامتهـــــا .

٥ - تسميتهـــــا : الخندق العميق ، الوادى ، والخندق : الحفير ، وخندق حوله : حفر خندقا . والخندق المحفور .

وأصل الكلمه فارسي ، تعني الحفره (١)

٢ - اسم حي من أحياء مدينة بيروت ، يقع بالقرب من وسطها ، في الجهة - الجنوبيه الغربيه من أحياء بيروت القديمه ، مكتظ بالسكان الذين يعيشون على نظريات الديـــن القديمه ، ويرتبطون بالأخلاق المتعارف عليها من خلال تلك النظريات التي تجعل رجل الدين صاحب رأى وكلمة مسموعة بين الناس .

في هذا الحي بالذات ، كان أهله يميلون الى النزعة الدينيه ، ويرفضون النظريـــات العلميـة الحديثه التي تجعل الدين على ضوئها اكثر عمقا وافادة ، وتحد من نشاطات العقليـه الرجعيه التي تستعبد الأجساد والنفوس باسم الدين والعرف والعادة ، بدليل أن الحلقـــات

---

١ - المعجمـــات

الدينيه كانت تقام كل ليلة جمعه ، يقرأ منها أحدهم جزءا من القرآن ، ثم يتلو آخر بعض السيرة النبوية ، ويشترك الجميع بعد ذلك بالقراءة في كتاب صغير مذهب الحواشي ، يوزّع نسخه على الجماعة رجل كان يحمله في صندوق خاص ، يخرجه منه ويعيده اليه بكل تؤدة ورفق (١) ..

من هذه الحلقات الدينيه التي كانت تقدم كل ليلة جمعه ، ومن هذا الأسلوب نستطيع أن نتعرف على الحياة الاجتماعيه والثقافيه في الحي " حي الخندق الغميق " الذى كان مسرحا لأبطال جيلين في أسرة واحدة ، عايشاها منذ نعومة اظفارهما ولا يزالان يعايشانهـــا جنبا الى جنب ، جيل ثائر أصبح يمثل الجيل الذى انهزم أمامه لما تركه من رواسب في نفوس أبطاله رغم انتصار جيلهم على جيل آبائهـم .

٢ ــ الخندق الغميق ، هو الفجوة العميقه التي تفصل جيلين بعضهما عن بعض ، جيل عاش خلف سجن كثيفه من العادات والتقاليد المتحجره ، يمثله والد " سامي " ، رجـــل دين ، وامام جامع ، وجيل أخره ، انسلخ من هذا الجيل . نراه ينفتح بغتة على العالم الأوسع ، فيتمرد بزعامة سامي الذى أدرك أن ما من مقدسات في الأرض يقف امامها الانسان غير أشواقه الى المعرفة الحقة التي تنقذ صاحبها من ظلام هذا الخندق الى نور الحياة ، والانطلاق والحريـــــة ..

ان الجيل الأب ، وقد سمية هذه الأبوة ، وجميع المقدسات تغدو عقبات في وجه جيـــل الابن اذا هي حاولت أن تقف في وجه أشواقه الى الحياة عبر المعرفة والانطلاق والحرية ، وتجعله قادرا على أن يتخطاها عقبه تلو عقبه حتى ينشرها أشلاء على صخرة ارادة الأجيال القادمه التـــي تعشق المعرفه والحرية ، والانطـلاق .

ان هذا الصراع الذى مثله الأبناء ضد الآباء في هذه الفترة التاريخيه من الزمن كان قادرا على أن يشقّ هذا الخندق الغميق ، ليردم فيه عقلية الآباء القديمه التي تتمسك بقشور القضايـا وتتخلى عن لبابها ، وهي ذاتها التي حفرت هذا الخندق لتردم فيه تمرد الجيل الجديد ، ولكن العلم الذى أقام هذا الجيل نفسه عليه ، الارادة القوية ، والانطلاق نحو الحرية اودى بالجيل القديم في الحفرة ذاتها ، والتي صنعها من أجل معارضيه ، فوقع فيها ، وعجـــز عن الصعود منها .. وقع الجيل القديم في الخندق الغميق ، فأصابه شلل قاتل اودى بحياة أصحابه ، وترك الجيل الجديد يواجه أشواقه بلا معارضه أو مقاومـــه .

بناء الروايه الفني نوع من السرد المباشر ، وهي الطريقة القادرة على وصف حياة أسرة ، وحياة بلد ، وتاريخ مقاطعه ، ولكن ، هذا لا يعني أن ضروب المعالجه الفنيه الأخرى غيـــر قادرة على التعبير عن هذا النوع من القصص ، بل هي أقل وصفا وعطاءا من طريقة السرد المباشـر لأنها الطريقة القادرة على الحركه مع جميع أبطال القصه مهما ازداد عددهم ، لذلك نرى سهيـل ادريس قد اختار طريقة السرد المباشر للتعبير عن أحداث قصته في " الخندق الغميق " ليصف

---

١ ــ الخندق الغميق ص : ٨

لنا حياة شعب كامل من خلال حياة أسرة الخندق الغميق التي اختارها نموذجا للشعب العربي ، فرافق ابطالها فردا فردا ، ووصل مع كل فرد منهم الى حيث انتهت أشواقه على مسرح الخندق الغميق .. فالى أى مدى وفق سهيل ادريس في التعبير عن أفراد هذه الأسرة من الأب والأم الى الأخ الأكبر " فوزى " ، والى " سامي " . العنصر الرئيسي ، الذى يمثل وجهة النظر التقدميه ، مقابل وجهة نظر والده الرجعيه ، وهدى ، ووسيم الأخ الأصغر ؟

قسّم الكاتب روايته الى قسمين ، دون أن يقدمها بمقدمه أو يختمها بخاتمه .

جعل القسم الأول في واحد وتسعين صفحه ، تناول فيه وصفا لحياة أسرة معينة تعيش في " الخندق الغميق " وركّز على طفولة سامي ، كيف دخل المعهد الديني ، وماذا حصل معه داخل المعهد ، ثم ألبسه الجبه والعمامه ، ووصف لنا مشاعره نحوهما ونحو الحب والحياة ، الحب الذى دخل نفسه من مقابلته لسميا أول فتاة يصادفها في حياته غير اخته هدى .

والقسم الثاني ، جعله في واحد وسبعين صفحة ، أخبرنا فيه عن لقاءاته بسميا ، ومراسلاته ، ثم لقائه بعد عودتها من القاهرة زوجة دون علمه ، ووصف لنا الصراع الذى شدّه الى التمرد على القيم والعادات ، فخلع الجبة والعمة ، وتدخل في مستقبل اخته هدى ، كما تدخل في سير دراسته الأدبيه التي أهلته للدراسة الجامعيه ، كما وصف لنا حقيقة علاقاته مع جميع أفراد أسرته ، الذى مثل كل منهم وجهة نظر مختلفه عن الآخر ، فجمع بذلك عدة تناقضات كانت موجودة في المجتمع ..

تبدأ الرواية "السهيلية" بتسليط الأضواء على " سامي " الابن الثاني في الأسرة ، فيختاره بطلا لروايته " الخندق الغميق " ، بعد أن أظهره ذكيا ومتمردا منذ حداثته ، الأمر الذى جعل الوالد ينظر اليه نظرة مختلفة عن نظرته لشقيقه الأكبر " فوزى " .. كيف كان هذا ، وما هي المقدمات التي شدت الوالد الى هذا الاختيار ؟؟ ولماذا كانت هذه الأسرة مختبرا لحياة هذا الخندق الغميق ؟

من هذا المنطلق تنطلق عقدة الرواية الرئيسية ، وان كانت تتفتت الى عقد فرعيه ، تتناول بعض الحيوات التي يسير أصحابها في طريق مختلفه عن طريق بطل الروايه الرئيسي ، الذى تدور حوله العقده الرئيسية ، التي تأخذ في طريق تأزمها خطوة خطوة ، في تسلسل منطقي ، لا يقف في طريق تدرجها الى الحل عائق ، واذا وجد فلتفسير ظاهرة معينة لا تخرج عن خط سير العقده الرئيسية .

" والد سامي " رجل دين ، وامام جامع ، وصاحب جماعه ، يدعوهم الى حلقات دينيه كل ليلة جمعه ، ليقرأوا القرآن ، وبعضا من الأحاديث النبوية الشريفه ويدعوهم لتناول طعام العشاء مرة كل شهر .. (١) وسامي يراقب تلك الحلقات الأسبوعيه والأمسيات الشهرية التي تعطي والده صفة خاصة ، وتجعله صاحب كلمة مسموعة عند أفراد جماعته ، وكانت السبب المباشر الذى دفعه الى التمرد على التقاليد المفروضه على أفراد أسرته ، بعدم الانتظار حتى

---

١ ـ الخندق الغميق ، ص : ٨

يقوم أفراد الجماعة عن المائدة ، بل اندس بين رجلين منهم ، وراح يأكل كما يأكل الجميع ، غير عابئ بأنظار أبيـــه .. (١)

كان عمله هذا أول تمرد يصدر عن " سامي " ، ومن هنا نفهم ان كاتب القصة أخـذ يوجه بطله الى الحياة التي يريدها له . فالى أى مدى نجح سهيل ادريس في هذا التوجيـه ؟؟ وهل تقبل الوالد تصرف ابنه دون وعظ وانتقاده ؟ لم يذكر لنا الكاتب شيئا عن نتيجة هـــذا التحدى ، لعله اعتبره هفوة طفل لا يستحق عليها العقاب أو اللوم ، أو لعله لاحظ كل شيء واكتفى بالنظر لغاية ما في نفسه .. ولكن ، ما هي هذه الغايه التي رضى الصمت مقابل التحدى من أجلها ؟؟ هذا ما سيكون واضحا عبر مسالك عقدة الرواية ، وسنرى أكله عند تأزمهـــا ..

ترك الأب ابنه يجالس الكبار ، ويقرأ معهم الى ان فاجأه يوما في غرفته يترنم ببعض كلمات من " دلائل الخيرات " فوصف صوته بالجمال ، ثم أجلسه الى قربه وجعل يقرأ بعـــض الآيات بصوته الخافت الرقيق ، حتى اذا انتهى ، أعطاه المصحف ، وطلب اليه أن يعيد تلاوة ما قرأ ، وأخذ يتابعه ويشجعه ويصحح له قراءاته .. (٢)

من هنا . ابتدأت فاتحة القول والعمـل ..

ومن هنا ، ابتدأ توجيه " سامي " توجيها دينيا حسبما خطط له والده .. ودعم هذا التخطيط قريب والده الثرى الذى طلب منه أن يحفظ أربعين حديثا جمعها النووى ، (٣) مقابل هدية لم يعلن عنها ، وكانت قام حبر حصل عليه عن طريق القرعة بين الساعة والقلم والمحفظة . (٤) الأمر الذى دفع هذا الطفل ، الذى لا يعي شيئا من واقع الحياة ، أن ينظر الى الدين ورجاله نظرة الاعجاب والتقدير ، التي دفعته الى اتخاذ القرار الذى وجهه والده الى اتخـــاذه .. انه يريد أن يصبح شيخـــا .. (٥)

وعارضت الأم قرار طفلها ، فهو لا يعي ما قاله .. انها تعرف حياة رجال الديـــن ، لأنها تعايش أحدهم ، وتفهم حقيقته ، لذلك هي رفضت بشدة ان يكون ابنها خلفا لأبيه ..

وأصرّ " سامي " على موقفه ، بتشجيع من والده ، فأشرق وجه الأب فرحـــا ، وشده الى صدره بحنو وعطف شديدين ، يدعم ارادته بالقول المأثور : " العمامه تاج العرب " (٦)

اذن ، لم يكن قرار سامي محض صدفه ، بل كانت هناك مقدمات اذن الى هـــذه النتيجه .. فهو يراقب تحركات والده وجماعته ، كما يراقب موقف الجماعه من والده .. انهـــم يحترمونه ، ويجلّونـــه ، وكذلك يحترمه الآخرون ، لأن كلمة " شيخ " تعني الاحترام والتقديـــر فكيف اذا كان هذا الشيخ هو والده الذى يفتح بيته للناس كل اسبوع مرة . ويطعمهم كل شهـــر مرة ؟؟ ولم لا يتمثل بوالده ؟؟ ان من البديهي أن يتمثل الابن بأبيه ، " وسامي " فـــي

---

١ ـ الخندق الغميق ، ص : ٨
٢ ـ نفســـها ص : ٩
٣ ـ نفســـها ، ص : ١٠
٤ ـ = ، ص : ١١
٥ ـ = ، ص : ١٨
٦ ـ = ، ص : ٢٠

الحادية عشرة من عمره ، العمر الذى يرى فيه صاحبه نقطة الانطلاق من مآثر والده .. واذا لم يكن فالطفل سهل القيادة والتوجيه في مستهل طفولته . وذلك عن طريق الهدايا ، والاقوال المأثوره ، والمواقف التي تصور له .. ولماذا لا يكون " سامي " شيخا ؟؟ لماذا لا يحصل هو أيضا على تاج العرب ويعتمر به ؟؟

أدخل سامي المعهد الديني .. ولكن ، هل بقي شعور الرضى والاحساس بالسعادة هو المتحكم في نفسه ، أو كانت السعاده مجرد وهم جناه نتيجه تضليله ؟ وما موقفه في النهاية ؟ هل استطاع أن يعدّل من مسيرته أو يرضى بالواقع الذى وافق على اختياره ؟؟

في دخول سامي المعهد الديني أول منطلق للحبكه الرئيسية ، لا نهاية المنطلق بل كان بداية الواقع الذى يفتح آفاقا جديدة نحو حياة ينظر اليها البسطاء من عامة الشعب ، والقلة من المثقفين ، نظرة تقدير واحترام ، يكفي ان هذه الحياة تقود صاحبها الى خاتمة سعيده عند الله - حسب اعتقادهم - هذا اذا كانت هذه الحياة - هي فعلا - حياة الدين التي تتلاءم مع كل زمان ومكان ، لاحياة تعقيد واتهام وتفسير خاطئ .

الدين والدنيا يجتمعان ولا يفترقان ، والا لما وجد دين لدنيا ، ولكن نصوص بعض رجال الدين الصادرة عن تفسيرات مغرضه ، تكون ضيقه وسطحيه ، وبعيدة عن الدنيا ، الأمر الذى ينفّر الشباب ويقلقهم ، ويدعوهم الى الثورة ، ولكن الى أى مدى استطاع أن يجسد ما يعتقد به ويتمناه ؟ هل عرف الله من خلال هذه الدراسه الدينيه ، فعرف الناس والحياة ؟ وما موقفه من المؤيدين والمعارضين ؟؟ فسامي قد اختار الدراسة الدينيه نتيجة مقدمات وأعطيات وأمثال ، هل كانت تلك المقدمات وتلك الاعطيات والامثال قادرة على أن تجعله داع من دعات الدين والعرف والتقاليد ، أم استطاع أن يرى آفاقا جديدة فحدد موقفه ؟ وهل كان موقفه سلبا أو ايجابا ؟

كل هذه الامور وأجوبتها تدور في ثنايا حبكة الرواية ، ولكن كيف استطاع أن يتدرج بها نحو الحل والاجابه ؟

اذا نظرنا الى حياة سامي في " المعهد الديني " وحاولنا ان نقارنها بحياته في البيت وجدنا أن الفرق بين الحياتين شاسع جدا ، وليس من السهل تقبل هذا الاختلاف بالسهولة التي تصورها والد . ففي المعهد كان عليه ان يعتمد على نفسه ، فلم يكن هناك من يعني بشؤونه ، ويرتب حوائجه ، ويضع خطّة مسلكه .. (١) كما انه لم يتخذ من مجموعة طلاب المعهد صديقا سوى " رفيق " . أما حياة الدروشه ، فقد اعتاد عليها في البيت مساء كل جمعه ، ولكنها ليست هي الحياة التي تلهي الطفل في طفولته ، فهو يحتاج الى رفقة لهو ولعب ، يحتاج الى الانطلاق ، الى الحرية التي افتقدها داخل المعهد .

من هنا نلاحظ أن سهيل ادريس أخذ يهيء بطل روايته للثورة ، فانطلق من البداية وكانت وصف مدرس التفسير له " بأنه شيخ مدحوس " ، سيكون شيخا منحوسا ، لأن اللغة انقرضت

---

١ - الخندق الغميق ، ص : ٢٢ و ٢٣

مرتين من على الطربوش دون سبب يفهمه هو ولا المدرس أيضا ..(١). وكان للجبة والعمة دور كبير ،غيّر من عاداته ، حيث حالت بينه وبين الأعمال التي كان يعملها الفتية في عمره ، وأوقعته في مضايقات خلال الطريق ، وحتى في نظراته الى النساء ..(٢) وأصبح يشعر انه موضع فرجة لأهالي الحي ، وبالغربة اذ يدنو من الخندق الغميق ، وخصوصا أمام الصبية الذين كان يلعب معهم .. لقد انتصب بينهم وبينه حاجز ضيق ، فهو ينتمي الى عالم غير عالمهم ، عالم الأشداء العابث اللاهي ، وبهذا سيسخر كل أصدقاء الحي ، سيسخر الحي كلّه ، وسيعيش بعد الآن وحيدا ..(٣)

كانت هذه البدايات التي أطلقها الكاتب قادرة على أن توقظ مشاعر سامي الداخلية ، وتجعله قلقا في حلقة من الصراع الذى لم يستطع الخروج منه .. ان حياته بالأمس تختلف اختلافا كليا عن حياته بالعمامة والجبة التي شدت إليه أنظار الآخرين ومضايقاتهم .

وكانت لهذه البدايات ملحقات أخرى عززت نفوره من دراسة الدين ورجال الدين ، والدراسة في المعهد عموما : فمدرس الأدب الذى أحضره المعهد خصيصا من دمشق لم يكن الا مجرد نجار ..(٤) فأعفي من تدريس الأدب العربي ، وأنيطت به مهمة المحافظة على خزائن الموّن ، وقال عنه أحد الطلاب في ذلك " كان شيخا قيّما على غذاء عقولنا ، فأصبح الآن قيّما على غذاء بطوننا " (٥)

كانت لنبه جميله من الكاتب، اذ جعل سامي يقضي معظم ساعات فراغه في مكتبة المعهد التي كانت ترد ما عشرات الكتب : عربيه وأجنبيه ،وان هذه المكتبة ستثقفه أكثر مما سيثقفه المعلّمون ، كما جعل صديقه " رفوق " يلازمه في المكتبه ، ويكاد لا ينفصل عنه ، فيتبادلان الرأى فيما يقرآن ..(٦) ولم تكن هذه اللفتة عبثا ، فهي عبارة عن مقدمات لنتيجة حتمية .. ما هي هذه النتيجه ؟ والى أى مدى وفّق بالتعبير عنها ؟ هذا ما سنراه في طريق الحبكه الى الحل .

لم يكتف الكاتب بسرد الأحداث المتعلقه بسامي ، بل تناول كذلك حياة الطلاب في المعهد الديني ، فوصف لنا حياتهم الداخليه ، وما يمكن أن يحدث بينهم من شذوذ جنسي (٧) ورغبة ملحة في مشاهدة الفتاة من خلال نافذة المعهد ، والذهاب الى السينما بعد خلع الجبة والعمة ، بالاضافه الى استغلال الكذب من أجل كل هذه الأمور ..(٨)

كان هذا التمهيد المنهجي لاعلان التمرد والعصيان طريقا الى تعميق هوة الخلاف بين سامي ووالده ، وطريقا أكيدا الى اتخاذ القرار المناسب الذى لا يتلائم ورغبات الوالد ،الذى لم

---

١ ـ الخندق الغميق ، ص : ٢٨
٢ ـ نفسهـــا ص : ٣٥ و ٣٦ و ٣٧
٣ ـ = ص : ٣٥
٤ ـ = ص : ٤٣
٥ ـ = ص : ٤٤
٦ ـ = ص : ٤٠
٧ ـ = ص : ٤٨
٨ ـ = ص : ٤٧ و ٥٢

ينس أن يهينه ويتهمه بالسرقة وبراءة القرآن منه ، عندما يعلم أنه خلع الجبة والعمة من أجل مرافقته بعض الفتية من طلاب المعهد الى السينما ..(١) الأمر الذى جعل " سامي " أن يتحرك في قناعة تامه ، ويعمل بصمت وعزم على أن يخلع تاج العرب — برأى والده — عن رأسه .

لم يترك الكاتب " سامي " وحيدا في منطلقاته ، بل أوجد له صديقا يأنس اليه ، ويلازمه في المعهد وخارجه .. ولكن ، الى متى ستظل هذه الملازمه قائمة بينهما ، وما هو الدور الذى سيلعبه رفيق في حياة سامي ان وجد ؟

لم يكن رفيق الصديق الوحيد الذى تعرف عليه سامي ، بل استطاع أن يتعرف على " عزيز " حيث قرأ اسمه في مجلة مصرية تحت عنوان قصه مترجمة عن الفرنسيه ..(٢) وسامي يعرف الفرنسيه — وان كان الكاتب لم يذكر لنا كيف تعلمها ، حيث ادخله المعهد الديني بدون مقدمات تفسيريه لهذا الأمر — لذلك نرى ان اختيار سامي لأصدقائه كان مبنيا على أسس متينه مرتبطه بنزعاته الشخصية . فهو يحب الترجمه عن اللغه الفرنسيه بالذات ، ولا شك ان صداقة عزيز تفيده في هذا المنحى ، وهذا ما حدث فعلا ، لقد شجعه عزيز على أن يترجم بعض القصص ، ووعده بأن يتوسط له كي ينشرها في تلك المجله المصريه .

وعلى الرغم من أن عزيز هذا كان يكبره بعشر سنوات على الاقل ، فقد جعله حب الأدب الذى يجمع بينهما يشعر بأنه ينتمي الى جيل صديقه ، أو أن صديقه ينتمي الى جيله هو..(٣)

من هنا نرى أن حبكة القصه تتجه اتجاها آخر ، بالاضافة الى اتجاهاتها السابقه ، التي تجتمع معا فتكون نهرا واحدا من مجموعة هذه الفروع التي تنتهي في مصب واحد يتمثل في حبكة الرواية الرئيسيه .. وهذا الاتجاه لا يقلل من قيمة هذه الروايه أو يعتبر ضعفا في بنائها الفني ، فالعكس هو الصحيح ، لأن هذه الاتجاهات المتغيرة ، والتي تلتقي معا في مسلك رئيسي ، تعطي الكاتب القدرة على طرح مجموعة قضايا ومعالجتها ، لاتقيّده بقضيه واحده ، وهذا ما قصده سهيل ادريس ، من كتابة رواية " الخندق الغميق " الذى يعالج فيها قضية شعب كامل ، بطاله أفراد أسرة الخندق الغميق ، وأصدقاء البطل ، لأن كل فرد منهم يمثل اتجاها معينا ، لذلك نرى أن الشخصيات في هذه الرواية مدروسة دراسة منطقية حتى تؤدى ادوارها المطلوبة منها خير تأدية ، لذلك نرى بعض الأدوار قصيره جدا ، وأدوارا أخرى تمتد امتداد الزمن التاريخي لهذه الرواية .. فصداقة " عزيز " مثلا لم تطل ، فقد اختصر دوره بالمرض الذى لم يتركه الا جثه هامدة ، بينما بقي دور " رفيق " حتى المرحله الأخيره من مراحل الحبكه القصصيه .

ان الكاتب قد أنهى عقدة الصداقة بين عزيز وسامي بكتابة قطعه رثاء صادقة بعث بها سامي الى المجلة التي كانت تنشر ترجمات صديقه الراحل ، ولكن أثر الصداقه لم ينته ، بل

---

١ — الخندق الغميق ، ص : ٥١
٢ — نفسها ، ص : ٥٤
٣ — = ،، ص : ٥٥

لازم سامي في قراءاته وترجماته الفرنسيه ، وخصوصا بعد زيارة سامي الأخيره له ، حيث طلب منه أن يقرأ له بعض الصفحات من رواية فرنسيه كانت الى جانب سريره ، وكان عنوانها " مولن الكبير" ومؤلفها " آلان ـ فورنيه " الأمر الذى دفع سامي الى ترجمة هذه القصه استجابة لرغبة صديقه الراحـــل ..(١)

كانت حياة سامي في المعهد الديني حياة صراع مستمر بين الجديد من الأدب والقديم من العلوم الدينيه ، فكان يدرس القديم ويرضى به ولكنه ينتصر على هذا الصراع ،الذى كان يعايشه ، بالمطالعات الأدبيه من عربية وفرنسيه ، وباختيار زمالة الأدب على زمالة الديـــن لمواجهة الحياة الحقة التي يتوق اليها الفكر الواعي حتى تكتمل جوانب الصورة للمجتمع الذى نشأ فيه ، لذلك نرى ان الكاتب دفع بطل روايته في تجربة الحياة خارج المعهد الديني ، ليختبر أثر دراسة الدين على نفسه ، هل استطاعت دراسة الدين أن تجنبه المزالق العاطفية التـــي ينزلق فيها الشباب في بداية تفهمهم للحياة ؟ كيف أوجد له الكاتب هذه التجربه ؟؟ هنا تبدأ قمة الحبكه الرئيسيه في الرواية .. كيف تدرج اليها وكيف حلّها ؟؟

تبدأ قمة حبكة الرواية مع بداية العطلة الصيفية التي استغرقت ثلاثة أشهر ، منّى النفس بأن ينصرف فيها الى المطالعه والى الماضي في ترجمة الرواية الفرنسيه التي كان يأمل أن ينجزها في آخر الصيف ..(٢) ، ولكن الى أى مدى صدق حدسه هـــذا ؟

ان والده قد استأجر بيتا في قرية " المريجات " بدلا من قرية " عيناب " (٣) لصعوبة المواصلات فيها ، ولا بدّ من التعرف على أهل تلك القرية ، فهل هناك من مفاجآت أو هي كغيرها من القرى اللبنانية ؟؟ ان قرية عيناب " لم تترك أثرا في نفوس أفراد الأسرة ، ولم يتصادف أحدهم مع قضايا جديدة !

وحين بلغوا المصيف الجديد وقف " سامي " على شرفة البيت الجديد ليرى أمام ناظريه سهل البقاع بساطا في مئة لون تشربها العين فلا ترتوى ، فتشعر بنداوة منعشه يعشت في نفسه حينا الى الانطلاق في حياة لا تحدها قيود الزمان والمكـان ..(٤)

وسمع صوتها .. صوت فتاة ، ورآها قريبة منه ، على شرفة الطابق الأعلى ، رأى عينين كبيرتين سوداوين تنظران اليه ، ولا يلبث رأس صاحبتهما ذو الشعر الطويل الأسود أن ينحني انحناءة يسيره ، كأنما ليحييه ، فرد التحيه ، وهو يشعر بأن صدره بدأ يخفق ،وبأن وجنتيه تلتهبان بالدم .. (٥) فكان صوتها أشبه بالمغناطيس ، جذب ناظريه عن مشاهد الطبيعه التي تزين وادى البقاع ، وشغل قلبه بالتفكير بصاحبة هذا الوجه الجميل ، وذات الشعر الأسود الطويل .. انه لأول مرة بعد عام ـ على الأقل ـ يجد نفسه قريبا من الفتاة ، من تكون هـــذه الفتـــاة ؟

---

١ ـ الخندق الغميق ، ص : ٥٩
٢ ـ نفسها ، ص : ٦٠
٣ ـ = ، ص : ٦٠
٤ ـ = ، ص : ٦١
٥ ـ = ، ص : ٦١

وابتدأ خياله يتلاعب بمواطفه .. انه يتمنى أن يعرف كل شيء عنها ؛ لقد نسي " مولن الكبير " ولم ير من جمال وادي البقاع شيئا ، انها هي التي تملك عليه كل تفكيره ... ولكن الجبة والعمة .. ماذا يصنع بهما ؟؟ . وماذا سيكون موقفها منه ومن مشيخته ؟؟

وفي اليوم الثاني عرف ما كان يتوق أن يعرفه عنها .. انها ابنة صاحب الملك الذي تشغله عائلته ، وقد حازت أخيرا على شهادة الكفاءة الذي هو كان صفه لو لم يصبح شيخا (١) ولكن كلمة شيخ هذه آلمته ، ماذا عساها أن تقول عنه وهو يرتدي الجبة والعمة؟ لا بد من معرفة رأيها ، وهذا جل ما تبتغيه نفسه .. (٢)

وبكر في النهوض صباح اليوم التالي ، وهبط الى الغابة القريبة ، واختار شجرة ظليلة تجري على مقربة منها ساقية صغيرة ، وجلس تحتها يستعرض أحداث الأمس قبل أن يشرع في الترجمة اذا هو استطاع .. (٣) لأن تفكيره غارق بالوصول الى أعماق تلك " السميا " التي ملكت عليه مسالك تفكيره .. ماذا يصنع ؟ هل ستسمح له الظروف بلقاء ؟؟ ان شقيقته هدى لا تستطيع أن تخرج من البيت وحدها ، فهل تستطيع " سميا " أن تفعل ذلك ؟ ولم لا ؟ فتاة القرية لا تأبى الخروج ولا تخافه ، ومن الطبيعي جدا أن تخرج وتتنزه ؟

وانتبه من تفكيره على وجودها أمامه ، برفقة أخيها سميح ، الذي يصغرها بثلاث سنوات ، فأحس بأنه ينهض واقفا على غير ما اراده ويرد على تحيتها ، وكانت سميا تمسك بمندفية صيد ، وترتدي بنطالا ازرق تحت قميص أحمر ، وكان شعرها الأسود الطويل مضموما في جديلة واحدة استرسلت الى خلف ، ورآها في وجه جديد لا يعرفه .. (٤)

كانت لفتة جيدة من الكاتب في وصفه زيّ سميا الذي يشير الى تحررها ، ويعطينا فكرة واضحة عن مدى الحرية التي تتمتع بها هذه الفئة من أصحاب الاملاك والأطيان ، لأن المادة قادرة على أن تدفع صاحبها في حركة التطور والتقدم السريعين .. فسميا فتاة تختلف عن هدى ، التي لا يسمح لها بمغادرة البيت ، فكيف يسمح لها ان ترتدي زيّ الرجال ؟

ان سميا لم تخف أن تحدث سلمي ، أو تقف الى جانبه .. انها لم تفقد شقيقها في الغابة ، بل هي تعمدت هذا القول حتى يكون فاتحة حديث بينهما ، ولكنها أصرت بعدم مرافقته لها ، لأنه شيخ .. والشيخ لا يليق به أن يسير مع الفتاة؟

الجبة ، العمة ، شيخ ، كلها ألفاظ كان يهواها ويعتز بها ، ولكنه الآن يشعر ـ وللمرة الاولى منذ ارتداهما ـ بالكره والنفور منهما .. ان سميا تخافه .. لان بل هي تخاف جبته وعمامته .. (٥)

---

١ ـ الخندق الغميق ، ص : ٦٢
٢ ـ نفسها ، ص : ٦٣
٣ ـ = ، ص : ٦٣ و٦٤
٤ ـ = ، ص : ٦٤
٥ ـ = ، ص : ٦٥

وتتأزم العقده ، وتسير في طريقها الى الحل ، وحلها لا يكون الا عن طريق لقاء حب دائم ، يجمع القلبين في بوتقة واحده ، هل كان لهما هذا اللقاء ، أو اتجهت العقدة كعادتها الى كل منطلق ؟؟ الى اتجاه آخر ؟؟ ان الصفحات التاليه من القصه تلقي ضوءا واضحا على معالمها وتتدرج بها الى الحل.. ان احساسه الآن يختلف عما كان عليه بالأمس القريب .. ان سحر الحب الذى ابتدأ ينساب عبر قلبه أخذ يغير مفاهيم الاشياء امامه ، وجعله قابلا للثورة ضد جميع القوى الخارجيه التي تحاول أن تفرض عليه السجن في ظلم التقاليد والعادات ، ومن أجل رضاء أب لا يهمه من الدنيا سوى جماعة الدرويش الذين لا يفقهون من أمور الدين والدنيا شيئا ، لا لن يرضى أن يكون لعبة يتلهى بها هذا الوالـــد ..

استنادا الى منطلقات الروايه ، نجد أن سامي انطلق من نقطة ترضي والده ، ونراه بعد فتره تجربة عملية في المعهد ، ينقلب ضد والده وقيم والده .. وبدلا من المحبـــة التي كانت تربط بينهما في بداية المشوار، أصبح التباعد أساس العلاقه بينهما ، كما أصبح الضيق والقلق أساس حياته داخل العمامة وتحت الجبة . وزاده هذا التحول نفورا من الدروس التي كان يتلقاها داخل المعهد بشكل لا يستسيغها الطالب ولا المدّرس .. ومن هنا نجد أن سامي انطلق الى مناهل الثقافه الغربيه عن طريق مصادرها المطبوعه ، كما انطلق الى الثقافه الفرنسيه ليشبع نهمه الذى كان في أشد الثورة والاشمئزاز من الدروس الدينيه والأدبيه التي كان يتلقاها في المعهد، فرجال الدين في المعهد ، ملتزمون ، لا يخرجون عن نطاق التقليد قيد شعره : واستاذ الأدب لا يخرج عن كونه نجارا يأتي من دمشق ليمتهن صنعة الأدب بدلا من صنعة النجارة .. ولولا استبداله باستاذ آخر ـ من دمشق أيضا ـ لكانت الطامه الكبرى ، ولما اندفع الطلاب الا لكراهية الأدب العربي ، ولكن الظروف سمحت بايجاد مدرّس أدب عربـي له اسلوب رائع ، حبب الكثير من الطلاب بدرس الأدب واللغة بعد أن كان يمقتونه ويلعنون مدرســـه .

ولنا وقفه هنا ،ولعل في هذه الوقفه نستطيع ان نفسرّ ظاهرة "دمشق" التي ذكرت في الروايه أكثر من مرة .. فكالخياط (٢) كان من دمشق ، ومدرس الأدب الأول الذى يمتهن النجاره ، من دمشق أيضا (٣).. ومدرس الأدب البديل كان من دمشق كذلك ..(٤) الايعني هذا ان لبنان في تلك الحقبة من التاريخ كان يفتقر الى الخياطين والمدرسين ؟؟ وربما يكـون هذا الافتراض خاطئا ،لأن لبنان كان اسبق البلاد العربيه الى الثقافه الغربية والحضاره ، ولا يمكن أن يكون متأخرا من هذه النواحي الفنية والأدبيه ، انما الافتراض الأرجح ان المعهد الديني كان مرتبطا ارتباطا مباشرا بالأمور الدينيه ،ودمشق كانت وما زالت محسوبة على الاسلام ، لأن نظام

---

٢ ـ الخندق الغميق ص: ٢٥
٣ ـ نفســـها ص: ٤٣
٤ ـ " ص: ٤٤

لبنان نظام طائفي ، والمفروض ان يكون مدرس الأدب في المعهد الديني مسلما أولاوشيخاثانيا ، ولبنان لايزال حتى الآن يستورد المشايخ من دمشق والقاهره ، لأن للدروشه أصول في تلك العاصمتين العربيتيـــن ،

أصبح سامي يكره الدروشه " وتاج العرب " .. فالتاج يضيق على رأسه ، ويكاد يحطم هذا الرأس بعدم القناعة والأساليب التي تدرّس في المعهد .. لذلك نراه يبحث عن متنفس لهذا الضيق ، ليجده في الثقافه الغربيه ، وبمشاهدة الأفلام السينمائية من جهة ، وبالحب الذى سقط عليه فجأة ، من الطابق العلوى الكائن فوق شقتهم التي شغلها ذووه في المصيف ، من جهه ثانيـــــة .

جميع هذه الأمور : من ثقافه غربيه ، وأفلام سينمائيه ، والحب ، يرفضها وضعه الديني الذى يرتدى زيّه ، ولا يقرّه عليها والده ، رجل الدين ، المتمسك بتقاليده الاسلاميه الموروثه ، والتي لا تتعدى الحلقات الأسبوعيه ، ودعوة العشاء الشهرية لجماعة الدروشه التي تقابله بالاحترام والتقدير .. ولعل هذه الجماعه وهذه الدروشه لها أصل في حياة والد سامي ، كما هي الحـــال في حياته الآن . وقد يكون والد سامي يمثل الدور الذى مثله والده معه في طفولته فأحبأن يكون سامي البديل الوحيد له من اولاده ، مثلما هو مثل والده ، وأصبح امام دروشه وجماعة ، لذلك هو رفض الحب في حياة ابنه ، فكان موقفه موقف المؤنب والثائر ، لاعتباره أن الحب عار عليـــــه على عمته أن يحب .. (١) انه يحكم عليه من خلال الجبة والعمة ، وتسي انه انسان ، يعبـــر الورود ، يحتاج الى الحنان والعطف والتوجيه السليم ، لا الى التهديد والوعيد اللذان زادا من ارادته وتصميمه بغية التحدى الذى بات همه الوحيد في هذه الدنيا .. لن يتخلى عن حبـــه ولكنه قد يتخلى عن جبته وعمامتـــه

بدافع الحب الذى أثار ظلام وجود سامي ، تفجّرت الثورة في نفسه على كل من يحاول أن يحّد من انطلاقه نحو المعرفة والحريه ، والحياة الانسانيه السوية .. ان حب سميا شدّه الى الحياة التي يتمناها كل مراهق في عمره .. ولن يسمع نداء والده واهانته من أجل ضياع هذا الحب.

اذن ما موقف سامي من هذه الأمور ؟ هل سيستجيب الى نداء والده أو الى نـــداء عقله وقلبه ؟؟ وما مدى تأثير الحب على حياته المستقبلية ؟ هل سيكون " فوزى " بوشايته قادرا على أن يبعد سامي عن سميا ؟ وما موقفه مقابل موقف أخيه المعـــارض ؟؟

كانت الرسائل وسيلة أخذ وعطاء بين سامي وسميا .. وكانت الغابة مكان سرّ لقائهما .. وليس فيها شيء بالغ الأهميه ، ومشاهدة شاب وشابة في الغابه ، وفي القرية شيء لا يسترعـــي الانتباه وان كان فيه نوع من الجدل ، وهذا لا يعني اعلان الثورة الحقيقية في نفس سامـــي على التقاليد والعرف والعاده ، بل نجد أن سهيل ادريس قد صوّر لنا هذه الثورة العارمـــه باندفاع سامي نحو " درابزين الشرفه " يتخطى الارتفاع الذى يحجز عنه سميا ، وما هي الالحظه حتى اجتاز حاجز الشرفه العليا ، وكان واقفا أمامها ، داخل بيتهـــا .. (٢)

---

١ - الخندق الغميق ، ص : ٧٤
٢ - = = ، ص : ٧٨

والتقيا عن كثب ، وفي غرفة واحده ، بعيدين عن انظار الماره من أهل القريـــة ، لا رقيب كفوزي ، ولا أى فرد من أفراد الأسرتين ، لقد ذهبوا جميعا في رحله مقترحه الاسامي الذى رفض مرافقة ذويه ، وسميا التي بقيت وحدها في البيـــت ..

انهما معا ، وزال احساسهما بالخوف ، فاذا بسامي يضم سميا الى صدره ويشدها بين ذراعيه بكل ما في جسمه من شوق اليها ولهفة ، وأحس نهديها الصغيرين القاسيين علـــى صدره .. (١) ولم تكن الجبه والعمة بقادرتين على منع حدوث مثل هذا اللقاء ، الذى قلـــب مفاهيم سامي رأسا على عقب .. ان الحب أقوى من الجبة والعمة ، وأقوى من اهانة والده وتهديده .. انه بالحب يتحدى الاشياء كلها .. ولن يكون ضعيفا في اتخاذ القرار الذى يتوقف عليه مصيـــر مستقبله ، ولن ينثني عن رأيه مهما كانت النتائـــج .

ومضى الوقت سريعا بين الحبيبين . دون أن يشعرا به ، ولم ينتبها الا ساعة سمعا صوت سياره تقف في الخارج ، فاستطلع سامي الخبر فاذا به يرى عبر زجاج السياره عمامة أبيه .. انه اليوم هو يوم السبت ، وأباه يصعد الى الجبل ظهرا ، فارتبك وأسقط من يده ، فقفز الحاجز الخشبي ليهبط الأرض قبل أن يبلغ والده البيت ، فانكسرت تحت قدمه الخشبه ليهوى الى الأرض وجرح بليغ في رأسه (٢) فافتضح أمره ، وثارت ثائرة والده الأمر الذى دفعه الى أن يأخذه معه الى حلب ، حتى يحول بينه وبين سميا ..

هنا نرى الأزمة بين الأب وابنه على أشدها ، ولولا الحب لما كان الدين قادرا علـــى هذا التحدى الذى اسقط بيد الوالد ، ولم يستطع أن يفعل شيئا الا ان يبعده عن سميا — ان قدر على هذا — ويحول بين لقائهما ..

وهنا أيضا نرى موقف فوزى قد تغير ، ومال الى العطف والحنان ، كما نرى أن — شقيقته عدى " تتدخل لأول مرة ، فتهمس في اذنه على أن سميا قد سألت عنه ، وتؤكد حبها له .

ولم يشر الكاتب هنا الى هدى الا ليجعل الصراع ذا شعبتين ، فسامي يمثل المنطلـــق الرئيسي ، وهدى تمثل دورا فيه اضافه اضاءة على دور سامي في حلقة صراعه مع التقاليد والعادات البالية ، فيكون الصراع كاملا من ناحيتيـــه : في ناحية الابن والابنـــه ..

ان الكاتب قد أدخل هدى في معترك هذا الصراع في الوقت المناسب ، وفي الموضـــوع المناسب .. فهي تخبر سامي ان سميا تحبه وتسأل عن صحته ، وكأنه ربط دور الفتاة في الحب ، فجعل جملة شقيقته التي اطلقتها بداية عقدة فرعيه جديدة ، لها جانبها السلبي والايجابي الذى ستظهره أحداث الرواية المستقبليه .

ويخبرنا الكاتب ان الأب فعلا أجبر سامي على مرافقته الى حلب ، وأثناء تواجدهما في حلب تعلن الحرب العالميه الثانيه ، فيتأخر بالعودة الى لبنان يومين ، يرجع ليجد منزل حبيبته سميا مغلقا ، ولم يدر مكان بيتها في بيروت ، فشعر بالحسره والالم ، ولكنه لم يشعر باليأس ،

---

١ — الخندق الغميق ، ص : ٧٨
٢ — نفسها ، ص : ٨٠

فقد منّى النفس على أمل اللقاء بها من جديد .. انه لأوّل مرة يفكر بان هذا الحب الذى يملأ عليه نفسه قد غدا عنصرا هاما من عناصر حياته ، لايقل أهمية عن درسه ومستقبله .. (١)

وعاد سامي الى المعهد .. عاد الى جو الدرس والرفاق ، واستغرق في المطالعه والترجمه وهو يحسّ وحشة كبيرة ، ويعيش في شبه عزلة ، تستولي عليه ذلك الخوف الذى غشي الناس جميعا من الحرب ، ففقد الطمأنينه ، وغرق في جو من القلق المستمر ..

وحين رجع الى البيت لقضاء نهاية الأسبوع ، شعر أنه بات يكرهه ولا يجد ما كان يجده من السرور لرؤية أبويه واخوته ، وأصبح لا يتحدث الا بالحديث الضرورى الجاد الا اخته هند التي تقترب منه وتتودد اليه . (٢)

وابتدأت حبكة الرواية تدور في حلقات مستمره حول سامي ، وسميا ، والمعهد ، والثوره التي تختمر في نفسه .. ماذا يصنع حتى يخفف من هذا الصراع ؟؟ ان المشيخه باتت شيئا مقرفا للغايه ، والدراسه في المعهد مملة ، فأساتذته من الشيوخ الذين درسوا في الكتاتيب ، وتلقوا العلم على مشايخ الطرق ، كوالده ، واختزنوا رصيدا كبيرا من الخرافات والأساطير استقوها من الكتب الصفراء (٣) القديمه ، التي كانت السبب في فصله عن جو الدروس ليخلق لنفسه جوا خاصا يعيش فيه الأدب والمطالعه ، كما أخذ يكتب بعض الاقاصيص يستمد احداثها من معين قلبه ،ويجسد حبّه في بطلاته ، حتى بات يعتقد ان يوسع المرء اذا ضنّ عليه الواقع بتحقيق أحلامه أن يخلق دنيا من الأماني تحمل له العزاء كله والسلوى ..

لقد تحوّل سامي الى دراسة الأدب الحقيقي ، بعيدا عن المناهج القديمه التي يتعامل بها المعهد ومدرسوه .. وكانت من نتيجة هذه المطالعات أن نشرت له تلك المجلة المصرية التي كانت تنشر لصديقه الراحل بعض أقاصيصه ، وسميا تكتب اليه معجبة أبعد حدود الاعجاب ، وهي تتعقب رسائله ، وأدرك بعد روح من الزمن أنه سيكون مدينا لها في انطلاقته الأدبيه التي كان ينشدها .. (٤)

ونرى الكاتب يظهر لنا دور رفيق في حياة سامي ، لأنه الصديق الوحيد الذى التزم بصداقته ، فدوره الآن دور ساعي البريد الذى يحمل اليه رسائل سميا بعد ان أنذره ناظر المعهد على أن مثل هذه الرسائل محرمة هنا ، ولا تسلّم الى أصحابها ..

ان رفيق يعرف حبه وقصته ، ولكنه لم يحمل اليه الرسائل الكثيره ، فقد انقطعت حوالي ستة أسابيع اشعلت النار في قلب سامي ،الذى بات على لوعة الانتظار .. ولكنها أخيرا كتبت ، ولكنها كتبت من القاهره ، لأنها تمكث هناك برفقة أبيها حيث وردهم نبأ نعي عمتها .. (٥) ولم

---

١ ـ الخندق الغميق ، ص : ٨٩
٢ ـ نفسها ،ص : ٨٧
٣ ـ = ،ص : ٩١
٤ ـ = ،ص : ٩١
٥ ـ = ،ص : ٩٤

تذكر في رسالتها الأخيرة موعد عودتها ، كما انها لم ترد على رسائله الثماني بعد ذلك ، فغرق من جديد في الكتاب ، واتسع أفق مطالعاته الأدبية .

كان نفوره من الدراسة المفروضة عليه يشتد ما اشتد ميله الى المطالعة الحرة .. ولكنه عزم على ان يستعد لتقديم امتحان الشهادة الثانوية الحكومية الى جانب دراسته الدينية .. (١) لأنها الوسيلة الوحيدة التي تنقذه من الجبة والعمامة ، وتفتح أمامه باب التزود الفعلي من العلوم الحديثة ، ونجاحه في امتحان هذه الشهادة يعني أول تمرد فعلي على المشيخة التي عايشها اربع سنوات ، وتفتح أمامه ايضا آفاق عالم جديد يراه في تصوّره ، ويعمل على تجسيده حتى يتحرك فيه بانطلاق وحرية ، وهذا العالم لن يتجسد الا بالعلم الذي بات ينشده في كل كتابة يقع نظره عليه في مكتبة المعهد .

وتقف حبكة الرواية عند هذا القدر من السرد القصصي مع نهاية القسم الأول من الرواية حيث كانت تصل الى مرحلة الحل ، فاذا بالكاتب يفرّعها الى عقد أخرى تخدم العقدة الرئيسية التي تسير عبر حياة " سامي " وترافقه في تنقلاته حقيقة كانت أو خيالا .

ونرى أن العقدة الرئيسية التي تتحكم بأحداث الرواية جميعها تنطلق من جديد ، عبر أجواء جديدة ، وأحداث جديدة ، تختلف عن احداث وأجواء القسم الأول من الرواية ، الذي يعتبر تمهيدا لانطلاق العقدة الرئيسية نحو الحل .. ففي القسم الأول ، الصراع الصامت الذي كان يتحكم به العرف ، وتتلاعب به أهواء الدين عبر رجاله الذين يؤمنون بحياة التقليد والجمود الذي يبعد أنظار الانسان المتطلع الى الخير والحياة الفاضلة الى أفق ضيق أرضه جبة الشيخ وسماؤه عمامته ، وما عدا ذلك مرفوض ، ومخالف للشرع والدين . ففي هذا القسم بالذات نرى تمرد العادات والتقاليد هي التي تتحكم بارادة " سامي " وان كانت ميوله الثورية قد ظهرت فيه منذ حداثة سنه ، منذ انطلاقته الأولى ، يوم تحدى نظرات والده ، وتناول الطعام مع أعضاء الجماعة الدينية الذين يحملون بطونهم - مرة كل شهر - الى بيت والده الشيخ الوقور ، فتملأ بطونهم التي تتحكم بألسنتهم ، وتحول بينهم وبين التفكير في الحياة أفضل واكمل .

٥ ٥ ٥

بدأ الكاتب القسم الثاني من رواية الخندق الغميق بنجاح سامي في الشهادة الحكومية .. واعتبر هذا النجاح سقوط الجبة عن جسده ، والعمة عن رأسه الى الأبد .. (٢) وبهذا يتخطى أول عقبة تقف في طريق مستقبله بعد أن التزم بها طوال أربع سنوات ، عرف خلالها معنى عبودية الالتزام الخاطئ بالدين وأهله .

لم يكترث لتحدي والده والحي كله .. لن يكون عبدا لمباركتهم له حين ارتدى الجبة واعتمر العمة ، أو لثقتهم به واطمئنانهم اليه على حداثة سنه ، وقلة تجربته .. ومهما كان قرار بعض رجال الحي ، فهو يتحداهم ، ويتحدى جميع القوى الرجعية التي تحاول أن تربطه بعباءة دفع ثمنه من راحته الشيء الكثير .

---

١ - الخندق الغميق ، ص : ٩٥
٢ - نفسها ، ص : ١٠٩

جعل الكاتب من نجاح سامي افتة جميله الى حبيبته التي مضى على وجودها في القاهره ثلاث سنوات ، ولايعرف عنها الا الشيء القليل ، وكأن نجاحه أعاد الى نفسه ذكرى الحبيبة ، فشدته هذه الذكرى للاستفسار عنها ، فهو يعرف بيتها الكائن في منطقة المنارة ببيروت ، وهو أفضل مكان يبدأ فيه السؤال ، ولا بد من العثور على بقايا أخبارهـــا .

ونرى في بداية القسم الثاني ، العوده الى المقدمات في القسم الأول ، لتسليط الأضواء على النتائج ، حتى تظهر المسالك واضحه بعد أن كان يغلفها بعض الغموض ، وتحّل القضايا الفرعيه لتتحد جميعها في خدمة القضيه الرئيسية ، قضية الصراع بين جيلين : جيل الآباء ، وجيل الأبناء ، وما يدور بفلكهما من القضايا الفرعيه التي لا تخرج عن نطاق الصراع على اختلاف أنواعه .

ويبدأ الصراع الحقيقي بين سامي ووالده ، وهنا تبدأ الحبكة في غاية تأزمها ، وتبدأ في الانحدار نحو الحل المرجو لها ، وهو النتيجة الحتميه لهذا الصراع .. فسامي يجد ويجتهد من أجل نجاحه في الشهاده الحكوميه ، وسيلة وغاية معا ، وسيلة لنزع الجبة والقمة ، وغايـــة لاتمام دراسته الجامعيه التي يتوق اليهـــــا .

ان الأب يرفض فكرة ابنه " خلع الجبة والقمة " ، فكيف يوافق على تنفيذ هذه الفكرة ؟ فثار ، وصفع سامي مرتين ، كان مقابل ذلك القاء العمة على الأرض وحل قماشها ، فوقف الأب مذهولا ولم يخطر بباله أن يتجرأ هذا الابن العقوق على فعلته .. (١)

ولاحظ سامي الذهول على والده ، فشعر بلحظة ضعف واندفاع نحوه ، يعتذر عن فعلته ، ولكن الأب لم يستجب لاعتذاره ، فتدخل " فوزي " الأخ الأكبر ، ليمسك ذراع أخيه بعطف وحنان ، بعد أن كان هو أول من وشى بسامي ، وسبب هذا الانفعال الذي تخلله الصفع والذهـــول .

ان قرار سامي نهائي ، لا رجعة عنه .. لن يعود الى اللغه والعمه ، لذلك فشـــل قريبه في التدخل ، وعدا ياه غير مقنعه هذه المرة ، وسامي مصرّ على دخول احدى الكليـــات لانهاء دراسته الجامعيه ، غير آبه لأي قرار يتخذه الأب في حرمانه من دفع أقساط الكليه ، الأمر الذي دفعه الى العمل في الجريده ليوفّر بعض ما يكمله من أجل أقساط الكليه .

وأخذ سامي يكتب بعض القصص ، الأمر الذي شجعه على كتابة قصة عاطفيه وانقـــت الاذاعه اللبنانيه على اذاعتها بصوته الذي سمعته سميا ، ونزلت من الجبل بناء على موعد ضربته مع سامي عن طريق هاتف الاذاعه وهناك عرف قصة زواجها ، فثار لكرامته الجريحه ، وحركـــة انفعاليه تركها ومشى (٢) ولكنه خلال الطريق شعر بخطأ صنيعه .. لماذا لا يحصل منها على الشيء الذي كان يراوده ؟ ثم حال الى بيت من بيوت الدعاره ليعود بعد نصف ساعة ، حيث لفـــظ حلقه بصقه كبيرة على قارعة الطريـــق .. (٣)

---

١ ــ الخندق الغميق ، ص : ١١١
٢ ــ نفسهـــا ، ص : ١١٨ و ١١٩
٣ ــ = ، ص : ١٢٠ و ١٢١

لقد وصل الصراع في نفس سامي "الشيخ" ، الى حد لم يصله من قبل ، ان اندفاعه في طريقه الى بيت من بيوت الدعاره ، اندفاع غير متزن ، ولكنه وصف حقيقي لاندفاعه نفسي طريق التمرد على كل القيم المتعارف عليها بين الناس ، ولن يعود الى ارتداء الجبة والعمة ، وسيكون له رأى آخر في الحب الذى أخلص له ، وكانت نهاية هذا الاخلاص الانحراف غير المتوقع ، وكأنه بذلك يقتل الوفاء في نفسه ، ليعيش حياة الآخرين الذين يرون في الحب جسدا يتوهج ، أو يعتبرونه جسدا فقط .

هنا خطا بالحب خطوة مادية ، لعله ربط بين تقاليد الحياة جميعها ربطا محكما فأخذ ينظر اليه من هذه الزاوية ، فشعر بتمرده على الحب الرخيص .. أين الوفاء الذى تعاهدا عليه ؟ انه مجرد ألفاظ ، والحقيقه عكس الألفاظ .. انها تزوجت وتركته يعيش على الأمل ثلاث سنوات طوال ، ولماذا ؟؟ لعلها أدركت أن الجبه والعمة قادرتان على أن تصبغ صاحبهما ببساطه تجعله كسبا هينا .. فاحساسه بالوفاء جعله ينسحب من حياتها دون أن يحصل على الشيء الذى كان يراوده .. انه يطعن الوفاء لو فعل .. انه لايختلف عن غيره من دعاة التضليل والاستغلال وهو الذى يشعر في أعماقه ضد جميع هذه الأمور ، ويثور من أجلهـــا .

وتنتهي قصة حبه ، ويضمها الى صفحات النسيان التي يحاول أن يرصدها لبناء مستقبل أفضل ، فشعر من خلال هذا المنطلق ان شقيقته "هدى" هي التي تحتاج الى عاطفته ، ليقودها في طريق الحب والوفاء .

وتتأزم عقدة القصة من جديد ، ويخبره صديقه "الشيخ رفين" ان دائرة الأوقـــاف عينته اماما لمسجد في حيّهم ، وانه لم يطق هذا العمل ، ويود أن يتحرر منه ليبحث عن عمـــل آخر يتباغ به وأسرته بعد موت أبيه .. (١) فاستطاع سامي ـ عن طريق قريب ثرى ـ أن يجد لـه عملا في متجره ، جعله قادرا على أن يتنفس الصعداء ، ويترك زيه الديني ومأذنة مسجد الحيّ ، الأمر الذى شدّ أواصر الصداقه القديمه ، وضاعفها .. انهما يستشعران لونا من السعاده ، منشأه انهما تحررا معا من ثقل زيهما الديني .

وصلت الصداقه بين رفيق وسامي الى حد لا انفصام بعده .. فرفيق صديق المعهد ، ورسول الغرام ، ورفيق الالتزام ، ومدرّس "هدى" درس الرياضيات حيث كان بارعا فيه . (٢) رغم معارضة والدها طبعـــا .

وهنا يتجه الصراع ناحية جديدة تتحدى التقاليد والعادات ، وتعطي الفتاة الحريـــة في القول والعمل ، ما دام هذا القول ، وهذا العمل لا يتنافيان مع الدين والأخلاق ، فالتقاليد شيء ، والدين شيء آخـــــر .

وأخذ الصراع لونا جديدا .. فالجبة والعمه قد انتهى امرهما .. والصراع الآن حول تحرر "هدى" من التقاليد التي تحول بينها وبين رأيها في حياتها المستقبليه ، (٣) وتحرم عليها

---

١ ـ الخندق الغميق ، ص : ١٢٣
٢ ـ نفسها ، ص : ١٢٤
٣ ـ = ، ص : ١٣٠

أن تكشف عن وجهها أمام أى شاب من غير الأهل ، أشبه بالسلعة النادرة المحفوظة في صناديق الأمان التي لا يقوى على فتحها اللصول ، وهي كذلك ، تنتظر مصيرها الذى يقرره والدها ، ولكنها تغلبت على هذا المصير بالتفافها حول أخيها " سامي " وتنفيذ ما يمليه منها ، وهو بذلك يشجعها على الثورة والتمرد حتى يوجه للوالد طعنة ثانية ، تؤكد له حقيقة عقم رأيه في الحياة الحاضره .

بعد أن وصلت العقدة الرئيسية الى أولى تأزمها ، ابتدأ الكاتب يحلها حلا منطقيا حيث حصرها في الأب ، والأم ، والأخ ، والأخت ، وسامي تاركا الأخ الصغير " وسيم " يراقب أحداث هذا الصراع الذى لا بدّ أن يترك في نفسه أثرا ما .. اذن ، كيف استطاع سهيل ادريس أن يحّل مشاكل أفراد هذه الأسرة حلا يميل الى التجدد ، بعيدا عن العرف والعادة التي اعتادت عليهما هذه الاسرة ، التي تمثل مجموعة الأسر في كل البلاد العربية في تلك الفترة الزمنيه ؟

ان الكاتب ينبئنا من سرد الروايه ان سامي مرتبط مستقبله بالدراسه الجامعيه ، فمهد لذلك اكثر من مرة ، وهو بانتظار أن ينجح في الشهادة الحكوميه التي تخوله حق السفر الى الخارج ليخطو خطوة جديده ، بعيدة كل البعد عن الحياة والثقافه التي عايشها .

وفوزى ، نتيجة لوشاياته المتكرره على سامي ، ثم على سامي وهدى ، نراه ينحدر في دارين لا أخلاقية ، فيقضي معظم أوقاته في البارات يحتسي المشروبات الروحيه ، برفقة بنات الهوى ، ويعود أكثر من مرة الى البيت في حالة سكر شديد ، ثم يدخله التجربه من أجل راقصه ، فيبيت في المخفر ، فيأتي " سامي " ويرافقه الى البيت ليضمد جرحه بعطف وحنان .. وهنا يشعر فوزى بالندم ، فيعانق أخاه ، ويعتذر عما سبب للجميع من متاعب وهموم .. (١) وتنتهي عقدة فوزى بعودته الى الطريق السوى ، واستجابته الى آراء أخيه ، واقلاعه عن دعارته ومخازيه ، أى انتصر عنصر الخير على عنصر الشر .. (٢)

وقد حرص سهيل ادريس على ابراز القيم التي كان يؤمن بها من خلال الاطار الأسرى وهو ينجح فنيا ، حين لا ينص صراحة على ذلك ، مع كثرة حرصه على تحديد مقاصده ، ولكنه يتيح لنا الفهم والاستنتاج حين يصوّر لنا شخصية فؤاد الذى نشأ معه في بيت واحد ، الا أنه استقل بحياته مبكرا ، حيث أقبل على الحياة بمتعها المادية .

وتحل عقدة الأب الرجعي المتزمت بزواجه من امرأة ثانيه من حلب ، وتدخل أفراد الأسرة ، والأم خصوصا (٣) ، الأمر الذى دفعهم الى عدم احترامه ولومه ، والوقوف ضده .. وهنا لفتة جريئه من سهيل ادريس بالنسبه لرجال الدين ، حيث يصورهم لنا صورا تنبع من واقعهم .. لهم مطلق الحريه فيما يفعلون .. مزواجون ، فهذا رجل كبير السن وزوجته فتاة صغيره بعمر

---

١ - الخندق الغميق ، ص : ١٥١
٢ - المصدر نفسه ، ص : ١٥١
٣ - الخندق الغميق ، ص : ١٥٢

ابنته ، وهناك من يتزوج "الله ورابعه بحجة الشرع الذى يبيح لهم هذا الزواج ، ناسين أو متناسين أن الشرع يقيد هذا الزواج بالعدل الذى لايستطيعون عليه .

وتنتصر ثورة افراد الأسرة على الأب ،فيستجيب لرأيهم ويطلق زوجته الجديده ، . ويعود الى اسرته من جديد ، ولكن بهيئة ضعيفه بعد هذه النكسة ، والنتيجه ، يصاب بمرض الفالـــج ، ثم يمـــوت .. (١)

أما عقدة هدى ، فهي تحب "رفيق" وسامي ينمّي هذا الحب ، ويرعاه ، بعد أن تعلن تمردها على الحجاب ، وهناك أمام المدرسة رفعت عن رأسها الحجاب ، فذكرت ســامـــي بصمامته .. وتنتهي عقدة هدى بالزواج من رفيـــق ..

وسامي، نقله الكاتب من جوه العربي الى الجو الغربي ، (٢) ليمارس حرياته هنـاك ، ليبدأ من جديد .. ولنا عودة اليه عندما نلحق به الى باريس من خلال الحي الذى اختاره هناك "الحي اللاتيني".

لقد اتجه سهيل ادريس في كتابة هذه الروايه لدراسة الانسان بوصفه نموذجا لطبقـة من الطبقات الاجتماعيه على اختلافها ،تصوّر لنا جيلا من أجيال الماضي الذى عاش على التزمت والتقاليد التي لم تستطع أن توثر في ابناء الجيل الجديد ،جيل الابناء ، حيث أعطى الصـراع دورا كبيرا ، فتناول جميع الافكار والخواطر في صراع خير الانسان مع شرّه بوحي من الايمان الصحيح ومستقبل هذه الأمة ، الذى حرص الأبناء عليه ، فكان نصرا لهم وانهزاما لجيل آبائهـــم .

ان سهيل ادريس لا يسوق أفكاره وقضاياه سوقا منفصلا عن محيط بيئته ،بل ممثلا في الأشخاص الذين عاشوا في "الخندق الغميق" وعايشوه ، لأن الافكار تحيا في الأشخاص ، أو تحيا الأشخاص بها وسط مجموعة من القيم الانسانيه التي يظهر فيها الوعي الفردى الذى مثلـه " سامي " متفاعلا مع مبادئه التي حفرت هذا الخندق الغميق ، وردمت فيه كل ما اعترض سـير الانسان في تطلعاته المستقبليه .

واستطاع سهيل ادريس أيضا ،أن يكشف النقاب عن الرواسب الخسيسه في نفس الرجال من نوعية والد سامي ،رجل الدين ، الذى يخاف الله ويعمل على رضائه الى حد التزمت عندمـا جعله وبيته في غليان بعودته من حلب ليفاجيء زوجه وأولاده بخبر زواجه من امرأة ثانيه في حلـب ، فأقام الدنيا وأقعدها في نفس الزوجه ، كما كان لهذا الخبر أثره على نفوس اولاده ، فوقفوا ضده وتوعدوه ، فانعكست الثورة على الأب وانتهت بتراجعه ، ثم باصابته بمرض الفالج الـــذى أقعده وسبب وفاتـــه . (٣)

واذا نظرنا الى الحب في هذه الرواية ،نراه لم يكن ذا فائده ، وممكن الاستغناء عنه ، ولكن كان من الممكن ان يستغل هذا الموضوع في معالجة مشاكل الزواج بين الطوائف في لبنـان ،

---

١ - الخندق الغميق ،ص : ١٦٣

٢ - نفسها ،ص : ١٧٠

٣ - مثل هذه الحوادث وردت تصويرا لنقله اجتماعيه واضحه في احدى مدن الريف المصرى في مستهل هذا القرن ، فقد صور طه حسين في رواية شجرة البؤس مثل تلك العلاقة المتوترة بين جيل الاباء الذى يمثل الماضي وجيل الأبناء الذى يحاول ان يتكيف مع الحاضر في مستهل هذا القرن العشرين.
لمزيد من التفاصيل راجع الروايـــه ..

ولكن الكاتب اكتفى بالعواطف والانفعالات الشخصيه التي لم يكن لها أى أثر على أحداث القصة اللهم الا اذا كانت قصة حب هدى مرتبطة بتلك القضية ، حيث جعل لحب شقيقه " سامي " نهاية منطقية ،عكس النهاية التي كانت عليه قصة حب سامي ، فخرج بذلك على التقاليد التي تحذّر على الفتاة المسلمة مجالسة أو مكالمة أى فتى لا يمت اليها بصلة القربى ، وكان هذا الحب نوعا من التحدى الذى ينسجم مع موضوع الروايه القائم على التحدى في جميع مراحله .

واذا نظرنا الى اسلوب العرض ، نرى الكاتب في القسم الثاني يختلف عما كان عليه في القسم الأول .

ففي القسم الأول كان السرد منطقيا ،والكاتب الذى يؤديه ، الا أننا نراه في القسم الثاني ينتقل السرد من لسانه الى لسان هدى دون تبرير لهذا التنقل ، كما انه لم يصف لنا الغايه التي كان يقصدها من ورائه " ويخيّل للقارئ ان بقية القسم الثاني سيكون بلسان هدى ، ولكنه يفاجأ بعودة الكاتب الى سرد الأحداث من جديد .

ان الحياة الكامنه في فكر الانسان وفي عقله ،وحتى في خياله وأرادته لا تعرف الحدود المرسومه ، لأنها قادرة على أن تتخطى كل شيء أمامها ، تتخطى المجهول الى المعلوم ، ـ وتتحدى الانغلاق الى الانطلاق الذى لا يقيم أى وزن لأى عمل لا يتفق وارادة الحياة ،ولا تعترف بأية قداسة غير قداستها ، لذلك تأبى الحياة علينا السكون والاستكان ، وتفرض علينا الصراع فرضا ما دمنا لا نحيد عن جوهر حقائقها بالقشور التي تقود الى سجن النفس وعذاب الضمير ، وتمرد العادات والتقاليد التي حفرت خندقا واسعا في وجه تقدم الأمه ، ولكن الحياة الحقة ، والعلم الواعي ، والانسان المتشوق الى الحريه والانطلاق قد تجمعوا جميعا في نفس وذات ـ " سامي " فانتصر في مسيرته ، وردم الخندق العميق ، ليعيش في حي جديد ، هو الحي اللاتيني في باريس ،ولكن الى أى مدى لا تمتد الحياة هنالك وما أثر الخندق العميق في نفسه على الحي اللاتيني ؟ هذا ما سنراه في روايته الثانيه : الحي اللاتيني .

ز/د

المبحث الثاني

الحي اللاتيني (١)

هي الروايه الاولى التي كتبها سهيل ادريس بعد عودته من فرنسا .

١ - زمانهـا : بين سنة ١٩٤٩ وسنة ١٩٥٣ م اى بعد نكبة فلسطين بسنة واحدة ، تلك النكبة التي دفع ثمنها شعب بأسره ، تشرد عن أرضه ، بعد أن لعبت بمصير أبنائه قوى الاستعمار والرجعيه مجتمعة ، لتقيم على أرض فلسطين العربيه كيانا للصهيونيه التي عرفت كيف تتحكم بمصائر الشعوب عن طريق تغلغل نفوذها عبر السلطات الغربية والاميركيه الحاكمه .

ونرى في هذه الفترة التاريخيه بداية الاحساس الوطني الجماعي ، أو اليقظه الكبرى لهذا الاحساس الذى ألهبته نكبة فلسطين وهجرة أهلها هربا من الموت المتحد ورصاص الصهاينه والمستعمرين الذين أوجدوا هذه المنظمه الاجراميه في قلب الأمه العربيه لحماية مصالحهم وأنظمتهم التي تتمثل في القوى العربيه الرجعيه ، وكان لهذه القوى الرجعيه اكبر الاثر على تشريد شعب فلسطين من على أرضه .

بقدر ايجابيه هذه المأساة بالنسبه لمؤسسي عصابة الصهاينه كانت لها أبعاد سلبيه بالنسبه للمستعمرين كلهم ، حيث أيقظت الشعور العربي ، وأوجدت حركات تحررية استطاعت مع الأيام أن تقلب نظم الحكم الرجعيه ، كما كانت الحروب الاربعه (٢) بين العرب والصهاينه من نتائج المأساة ذاتها .

٢ - مكانهـا : عقل طالب عربي ، سافر من لبنان الى باريس ، تذوق الحياة المتفتحه المتحررة ، اذا قيست بالحياة هناك في لبنان ، حيث التقاليد والعادات كانت تتحكم بالنفوس ، وتلغي حرية الأفراد ضمن حرية الجماعه ،

ففي باريس توهله الحياة في بادئ الأمر ، ويرى من خلالها أشياء لم يرها في وطنه ، وخصوصا الأشياء التي تدور حول المرأة ، وقد تقلب مفاهيمه نحوها وهي التي عرفها في شرقه فعرف الخوف والحرمان ، وهذه هي الحقيقه الاولى التي واجهها في الأسابيع الاولى من حياته في باريس ، فهو وان كان مثقلا بهموم الدراسه وتحصيلها العالي الا أن قلبه كان مثقلا بالكبت والشذوذ والانطواء ، فأدرك أن حياته لن تسير في مجراها الطبيعي الذى أتى من أجله الا بعد أن يتخلص من عقدة المرأة التي تسيطر على كل أحاسيسه ، فكانت باريس حقل اختباره الذى أثبت هذه الرايه .

٣ - أشخاصها وأحداثهـا : الطالب العربي ، أى طالب عربي ، وهو الشخصيه الرئيسيه في هذه الروايه ، وتقابله الفتاة الفرنسيه ، وهي " جانين مونترو " رأسه ، وتبرز شخصيتها ،

---

١ - نشرتها دار العلم للملايين طبعه اولى سنة ١٩٥٣ ، ونشرتها دار الآداب طبعه سادسه سنة ١٩٧٣ ببيروت .

٢ - حرب سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٦ و سنة ١٩٦٧ وسنة ١٩٧٣م

وناهده وشقيقته ، وفتاة السينما وليليان ومارغريت ، وأصدقاؤه الطالبه العرب ، الذين يمثلون الشخصيات الجانبية غير ذى أثر فعّال ، اللهم الا في بعض القضايا الوطنية أو الاجتماعية التي تظهر امامه اكثر وضوحا ، وتشده في طريق الحياة الجديدة ، لعّاه يتأقلم بسرعة ، وتصبح نظرته للأمور نظرة واقعيـــة .

وأحداثها ، تتناول حياة الطالب العربي الذى يترك وطنه العربي ويعيش في وطن غريب عن وطنه كل الغرابه في التقاليد والعادات والقيم ، وظروف الحياة التي هي عكسية بالنسبه لحياته هناك في وطنـه .

ونرى بطلنا يتحرك في بداية رحلته عن طريق تفكيره الذى ينقله عبر نظرياته القديمـه ، ويخرجه الى منطلق جديد يهابه في بداية الأمر ، ولكنه سرعان ما يعتاد عليه ويتقنه بعد أن يتأقلم والحياة الغربية ، يتحرك في عمليات صيد العذارى ، فيفشل في المحاوله الأولى ، وينجح في الثانيه ، ويُسرَقُ في المرة الثالثه ، ويقع في الحب في المرة الرابعه ، ويعيش قصة حبـه يوما بيوم ، حتى يعود الى لبنان في اجازة صيفية ، وتكشف امه سرّه ، فتحول بينه وبيـن تلك الحبيبة التي خطبتها رسالته ، وجعلت منها فتاة غيرهـا .

أما عن موقفه من أمه ومن نفسه سرعان ما يتضاربان ، ولكن بعد أن يصبح عاجزا عـن اصلاح ما أفسدته الأيام ، لأن رواسب شرقيته لم يستطع أن يتخلص منها .. فالسنين الطويله التي عاشها في شرقه المتزمت ، الذى يؤمن بالاسرة كوحدة عضويه ثابتة ، غير قادر على أن يخلّصه من هذا الشعور خلال هذه الفتره التي عاشها في باريس لا تتعدى الخمس سنوات .. ولكن ، الى أى مدى تمشى مع هذه الحياة الجديده ، وما هي آثار شرقه عليها ؟؟ سنعرف هذا مـن خلال تحليلنا لأحداث هذه الروايـه .

٤ ـ جوها العـــام : هو جو الحياة الغربيه التي تختلف اختلافا كليا عن جو الحياة اللبنانيه التي عاشها في شرقه العربي .. وفي تلك الفتره بالذات كانت الحضاره الغربيه متمردة ، وخصوصا في فرنسا التي استطاعت أن تفصل الدين عن الدوله سنة ١٧٨٩م . واخذت تسير في البلاد نحو حياة اجتماعيه أفضل واكمل ، بعيدة عن القوانين الكنسيه الجامدة ، فكانت فرنسا أسبق الدول الاوروبية الى الحياة الاجتماعيه القائمه على العدل بين الطبقات ، فخطت خطوات واسعة نحـو الحضارة الماديه والثقافيه والاجتماعيه .. واذا جاز لنا المقارنه ، لاعتبرنا ان شرق بطلنا لايختلف عن فرنسا يوم كانت الكنيسة تتحكم بسياستها وارادتها .. اذن ، فالجو الذى هو فيه الآن يتقـدم شرقه بخطوات كبيره يفصل بينها نيف ومئة عام .

٥ ـ تسميتهـــا : " الحي اللاتيني " .. الحي ، هو الواحد من أحياء المدينه ، والحي : هو البطن من بطون العرب (١) . واللاتيني : هو الغربي ، نسبة الى الغرب ، وهنا " الحي اللاتيني " يطلق على اسم حي من أحياء باريس ، يعيش في بيوته الطلاب الذين قدموا

---

١ ـ المعجمـــات

الى العاصمه الفرنسيه من مختلف انحاء الدنيا طلبا العلم والمعرفة (١) وشوارع فسيحه ليس في الشرق كله مثلها جمالا ونظافة وانتظاما ، وأبنيته ضخمة مرتفعة كأحدث الأبنيه الكبرى التي بدأت منذ حين تنتصب في الشوارع الرئيسيه من عاصمة لبنان (٢)

بناء الروايه الفني قائم على السرد المباشر ، ولكنه موزع بين ضمير المتكلم وضمير المخاطب وضمير الغائب في أغلب الأحايين ، الأمر الذى يجعلها تخرج عن الأسلوب العربي المطروق ، الذى يتفق عليه الجميع ، ولكن هذا الخروج لم يكن الا ايضاحا المعاني ، وزيادة تحسين الجمال ، ومراعاة في المحاورة اللفظيه التي أدت المعنى الى أبعد حدود ما تحمله الكلمة العربيه من معان وايحاءات ، فمرونة هذه الاستعمالات الضمائريه جعلت هذه الروايه طريقه جديده في مبناها الذى أدى المعنى بصور من الماضي والحاضر والمستقبل ، فقامت هذه العمارة الروائيه على أفضل قواعد ضمائريه ثلاث ، فنقلت القارئ الى الأبعاد التي يريدها له الكاتب .

" الحي اللاتيني " هي أول رواية ، أو قصة طويلة كتبها سهيل ادريس ، وهي الرواية الثانيه التي نتناولها بالدرس والتشريح ، لاعتبارنا ان رواية " الخندق الغميق " هي الاسبق في احداثها ، لأنها تتناول الطالب العربي في مرحلتين : الابتدائية والثانوية ، أى مرحلة قبل النضج ، فجعلناها أول قصة تخضع للنقد والدراسة حتى تكون الحلقة الأولى في حياة بطل روايات سهيل ادريس الثلاث ، والذى قام بأدوار البطولة لاعتقادى ان بطل الخندق الغميق هو بطل الحي اللاتيني ، وكذلك هو بطل " أصابعنا التي تحترق " والتي سنتناولها بالدراسة بعد انجاز دراسة هذه الروايـــة .

بدأ سهيل ادريس رواية " الحي اللاتيني " هذه في تمهيد - وهو التمهيد الوحيد الذى يكتبه في رواياته الثلاث - وجعلها في ثلاثة أقسام ، وخاتمه ، في مئتين وخمس وثمانين صفحه من القطع الكبيـــر .

اذا اعتبرنا ان بطل رواية " الخندق الغميق " هو الذى ترك لبنان وابتدأ رحلته الدراسيه التي كان يتوق اليها ، وفي فرنسا بالذات (٣) نرى بطلا مثقلا بالتقاليد والعادات ، والقيم التي لا تتلائم وحياته الجديدة ، في بلاد الحرية والانطلاق ، والجنس .

فالشرق والغرب نقيضان ، لا انسجام بينهما في كل شيء ، سواء من الناحيه الدينيه أو الناحيه الاجتماعيه أو الناحية الثقافيه . وما كان يراه عرفا في شرقه فهو جنون وغباء هنا في الغرب .. اذن ، لا بدّ من تغيير مواقفه من أموره الحياتيه كلها .. فالى أى مدى تجاوب بطلنا مع حياته وقيمه الجديده ؟ سنحاول أن نتحرك معه خطوة خطوة لنتمكن من تسجيـــل

---

١ - الحي اللاتيني ، ص : ١١
٢ - نفسها ، ص : ١٢
٣ - راجع رواية الخندق الغميق ص ١٧٠ حيث نقل الكاتب بطل الرواية من جوه الدمري الى الجو الغربي ، ليمارس حرياته هناك .. ليبدأ من جديد .

ملاحظاتنا الدقيقة التي تعطينا صورة واضحة عن الشاب العربي المحمّل بأمراض الشرق وتفاعله مع حياة الغرب بمبادئها المختلفة ، حتى يكون حصاد دراستنا واضح المعالم ، وقريبا من الواقع الذى تقرّه الحياة في شرقها وغربها ، الأمر الذى يصور براعة الكاتب في تحليل قضاياه الاجتماعيه .

اذا كانت رواية " الخندق الغميق " واقعيه النزعة ، صادقه الوصف ، ولوحة تاريخيه للعائلة العربيه في الثلاثينات والأربعينات ، فما هو موقف رواية " الحي اللاتيني " من هذه العائله بالذات ؟؟ وهل هذه الروايه تناولت عائله كاملة أم هي لا تزال تتابع سيرها مع البقية الباقية من عائله الخندق الغميق ؟؟

بالعودة الى "الخندق الغميق " نرى الأب يحمل أثقاله وينزوي بعيدا في عالم لا رجعة منه .. والأخ يعود الى واقع الحياة الذى كان ينفر منه . والأخت تزوجت ، والأم بقيت أرملة ، وسامي يودّع شرقه وأسرته موقتا للسفر الى فرنسا بغية تحصيل العلم العالي ... ووسيم ، الطفل الصغير لا نعرف عنه شيئا .. اذن ، لم يبق من أفراد هذه الأسرة الاسامي ، الشاب الثائر على قيم الشرق وتقاليده وعاداته ، ووالدته ، وهما الاثنان اللذان نرى لهما دورا اساسيا في رواية الحي اللاتيني .. وعند التحليل ، سنظهر العلاقة بين الروايتين من ناحية ابطالهما حتى نكون منصفين في دراستنا هذه .

تناول سهيل ادريس في التمهيد بداية رحلة بطل " الحي اللاتيني " في تفكيره ، ثم يلاحقها الى أن يصل به الواقع الى موقف يرى من خلاله تحقيق حلمه الذى كان يراوده يوم كان طالبا في المعهد الديني ، وبعد تخرجه من المعهد ، ذلك الحلم كان السفر الى فرنسا ، لمتابعة تحصيله العالي ، فاذا به يرى نفسه فوق ظهر الباخره ، فيتأكد من حقيقة حلمه الذى بدأ يخطو أول خطوة نحو التحقيق (١)

في القسم الأول من الرواية ، نرى بطلها ينزل في " الحي اللاتيني " الذى كانت صورته المتخيله تملأ أفكاره ومشاعره ، فتضرب دون كل ما سواها غشاوة كثيفه ، ولكن مخيلته لم تكن قادرة على التصور القريب من الواقع ، بحيث كانت تنفر اليها صور حيّ من أحياء بيروت القديمه تقوم فيه بيوت متواضعه ، أغلب الظن أنها من الخشب ، مادام ساكنوها طلابا فقراء قدموا الى العاصمه الفرنسيه من مختلف أنحاء الدنيا طلبا للعلم والمعرفه (٢) ولكنه ذو شوارع فسيحه لوس في بلاده ، ولا في الشرق كله ، مثلها جمالا ونظافة وانتظاما ، وأبنية فخمه مرتفعة كأحدث الأبنية الكبرى التي بدأت منذ حين تنتصب في الشوارع الرئيسيه من عاصمة لبنان ، اذن ، عليه أن ينظّم مخيلته من جديد ، أن يطبع الصور بهذا الواقع الذى يفسد عليه عالما قد رتّب شؤونه واطمأن اليه ، فمنذ أن وطأت قدماه أرض باريس ، التزم بترك التفكير جانبا ، ليعيش قليلا دون ما

---

١ — الحي اللاتيني ، ص : ٥

٢ — نفسها ، ص : ١١

تفكير وتدبير ، ليعيش بوهيميا ، لعله يدرك فيما بعد السبب العميق لمجيئه .. (١) لعله نسي سبب وجوده هنا نتيجة تصوراته الخاطئه عن " الحي اللاتيني " .. لعله أدرك أن كل ما يحمله من صور تحتاج الى تعديل ، وما عليه الا أن يخلع ثيابه الشرقيه بما تحمله من عادات وقيم يرميها في البحر ، ليرتدي زيّ البلاد الجديدة ، وقيمها ، وبعد ذلك يستطيع أن يختار الجيد ويرفض الرديء من هذا الجديد الذي بدأه . انه لم ير في شرفه شبحين معتنقين ، ويتحركان بين لحظه ولحظه فينفصلان ، ثم يلتصقان دون نأمه ، فالآن أسودان ينصهران ظلا واحدا بين لحظة ولحظه .. (٢) ان مثل هذه الأمور لا تحدث في شرفه ، ومن البديهي ان الحياة على هذه الأرض جميله بالنسبة للشباب ، والحرية المطلقه في أن يعانق الشاب فتاته عبر الشارع ، الأمر الذي يعاقب عليه الدين ويرفضه الشرع في شرقه .. عجيب كل ما يحصل هنا .. اذن ، لا بدّ من تعديل معتقداته .

اذا نظرنا الى هذه المقدمات الاوليه : " الحي اللاتيني " و " وعملية العناق " وما فيهما من انعكاسات على نفس الشاب العربي ، نجد أن سهيل ادريس بدأ عمارته الروائيه بوضع حجر الأساس الذي يمثله " الحي اللاتيني " وأخذ يضيف اليه لبنه حتى تسير الرواية في طريقها الواضح ، دونما مفاجآت تعطل سيرها أو تحرفها عن خط سيرها المرسوم لها ، لذلك كانت المقدمات التي ابتدأها قادرة على ان تدفع الشاب العربي الى تعديل تصوراته المادية والاجتماعيه . فالحي اللاتيني لا يشبه أحياء بيروت ، والحياة الاجتماعية هناك مختلفة أيضا الأمر الذي يدعوه الى الحرص والحذر في اتخاذ قراراته وابداء رأيه .

كل شيء هنا في " الحي اللاتيني " جديد ، وعليه ان يتقبل هذا الجديد بلا نقد حتى يصبح قادرا على اطلاق رأيه القريب من الواقع الذي يحياه " وهو " أي بطل الحي ، الضمير الغائب الذي ينوب عن " سامي " بطل الخندق الغميق ، لم يكن بالشاب الساذج الذي ترك عالمه الشرقي ليتيه عبر معارج الحياة الغربيه وان أبدى دهشته في بادئ الأمر فيما وقع عليه نظره من مشاهد ، لكونها جديدة عليه ، ولم يصادف مثلها في شرقه الذي يعدّ على أبنائه خطواتهم ورفض كل شيء يعارض القيم الاجتماعيه المستوحاة من القيم الدينيه التي ثار عليها بطل الخندق الغميق .

اذا كان الشرق بتقاليده وعادته ، وقيمه يمثل القديم عند بطل الروايه السهيليه نجد أن الغرب ، حيث الفكر فيه ، يمثل الجيل الجديد في حياته وحياة الشرق .. فهذا الفكر يلائم ذوقه ، وخصوصا تلك الحرية التي تخوّله حق التقاط الفتيات من على قارعة الطريق ، أو على الأقل ، الاختلاط بهن في سهرات مشتركه ، أو مقابلتهن في غرف صغيره تحت شعار الحب ، وأمام الجميع .. (٣) خمس فتيات لخمس شباب ، حسب نفسه بينهم كاليتيم ، فشعر أنه كالدخيل

---

١ ـ الحي اللاتيني ، ص : ١٢
٢ ـ نفسها ، ص : ١٧
٣ ـ = ، ص : ٢٢

ثقيل الظل : أجساد .. نهود .. شفاه .. رضاب .. حبيبي .. جميتي[١] كل هذه أمور يتعرف عليها ويقرّها في عالمه الجديد الذى يشده الى الحصول على المرأة ، حتى لا يكون يتيما بين أصدقائه .. انه بحاجة ملحة الى ذراعي امرأة ، لتكون ملء ذراعيه ، ملء كيانه .. امرأة تشتهي ، امرأة تقبل شفتاها بجنون [٢] وهو الشاب الشرقي الذى عاش في كبت وحرمان ، يدافع الدين الذى يحرّم عليه النظر الى أية فتاة كانـــت .

من هنا تبدأ منطلقات الحبكه الروائيه ، وتأخذ في اظهار ذاتها : شاب شرقي ، وتقاليد تفرض عليه عدم الخوض بعيدا في منطلقات الفتاة ، يرى نفسه أمام حقيقة واضحة ، وعلـــى نقيض تام مع الحياة التي كان يحياها .. كيف يتصرّف ؟؟ انه لم يأت من أجل الفتاة وان كانـــت تشغل خياله ، ولكنه لا يستطيع أن يتجاهل وجودها ، فعالمه الجديد عالم جنس وحريات ، وهو يعيش هذا العالم الذى يفرض عليه الانغماس بقدر ما اذا أراد لرحلته النجاح في الأمور الأخرى .. أما أن ينغمس كليه في مثل هذه الأمور ، فسيجني الفشل في القضايا الأخرى .. كيف يتصرف أمام هذا الجديـــد ؟

كانت بداية الحبكه الروائيه تقف بين منطلقين : المنطلق الأول : الهدف الرئيسي الذى قدم الى باريس من أجلـه ، وهو التزوّد بالعلم للعودة الى شرقه مثقلا بنظريات الغرب ، ليطبق المفيد ، ويستفيد من غيره . والمنطلق الثاني : رغبته الملحّة في الحصول على المرأة التي كانت أشبه بالحلم البعيد الذى لا يتحقق . كيف استطاع سهيل ادريس أن يربّي بطل روايتـــه ليخرج خاسرا أو منتصرا ؟ وهل استطاع أن يجعل بطل روايته قادرا على أن ينتزع من هذين المنطلقين المفيد الجميل ؟ اذن ، فحبكة هذه الرواية تتحرك من خلال هذين المنطلقين ، وتدور حول نتائجها التي تصبغ البطل بصبغتها . فالى أى مدى وفّق سهيل ادريس في منطلقات روايتـــه ؟

المنطلق الاول الذى انطلق من خلاله بطل القصه هو تقوية احساسه بالخروج من شرقه فخلع ثياب شرقيته هناك على حدود بلاده ، ليبدأ رحلة الحياة الجديدة ، لعله ينسى خيبات الأمل التي ملأت نفسه الفارغة بالمراره نتيجة التقاليد والعادات والقيم الشرقيه التي تستمد قوتها من وحي الدين ، الذى يشرف عليه رجال متزمتون ، لا يعرفون ما توحيه ألفاظ القرآن من أبعاد دنيوية ، فحجّروا الفكر ، وأماتوا الاجتهاد باغلاق ابوابه ، لذلك نرى بطل الحي اللاتيني يوم وصوله باريس ، يبحث عن المرأة ، أية امرأة لاختفاء المرأة الشرقيه في حياته ، " والتي " أشعرته بوجودها بلمسة تائهة خائفة بعيدة ، تملأ ذاته بمئة عقدة ، وتميت فيه ثقته برجولته ، والسعي اليها يشعره تارة بالنزهة الروحيه معها لأنها لا تعطي الا جسدا فيه برودة الثلج ، وطورا بالاشمئزاز والغثيان يتنافس في خلقهما عشرة أسباب على الأقل .. هكذا عـرف

---

١ ـ الحي اللاتيني ، ص : ٢٥
٢ ـ نفسها ، ص : ٢٤

المرأة الشرقيه ، فعرف الخوف والحرمان والكبت والشذوذ والانطواء والخيال المريض .. (١) فأمراضه تشده الى معرفة المرأة الغريبة حتى يشفي عقدته التي رافقته عبر رحلته ، لذلك نراه يبدأ تحري البحث عن المرأة كخطوة اولى ، وما ان يلتقي بفتاة شابة في السينما حتى استطاع أن يضع يده على يدها ، ويواعدها ليوم الغد ، دون أن يرى وجهها (٢) ولكنها لم تحضر ، لأن الذي حدث لم يكن الا نزوة عرضيه لم تترك في نفس الفتاة أي أثر، وأسلوبه ، كان من بقايا شرقيته التي حاول أن يخلع ثيابها على حدود بلاده ، ولكنه لم يستطع ، بل بقيت تلازمه آثارها .

ونراه يلتقي بفتاة ثانية ، ولكنها أكثر خبرة من تلك الفتاة الصغيرة التي صادفها في السينما تجالس رجلا ظنه أباها أو عمها ، واستطاعت " ليليان " بخبرتها وسذاجته أن تصل به الى غرفة نومه .. وهناك أعطته كل شيء ، وأخذت منه نقود محفظته دون أن يدري ، بعد أن أنشدته قصيدة مسروقة ، فأحس بالخجل من خداعها أمام صديقه صبحي (٣) .

وهناك تجربته مع " مارجريت " المندفعة الشاذة ، حيث استدرجها الى غرفته لارتشاف القهوة التركية ، وهناك ينتهي كل شيء ، ولكنها سارعت بالنهوض قلقة غضبى ، ثم تركته في عجب يكاد يتحول الى بلاهة . (٤)

ان تجاربه الثلاث مع المرأة في باريس : " فتاة السينما " ، و " ليليان السارقه" و " مارغريت المندفعه الشاذه " كانت سببا لتغيير رأيه في الحرمان الجنسي الذي كان هو كل همه في بداية المشوار ، وعن طريق هذه التجارب المختلفه شعر أن الجنس ليس هو الغاية الأساسية التي قدم من اجلها ، وقادته هذه التجارب أيضا نحو النضج الفكري توقف متأولا كل ما دار حوله من أحداث .. انه لم يأت الى فرنسا من أجل المرأة فقط ، بل هناك أمور أهم تتعلق بمستقبل حياته ، يجب عليه أن ينسى كل شيء الا الهدف الرئيسي الذي قدم من أجله فالمرأة في فرنسا ليست عقبة ، ومن السهل جدا الحصول عليها ، اذن ، هذه القضية حلولها كثيرة ، ولا تستحق التفكير العميق الذي تعوّد أن يصل اليه يوم كان في شرقه الرافض لهذه المبادئ وهذه القيم .

وينقلنا سهيل ادريس من باريس الى لبنان ، عبر افكار بطل " الحي اللاتيني " من وحي رسائل أمه وأصدقائه .. ما أشد حاجته الآن الى أن يتملى وجه أمه الصغير الحلو ، ويقبل تلك الشامه في عنقها .. وما أشد حاجته الآن الى أن يجلس الى أخوته ، ليستمع الى أخيه الاكبر يسخر بمشاريعه الخياليه ، ويحدث أخته ويسألها رأيها في آخر قصيدة له ، وأن يوده الآن أن يعين أخاه الأصغر في ضبط قراءة العربية ، ولكنه يعود اليه بدفتر الحساب ليعرض عليه عملية حسابية ، فيعتذر هو ويحوّله على أخته فتضحك أخته وتفهم . (٥)

---

١ ـ الحي اللاتيني ، ص : ٢٨ و ٢٩
٢ ـ نفسها ، ص : ٣١ـ٣٦
٣ ـ نفسها ، ص : ٦١ـ٦٥
٤ ـ = ، ص : ٧٥
٥ ـ = ، ص : ٧٧

هنا يعود بنا الكاتب الى أسرة " الخندق الغميق " يوم كان " رفيق" يشرح درس الرياضيات الى " هدى " شقيقة " سامي " وكان زواجهما نتيجة لهذا الموضوع.. (١) الأمر الذى يؤكد الرابطة بين بطلي الروايتين .

وينتهي الكاتب من مقدماته الأوليه التي ارتكزت على تجارب البطل التي أنضجته فكريا واجتماعيا ، ليبدأ في تأزم الحبكة التي يقيمها على الصراع المستمر بين القديم والجديد ... فوجوده في فرنسا لم يحل بينه وبين الصراع الذى تغلب عليه الشاب العربي في " الخندق الغميق" ولكن رواسب هذا الصراع لحقت بالشاب العربي عبر حياته الجديده في بلد الحرية والانطلاق ، وهل استطاعت أن تؤثر عليه تأثيرا كبيرا ؟؟ الجواب فيه وصول الحبكه الى الحل ، فكيف تم ذلك؟

كيف بدأ سهيل ادريس رحلة الصراع هذه ؟؟ إن الأب في الخندق الغميق كان الوجه الآخر ، الذى يمثل القديم أمامه ، والأب في الحي اللاتيني غير موجود ، أو مشار اليه، لذلك نرى الكاتب يركز على رسائل الأم ، ويجعل بطلنا يستحضرها عبر خياله كلما شعر بالحنين اليها أو لحظ شيئا يذكره بها .

وجملة واحدة في رسالة والدته " أعود فأحذرك يابني من نساء باريس.. وقاك الله شر بنات الحرام " (٢) تعتبر حجر الزاويه الرئيسي في بناء الروايه القائمه على الصراع الجديد الذى لا يخرج عن مفهوم المرأة ، وكأنه لم يأت الا من أجلها .

وتعمل موسيقى " شوبان " التي سمعها من ضرير يستجدى على " الاكورديون" على شدّه الى الماضي ، فيذكر" ناهده " فتاته العربيه التي تركها في لبنان دون ان يسألها اذا كانت ستنتظره (٣) ويذكره عدنان - صديقه الذى يرافقه في طريقه الى محطة " الايتوال" - أنه في باريس ، ولن يجديه أن يعيش في بيروت ، وهو هنا في باريس.. لن يجديه ماضيه وهو نسي حاضره (٤) .

ويتابع سهيل ادريس رحلته في شدّ بطل " الحي اللاتيني " من عالم المرأة الذى قدم الى فرنسا من أجله ، فيعرّفه على " فؤاد " الذى أصبح يلتمس لقاءه والجلوس الى قربه كلما قصد مطعم الطلاب " لوي لوغران " دون أن يذكر الرابطة التي شدته اليه ، قد يكون هذا الشعاع الحائر الذى ينبعث من عينه ، أو ذلك القلق الذى يرتسم على قسمات وجهه كلما تحدث اليه ، أو ذلك الهدوء والتعمق في بحث الموضوعات التي كانا يعرضان لها .(٥) ولكن فؤاد هذا أخبره أن المرأة كانت همه الأول يوم وصل الى باريس ، ولكنها أصبحت فيما بعد أحد همومه فقط الأمر الذى دعّم رأيه في المرأة ، واعتبرها قضيه موجوده ، ولكنها ليست بذى أهمية تستحق كل تفكيره ، فانحلت عقده نحوها بعد أن كانت كل همه يوم وطأت قدماه أرض فرنسا .

---

١ - راجع الخندق الغميق ، ص : ١٦٤
٢ - الحي اللاتيني ، ص : ٧٧
٣ - نفسها ، ص : ٨٢
٤ - = ، ص : ٨٣
٥ - = ، ص : ٨٥

مشكلة المرأة قد حلّت . ولكن هناك امرأة قائمة في عقله وخياله ، وهي امه التي تكتسب اليه وتحذّره من بنات فرنسا . كيف استطاع الكاتب أن يجعل هذه المرأة أو الأم " طرفا آخر في الصراع مع ابنها ؟ انها تحذره من بنات فرنسا ، وترى أن هذا التحذير لا مبرر له بعد التجربة التي خاضها مع " ليليان " و " مارغريت " وبعد أن أصبح ينظر الى الفتاة نظرة ناضجة ، لا يهمه أن يلقاها في سريره ، بل يحتاج اليها لتملأ فراغ قلبه ، ولكنّ الكاتب جعل هذا التحذير مفتاحا لقضية كبرى تدور حولها احداث الرواية ، وخصوصا وبطل الحي اللاتيني يبحث عن الحب " ، لأن تجربة الجسد كانت غير قادرة على اشباع رغباته العاطفيه التي تحترم الحب وتنظر اليه نظرة قدسية استمدها من شرقه وتقاليده .. فهو اليوم يحتاج الى حبيبة ، الى عاطفة ، لا الى جسد رخيص ، هل يستطيع الحصول على هذه الحبيبه في هذا البلد المنطلق سريعا في حضارته؟ في هذا البلد الذى يؤمن بالحرية ، ولا يلتزم بالقضايا الأخلاقية التي يلتزم بها شرقه ؟؟ لا بد من البحث والتدقيق قبل اصدار الاحكام ، والا ستكون كل فتاة يلتقي بها مجرد تجربة جديدة يضيفها الى تجاربه السابقة !! انه لا يحتاج الى تجارب جسديه أخرى ، فقد تعلم الكثير من تجاربه ! ! انه يحتاج الى حبيبة ، فكيف يعثر عليها حتى تتطور منطلقات الرواية وتصل الى هدفها الذى رسمه لها الكاتب ؟

تنطلق الحبكة الرئيسيه من الفندق الذى انتقل اليه البطل في " الحي اللاتيني " ليكون قريبا من " السوربون " فيلتقي بها على سلم الفندق الذى يبيت فيه ، فهي نزيلة الفندق أيضا (١) فلحق بها ، وحاول أن يحدثها ، فاتهمته بالرومانتيكية ، ولكنه كان يشعر بحاجته اليها ، فهي تختلف عن غيرها من الفتيات ، فهو يقرأ في بسمتها الحنان وفي عينيها الغموض ، هذا الغموض والتردد ، والاقدام والاحجام ، ليس من شأنها الا أن تزيد لهفته اليها .. (٢)

وحاولت " جانين مونترو " أن تصدّه عنها ، فاستغفرته عما يريده منها ، ولماذا هو يلاحقها منذ يومين ؟ فغادر المكتبه ملتاث المشاعر ، ولكنها استوقفته ، واعتذرت عن اساءة الأدب معه لكونها قابلت لطفه بجفاء ، وطالبت أن يغفر لها .. (٣)

وتعزز الايام ثقة جانين به ، وتجمع الصداقه بينهما .. وهنا نرى الكاتب يقدّم لنسيان ناهده .. فهي لم تكتب له وقد كاد يمضي على مغادرته بلاده ثلاثة أشهر ، واذا هو لم يطالب اليها ذلك ، فهو لا يتصور أن تظل على صمتها .. (٤) ولم تكن هذه العودة الى شرقه الا تبريرا لاحساسه بالحب تجاه " جانين " فهو لا يحب ناهده ، ولم يعدها بشيء ، ولكن الأمل يرشحونها له ، ومن أجل هذا يحاول أن يتخلص من هذا الاحساس بهذا التساؤل .. ان " جانين " تختلف عن غيرها من فتيات تجاربه ، فهي لم تكن سهلة أو برفقة أحد أصدقائه .. انها نوع آخر هو يبحث

---

١ ـ الحي اللاتيني ، ص : ٩١
٢ ـ نفسها ، ص : ٩٦
٣ ـ = ، ص : ٩٨ و ٩٩
٤ ـ = ، ص : ١٠٥

عنه ، وقد رجته أن يثق بأنها لم ترد أن تسيء اليه لأنه لا يستحق الاساءة ..(١) واتهمت نفسها بأنها فتاة بلهاء ، وطلبت اليه أن يعدها لتبيح لنفسها أن تثق به حتى أصبحت تثق بالرجال ..(٢) الأثر الذى قربها اليه اكثر ، ودفعه الى دوامة من التفكير ، لعله يستطيع أن يفسر ما قد سمعه منها .. انها لا تثق بالرجال ، لأنهم مخادعون ، اذن ، فهي لا تثق به ، وهو مخادع طبعا ، وليس أمامه الا أن يسلك مسلكا يختلف عن مسلك الرجال المخادعين حتى يكسب ثقتها .

وينتهي القسم الأول وسهيل ادريس يدور حول بطل روايته ، فيستعمل ضمائر اللغة دون أن يذكر للبطل اسما يطلق عليه ، فوجب الاعتقاد على أن هناك صلة قوية ومتينة بين سهيل ادريس وبطل الحي اللاتيني ، بحيث لم يستطع أن يفصل ذاته فيعطيه وجودا مستقلا ، بل نرى وجوده مرتبطا بوجود بطل " الخندق الغميق " ، الذى انتهى دوره عند الاستعداد للرحيل الى فرنسا ، لتحصيل الدراسة العليا ، فنرى ان بطل الحي اللاتيني يبدأ من النقطة التي وقف عندها بطل الخندق الغميق ، وقد أشرنا لعودة الكاتب الى الخندق الغميق لنرمز بطرف عينه الى قصة زواج هذى من رفيق الذى كان يشرح لها درس الرياضيات .

ان نهاية دور بطل الخندق الغميق عند نقطة انطلق من خلالها بطل الحي اللاتيني يؤكد الرابطة القوية بين هذين البطلين ، واللذان هما برأيي بطل واحد !

وفي القسم الثاني . نرى سهيل ادريس يعبر من خلال بطله من مرحلة المراهقة ، ومرحلة تجاربه التي تخطاها ، ويعرف من خلالها جسد المرأة الذى كان يتوق اليه ويتمناه ، نراه يعبر من هذه المرحلة التي استوقفته عند كل فتاة صادفها ، الى مرحلة الحب الناضج ، حبه " لجانين " الفتاة التي قدمت من الالزاس الى باريس ، لتدرس الصحافة ، هربا من خطيبها " هنرى " الذى رأته يخونها مع غيرها ، وهي لا تزال خطيبته ، فكيف تضمن عدم خيانته لها عندما تصبح زوجته ؟

ان " سامي " يرى فيها الصورة التي تبحث عنها روحه منذ زمن بعيد " انها المرة الثانية التي يحس بها هذا الاحساس العميق الذى لم يشعر به من قبل خلال تجاربه التي تخطاها ، وهذا الشعور يذكره بحبه يوم كان في الرابعة عشرة ، حيث وقع في حب تلك الفتاة ، وكان يبتهل الى الله في صلواته - وكان يومذاك يصلي - أن يحفظ له حبيبته تلك ، ويبعد عنها كل سوء ، ويبقيها له ولحبه .. (٣)

هنا نرى عودة البطل الى " الخندق الغميق " يوم التقى بسميا " وأحبها وهو لا يزال طالبا في المعهد الديني ، ونرى من هذه الحقيقة ان هناك اعتقاد ثابت على أن " سامي " الذى يقوم ببطولة هذه الرواية ، هو " سامي " الذى ثار في " الخندق الغميق " على التقاليد

---

١ - الحي اللاتيني ، ص : ١٠٦
٢ - نفسها ، ص : ١١١
٣ - الخندق الغميق ، ص : ٧٨

التي واجهته عبر خندقه العميق ، وقد عرفنا من خلال " الخندق الغميق (١) ان سميا قد نسيت أو تناست حبه ، أو انقادت الى ارادة ذويها ولم تنتظره ، الأمر الذى جعله يميل الى اتهام كل فتاة يصادفها ، حتى التقى بجانين ، لعلها أقدر من " سميا " على الوفاء والصدق ، ان احساسه الذى يشعر به الآن نحوها يؤكد حقيقة هذا الحب الذى لا يبعد عن احساسه يوم التقى " بسميا " ، وان كان فارق السن طريقا الى تكبير أفضل ، وخصوصا بعد ممارسة لونا من التجارب الجسديه التي خاضها !

اذا كان عمره في أول تجربة حب لم يتخط الرابعه عشرة ، فهو يدنى الآن الى الخامسة والعشرين ، ولكن ، هل يستطيع حبه " لجانين " أن يبرئ نفسه من شوائبها ، أم سيوقظ فيها شر آثامها ؟؟ انه يرى في ابتسامتها اخلاصا لا يتطرق اليه زيف . وقد أكده له صديقه نوئاد قائلا — " أراك تحبها حبا صادقا ، فلا تندم ولا تتردد .. ان هذا الحب كفيل بأن يصهر النفس ويزيل عنها كثيرا من أدرانها ، ومثل هذا كان حبي الأول .(٢)

اذن ، هذه حقيقة كل انسان ، ولا يستطيع أن يعتبر حالته شاذه . قد يكون نوئاد قد غرق في الرذيلة الى أعمق درك ، كما سما في الحب الى اسمى مرتبة ، ولكنه في الأمرين جميعا واعيا تجربته أشد الوعي ، لم لا يكون هو واعيا تجاربه وقادرا على أن يتحرك عبر حياته ؟؟ اذا كان نوئاد هو أقرب الاصدقاء الى نفسه ، لم لا تكون تجاربه درسا يقيه من الوقوع في الخطأ مرة ثانيه؟ صحيح أن حاجته للمرأة شديدة ، وكانت عمه الأول يوم وصل الى باريس ، أما الآن ، فان له عموما كثيرة أخرى ، وليست المرأة الا أحدها ؟ (٣)

ونلحظ الصراع يتطور في نفس "سامي" .. انه يقف امام فتاة منحته الحب الذى لم يعرفه في شرقه .. إنه لم يعرف من الحب الا أحد شطريه ، فاما النشوة الروحيه وحدها ، واما اللذة الجسديه وحدها ، بل هو لم يعرف أي الشطرين الا في اسوأ اشكاله : اما كبت وانغلاق — وتآكل — في شرقه — واما أنانية وانحطاط — في باريس ، من خلال تجاربه — ولم يكن يتصور أن يوسع انسان أن يدرك الى جانب انثى اللذتين كلتيهما ، كما أدركهما هو الى جانب " جانين مونتو " (٤) انه يتذوق معها الحب الذى ينير ظلام نفسه ، ويقوده في طريق الخير والحياة ، الحب الذى نزع اساءة غيرها في قلبه ، وأصبح ينظر من خلال مرآته الجديده .

إن جانين التي رفضت خطيبها عندما رأته يخونها أعطت هذا العربي روحها وجسدها ، حصل معها على الحب المتكامل لأول مرة في حياته ، فهو يحيا من جديد ، يحيا مع الحب الصادق والعاطفة النبيلة ، ولكن ، الى متى يظل احساسه هذا قائما في نفسه ؟؟ ان الحياة عودته على المفاجآت ، أية مفاجأة تنتظره ، وأية مفاجأة تنتظر " جانين " ؟ هل سيكون هذا العربي — كما حلا لها أن تصفه — غير " هنري " الذى خانها ورفضته ؟

---

١ — راجع الخندق الغميق ، ص : ١١٨ و ١١٩
٢ — الحي اللاتيني ، ص : ١٣٠
٣ — الحي اللاتيني ، ص : ١٣٢
٤ — المصدر نفسه ، ص : ١٥١

حبكة القصة تتطور في طريق التأزم .. فالحب حقيقة واقعة ، وفترة التجربة قد تخطاها الحبيبان ، وأصبح كلاهما مكملا للآخر ، ولكن جذور الماضي لم تتركه وحده ، أو بعيدا عنهـا فرسائل والدته تلاحقه ، وتحيي هذه الجذور ، وهو لا يستطيع ان يثور في وجهها ، أو يصارحها بالحقيقة التي يحياها ، لأنها - أي والدته - لن تقوى على شيء مما يفعله ، وليس أمامه الا الاستقلالية التامة عن أسرته .. عليه أن يجاهد وينجح في هدفه الذي أتى من أجله الى فرنسا ، ليكون قادرا على اتخاذ قراراته ، ويخرج من اطار التقاليد التي تتحكم به عبر والدته ، وتقف عثرة في سبيل عودته الى الانطلاق .

لم يكن الصراع في نفسه وحده ، فكانت " جانين " تعاني من صراعها الداخلي .. انها باتت تحبه ، وبات هو كل حاجتها في هذه الدنيا .. لماذا لا تزور خالتها التي تدعوهـا دائما لهذه الزيارة ، وتستطيع خلال هروبها هذا أن تتأكد من حقيقة حبهـا !

وسافرت " جانين " لتنفيذ الزيارة ، ولكنها عادت غاضبة ، حيث اكتشفت في زوج خالتها ، وخالتها بالذات ، عدوين جديدين لتآمرهما مع " هنري " ذلك الذي بدأ اذلالها على أن تمضي هي خالتها ، في هذا الاذلال (١) لن تعود الى " هنري " أبدا .. انها تعود الى حبيبها لتذيب غضبها بين ذراعيه ، تعود اليه لانه كل حياتها بعد أن أحبتـه ..

ويعرّفها " سامي " على أصدقائه ، كما يقدّمها اليهم ، فتطلق احكامها على هؤلاء الأصدقاء : فصبحي فيه طابع الاستهتار ، وعدنان لا يخلو من عصبية دينيه ، وربيع ينقصـه الاعتدال في آرائه المتطرفه ، وفؤاد لا ترغب الاسراع في الحكم عليه (٢) . صور واضحة للافكار العربيه التي يقرّها عليها ، وقد أسعده أن يوافق رأيها رأيه في اكثر أصدقائه اليه .

وتتأزم الحبكة من جديد . حيث بدأت موارد " جانين " الماليه تنضب ، فعملت بائعة في نزع ثياب للأطفال ، وأصبحت تبذل مجهودا مضاعفا ، فوقعت مريضه ، والتزمت فراشهـا - بناء على توصية الطبيب - مدة اسبوع كامل ، و " سامي " يتردد عليها باستمرار .

وتحاول " جانين " أن تناقشه في مستقبل حياتهما ، وكأنها توقظه من خيال بعيد .. لقد مضى على حبهما زهاء خمسة أشهر تنقضي ، وقد عاشا فيها خارج حدود الزمان والمكان ، وهل يسمحان لنفسيهما أن يعيشا كذلك أبدا ؟

وسألته سؤالا محيرا : " من أنا في حياتك ؟ هل أكون غير طيف عابر ؟ (٣) فيثير هذا السؤال ألف حيرة وحيرة في نفسه !! انه بالاجابة يواجه قدره ومصيره ، ماذا يفعل ؟؟ انه يحبها ولن تكون في حياته طيف عابر ، ولكنه لا يستطيع أن يعدها بشيء .. انه يخاف والدته ، يخاف مجتمعه .. انه لم يستطع - حتى الآن - أن يخرج من وجوده الشرقي الا هنا في باريس . والعودة الى شرقه ، تعني العودة الى تقاليده التي تغذيها والدته برسائلها !! وناهدة التي

---

١ - الحي اللاتيني ، ص : ١٤٤
٢ - المصدر نفسه ، ص : ١٥٥
٣ - = ، ص : ١٦٦

ترشحها كزوجه ، وغيرها وغيرها ؟؟ وماذا يفعل ؟؟ الأزمة ترتفع الى أعلى حدودها ، أيرضيها أن تظل هكذا حبيبته وخليلته طيلة اقامته في فرنسا ، ألم يخطر على باله أنه سيعود الى شرقه ويتركها خلفه محطمة يائسة ؟؟ لماذا هو لا يفكر في أن يتزوجها ؟؟ " يتزوجها " . أية كلمة هذه ! وسرعان ما طفرت الى ذهنه صورة أمه ، فأحسّ بضيق شديد يأخذ بخناقه ، ينبغي أن ينحيها الآن على الأقل ، هذه الفكرة الكابوس . (١)

وهكذا ابتدأت أزمة الحبكة تظهر بوضوح ، عن طريق طرح الأسئلة على نفسه في قضية حبه .. انه يتمنى أن يتزوجها ، ولكن أمه ، فهو مؤمن بأمه ، وهي متغلغلة في أعماقه ، وان فصلتهما هذه المسافة الطويلة عبر الزمان والمكان ، ماذا يفعل اذن ؟؟ لم لا يعود الى لبنان لقضاء فترة الصيف هناك ، ربما يستطيع أن يتغلب على (شعور ارتباطه) بأمه ، ويعود الى " جانين " حرا من كل قيـــد "

ويقرر العـودة الى بلـده ..

وتعترف جانين أمامه قائلة : " اذن ، أية فتاة ضائعة سأكون ! (٢) هذه حقيقة يطلقها سهيل ادريس على لسانها ، تمهيدا لقضية كبرى ، لابدّ منها .. ذهاب " سامي " يعني ضياعها وهي الفتاة التي تعودت أن تعيش وحدها ، شأن كل فتاة غريبة ، ولكنها ربطت سفره بضياعهـــا لاعتقادها أنه لن يعود اليها ، وإن فعل ، فجراح قلبها لن تشفى بالسرعة التي شفيت منها اول مرة .. تلك كانت نتيجة خداع ، أما الآن ، فنتيجة حب تغلغل في دمها .. انها تركت دراستها والتحقت بالعمل في الصحافة من أجل أن تراه ، فضّلته على دراستها ، فكيف تقوى على الحيـاة بعيدة عنـه ؟؟ (٣)

اذا وقفنا متفهمين الكلمات التي اطلقتها جانين على نفسها ، مثل : الضيـــاع (٤) ، عدم التفكير في الغد (٥) فتيات الشوارع (٦) تقرر حقيقة ظاهره ، هي أن سهيل ادريس يمهد انا بذلك الى مصير جانين . الى أي مدى صدق هذا التمهيد على هذا المصير ؟؟ وهـــل استطاع " سامي " أن ينقذ حبيبته من هذا المصير المظلم الذي تراه عبر منطلقات أحكامها التـي تطلقها ؟ الجواب في القسم الثالث .

في القسم الثالث ، تتجمع خيوط الحبكة كلها لتبلغ المأساة قمتها ، وتبدأ بالانحـــدار نحو الحل . ولكن ، كيف وصلت المأساة قمتها و "سامي" و "جانين" ينعمان في حبهما على خير ما ينعم به حبيبان ؟؟

صحيح أن " جانين " رفضت وداعه في المحطة ، لأنها لا تريد الوداع لهذا الحب ولو لفترة الصيف التي سيقضيها في ربوع بلده وبين ذويه وأصدقائه ! إنها تريده دائما معها ، لا تريد

---

١ ـ الحي اللاتيني ، ص : ١٧٢
٢ ـ المصدر نفسه ، ص : ١٦٠
٣ ـ = = ، ص : ١٧٣
٤ ـ = = ، ص : ١٩٠
٥ ـ = = ، ص : ١٧٣
٦ ـ = = ، ص : ١٩٤

أن تستيقظ من الحلم الذي تعيشه ، تريد اللقاء المستمر الابدى الذى يتواعدان عليه ، لا الوداع ولو كان وداعا موقتا .. ان صدق الحب الذى يربطهما يحول دون لقاء جانين لقاء وداع لحبيبهـــا الراحل الى الشرق ، تريد أن تظل تحيا بذكرى اللقاء ما طالت حياتها ، ومن جهة ثانية رأت أن في عدم وداعه حافزا يعيده اليها بسرعـــة .

وتبدأ خيوط المأساة تنسج ذاتها ، يوم حملت اليه امه بطاقة " جانين " التي تخبره فيها أنه قريب منها ، وتسمعه في غرفته يروح ويجيء ، ويدمدم بعض أنغامه الشرقيه الحزينة الرتيبه .. (١)

وتسأله أمه عن " جانين " هذه .. ان أمه كانت تلمّ بالفرنسيه ، وقد قرأت البطاقـة طبعـــــا .

ونرى " سامي " في اجابته لوالدته ، يتأثر بأحكام مسبقه ، لمأساة متوقعه ، فيقول : " لعل الخطأ خطأ جانين اذ ارسلت البطاقه مفتوحه .. (٢) ونستطيع أن نستخلص من هـــذه الاحكام أن " سامي " ، رغم ثورته على التقاليد ، وثقافته ، وحياته في بلد الحرية والانطلاق ، يخاف مواجهة الواقع ، يخاف مواجهة والدته التي نهته كثيرا عبر رسائلها عن فتيات باريس كيف له أن يفسّر هذه الظاهرة التي عكست رأى والدته ولما يمضي عليه أسبوع واحد ؟

وتتدخل الأم ، وتحاول أن تجلي الغموض الذى لا تعرفـه ..

ويحاول الابن في محاورتها محاورة يظهر فيها ضيقه من تساؤلاتها ، دون أن يذكر الحقيقه .. انها مجرد زميلة في السوربون .

وتقف الأم عند حد من المناقشة بعد أن ضمرت شيئا في نفسها ..

وتأتي " ناهدة " برفقة والدتها لزيارة القادم المنتظر .

وتشجع الأم " ناهدة " على اللحاق " بسامي " الى غرفته ، ليريها بعض الكتـــب ، ويسلمها الهدية التي ادعت الأم احضاره (٣) لها ، لأنها الفتاة التي ترشحها للزواج ، والأهل شيه متفقون على هذا الترشيح .

ويلتقي بناهده ، ليعود الى هذه الفتاة العربية التي تتراجع امام الشاب ، أى شـاب عربيا كان أو أجنبيا .. امام " الرجل " وعيناها طافحتان بالخوف منه ، راسب من الخـــوف تجمعت أجيالا في خطوة هذا اللقاء المقصود ، الذى فرضته والدته فرضا ، لعلها في عملهـــا هذا تنسيه فتاة البطاقة ، تنسيه " جانين " ولكنها لم تعرف أن رأيه بجانين شيء آخر .. انـه لا يفضل عليها أيه فتاة .. لأنها تعرف قيمة الروح ، وتعرف قيمة الجسد .. انه أحب روحهـــا عبر جسدها ، وجسدها عبر روحها .. (٤) وليست كغيرها من فتيات الشرق اللواتي تعلمـــن ان يقدسن الجسد ، لا تقديس حب وعبادة ، وانما تقديس خوف وحـذر .. (٥)

---

١ ـ الحي اللاتيني ، ص : ٢٠٧
٢ ـ المصدر نفسه ، ص : ٢٠٨
٣ ـ = = ، ص : ٢١٢
٤ ـ = = ، ص : ٢١٤
٥ ـ = = ، ص : ٢١٣

عاد "سامي" الى شرقه في اجازة قصيرة ،فواجه — بعودته — أمه وجها لوجه ، فتجسد أمامه عامل المنع وأصبح بدوره هو "الحاضر" بعد أن كان مجرد ذكرى ، وكلمات في رسائل يمكن دفعها بعيدا ، غير آبه للنتائج المترتبة على ذلك .. ولكننا نرى من خلال هذه العودة الى الماضي ، الذى أصبح حاضرا واجهه ثانية ، هي أن "الحاضر" الذى كان أصبح مجرد ذكرى ، أصبح مجرد كلمات في رسائل متلاحقة في الحب الذى أنار ظلام حياته ،ورفض وداعه خوفا من هيبة الوداع وآثاره ..

هنا ،نرى سهيل ادريس — كعادته في كل قصه — يقيم توازنا بين الموقفين ، حيث بلغ الصراع أعنفه في نفسه .. فالسفر من باريس الى بيروت هو العودة من عالم الحبيبه الى عالم الأم ،العودة من عالم الحرية والانطلاق ،حيث حقق فيه وجوده كله ، غريزته ، وعاطفته وعقله يعود الى العالم الذى ينحي فيه الفرد ، ويذوب في محيطه الاجتماعي الذى لا يقره مجتمع الغرب ومعطياتـــه .

وأصبحت جانين مجرد ذكرى في مجتمعه الجديد — في شرقه — ذكرى لا يستطيع الافصاح بها ، فضاق عالمه وكاد أن يخنقه ، ولكنه عاجز عن تغيير رأيـه الذى من اجله ترك الشرق وأهله .

وترى أمه ان الفرصة سانحة لتدخلها فيما حملته رسالة "جانين" من أخبار .. انهـا "حامل" وهي مستعدة أن تقدم على جميع التضحيات ، وتواجه جميع المخاطر ، ولكنها تنتظـر منه اشارة لأنها لا تملك وحدها أن تتخذ قرارا ما ، فماذا تفعل ؟ (١)

لم تكن "جانين" مجرد زميله في السوربون اذن ، لقد صدق حدسها ، إنها مـــن فتيات باريس الساقطات !! من يدرى أنها حامل من ابنها ؟ (٢) لا ترضى بهذا مطلقا .

وكانت محاضرتها الطويله لا تخرج عن نطاق الأخلاق والحلال والحرام والتشكيك بجانين ، والمأزق الذى أوقع فيه نفسه ، كما أوقع فيه عائلته (٣) كيف يتخلص من هذا المأزق ؟

ان محاضرة والدته الطويلة عن الشرق والأخلاق والمبادئ ، والدين شدته الـى حياته في باريس شدا .. إنه لم يعدها بالزواج .. وكانت مخطوبة الى "هنري" الذى سلمتـــه جسدها يوم كان خطيبها ،وغادرت فريتها شبه مطرودة .. فتاة مسيحية ، من غير دينه .. أية فضيحة ، وأي عار سينصب على بيتهم الذى عاش طويلا في الستر ، والفضيلة ، والشرف والدين (٤) كل كلمة قالتها والدته في محاضرتها يقرّعا شرقه عليها ،الأمر الذى دفعه الى أن يرّد على جانيـن برسالة اتهام (٥) تناسب الوضع الذى تناقشه معه أمه .

اتهم جانين ، وتنصّل من اسداء النصيحة على الأقل ، فكان ما كتبه تبرؤا من مسؤوليته تجاهها ،وانتصارا للأم ، وانتصارا للتقاليد ، وانتصارا للضمير الاجتماعي في شرقـه .

---

١ — الحي اللاتيني ، ص : ٢٣٠
٢ — المصدر نفسه ، ص : ٢٣٢
٣ — = = ، ص : ٢٢٩
٤ — = = ، ص : ٢٣١ و ٢٣٢
٥ — = = ، ص : ٢٣٣

كان لهذا الاتهام الذى وجهه الى جانين رد فعل طبيعي في نفسه من جهة ، وفي نفس جانين من جهة ثانية ، جانين التي ردت عليه بجملة ضمنتها كل مأساتها تقول : " شكرا سأواجه مصيرى بشجاعه ـ جانين " (١)

وتمرد حنينه الى العودة الى المدينه التي حقق فيها وجوده ردحا من الزمان .. انه يعيش الآن في عالم أمه فقط ، هي كل عالمه ، وهي التي هدّمت آماله بلحظة انفعال ، ولِمَ يحبُّ هذه الأمّ ؟أهي ضريبة التربيـــة ؟؟

وتمرد الصراع في نفسه على أشده .. الصراع بين شخص يخشاه ، هو أمه ، وشخص يحبه ، هو "جانين" ، بين تقاليد يخشاها وبين حرية يحبها ، فشعر بالثورة في نفسه تلتهب ، ولكنها كانت ثورة خائبة ، فهو لم ينجزها الى حيز العمل .. لم يجسد الثورة ببرقية يبرقها الـــى حبيبته ، يعبر فيها عن مسؤوليته فيما حدث ، ويطلب منها أن تنتظر عودته اليها ، بل كانـــت ثورة داخليه فيما بينه وبين نفسه ، دون أبعاد ايجابيه تخص مأساة جانين لارتباطه بترسبات تقاليده الشرقية التي لم يستطع أن يتخلّص منها .. إنه كتب الى " جانين" وهو بكامل قواه العقليه ، ويعتقد بخطأه ، ويرفض اتهام والدته البعيد عن الواقع ، واقع الفتاة المسكينه التي دفعـــت سعادتها ضريبة هذا الحب الكبير ، من أجل استجابته لضغط نفسي موجه ، ولكن رسالة فؤاد اليه ، أعطته نوعا من القدرة ، رفع بوساطته الضغط عن نفسه ، حيث أخبره عن واقع ما وصلت اليه حالة "جانين" من مرض وعذاب ، يتهمه بتنصله من مسؤوليته ، وهذا ما لا ينتظره الوطن من العربـــي الشريـــف .. (٢)

وعاد الى باريـــس ..

ومرة ثانيه أصبحت أمه وتقاليد شرقه مجرد ذكرى ، وأصبحت باريس" حاضره " الـذي ابتعد عنه ، ودفع ثمنه الكثير من سعادته ، ولكن هل استطاع بهذه العودة ، وهذا الانتقال الجديد أن يتخلص من ارادة والدته ؟؟ كلا .. فالأم قد تغلبت نهائيا على الجانب المضاد حتى ولو أصبحت مجرد ذكرى .. "فجانين" قد تركت المستشفى الذى اجهضت فيه بيوم واحد قبل وصوله (٣) ولم تعد الى فندقها .. و " سامي " وزملاؤه يزداد اهتمامهم بالقضايا الوطنيه ، وكأن في هـذه القضايا الوسيلة الوحيدة لمكافحة التأخر في مجتمعهم الشرقي الذى هم من أجله يدرسون ويتثقفون .

عبثا حاول أن يلتقي " بجانين " فهي لم تترك عنوانا لها ..

ويخبره أحمد ، أحد زملائه وأصدقائه ، أنه رأى جانين ثلاث مرات ، خلال الأسبوعين الماضيين ، واعتذر على عدم اخباره قبل اليوم ، لأنه كان منهمكا في تحضير مناقشة رسالتـه ، وخائف عليه من الفشـــل .

---

١ ـ الحي اللاتيني ، ص : ٢٤٠

٢ ـ المصدر نفسه ، ص : ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٤٤

٣ ـ = = ، ص : ٢٤٦

والتقى " سامي " "بجانين " في حي الوجود بين ،وفي كهف من كهوفهم ولكن بعد أن أصبحت فتاة ضائعـــه .(١)

وحاول أن يصلح الخطأ الذى صنعه ،وطلب منها أن يتزوجا ، ولكنها رفضـــت ، وطلبت منه أن يعود الى وطنه ضمن رسالة طويلة تركتها له في مكان تواعدهما للسفر معا ، فحمـل ذاته المحطمة ليجد أمه واخوته وأصدقائه هناك ،على رصيف ميناء بيروت بانتظاره .

ونستطيع القول ان الجزء الأخير من هذه الرواية يثب في سبيل الغاية الكبرى التـــي وصل اليها " سامي " وجانين " بسبب رواسب تقاليده ، وعرفه الذى حمله معه من الخنـــدق الغميق ، هذه الرواسب التي صنعت مأساة جانين مونترو ، التي هي من أهم عناصر نجاح هـذه الروايـــة .. عنصر ، رسمه سهيل ادريس بدقه واتقان ،وأعطاه شخصية حية قوية رغم تلاشيهـا في سبيل الفكرة الواحدة ، وهي فيها الخوف والتردد ، وفيها الحذر والترقب ، وفيها الضعـف والاستسلام ، وبين أجزائها جميعا قوة تضمها وتربطها ربطا نفسيا محكما ، يعطي الاحساس المتفعل كاملا ،ويبني التصدع الناشيء عن عرض الافكار بانطلاقها الحـــر .

ان هذه الروايه تبدو في بعض فصولها مهتمة بالتفاصيل اهتمام " اليوميات " ولغـة كاتبها تتداول فيها الضمائر الثلاثه ،الأمر الذى يخرج أسلوبها على الاسلوب العربي المتواضـع عليه ، والذى ينجح بجماله ، وهدوئه وتسلسله الرشيقه ، ولكنها بناء واقع في الروايه العربية .

وخير ما فيها هو التراجع والضعف والقوة الى القلق والحيرة ، بعد مراحل أوهمت بالتغلب عليها ، ولا نرى في هذه العودة الى نقطة البداية نقيصة في الروايه ، انما نرى فيها أحد جوانب القوة ، وذلك أن النغم الأساسي الموجه للرواية ،هو هذا القلق الذى ينطلق اليـه باحثا فيه الشاب العربي ، وهذا التلمس الفاشل الذى ينطلق اليه باحثا عن معنى وجوده ،واللحن الأصيل الذى ترده نفسه هو ضرب من العود الى الأبدى ، اذ يبدأ ويمضي ، ويستعد للبحث، ويتوهم أنه وصل ، ثم ما يلبث حتى يرى نفسه في مكانه لم يبرحه ، وفي نقطة البداية لم يفارقها .

ان المأساة التي كان " سامي " سببها ، وعجز عن اصلاح ما أفسدته رسالته ،فـــي عودته الى مجتمعه الجديد ، نراه في عودته ثانية الى مجتمعه القديم قد تغير موقفه العقلي لدرجة كبيره ، اذ نجده يضيق بروحانية الشرق التي دأبت والدته على تنميتها ،عن طريق رسائلها اليـه ، وسيعمل على تكييف شرقه على أحلامه وأوهامه وان كان موقفه النفسي يكشف عن كثير من التناقض .

ان المشكله العاطفية واضحة في هذه الروايه وهي في احساس الكاتب ،وقد نوافقـه ... بتحفظ ـ ليست الأساس ،فهي اذا نظرنا اليها في اطار من وحدة العمل الروائي ، ليست الا وجها من أوجه الصدام بين تصورين مختلفين تجاه شيء واحـــد .

والقضية الرئيسية التي عالجها سهيل ادريس ،كانت تقوم على الصدام بين واقعيـن وان أخذت في البداية صورة مشكلة عاطفية وكانت المحرك والموجه لنهاية حتمية لهذا الصراع ،تركزت

---

١ ـ الحي اللاتيني ، ص : ٢٦٩

حول قيمة الواقع الذى عاشه في شرقه ، ومدى ما فيه من نزعه انسانية مستمدة من الشرق الذى لا يقرّ الغرب على نزعاته المختلفـــــه .

ان هذه الرواية في عمقها لا تخلو من المثالية ، كما انها تستمد غناها الروحـــي من حرصها على مدارات اغتراب الانسان عن نفسه ، وعن عالمه ،وعن اخوانه بما يحيط به مـــن امتيازات بيئية شرقيه ، ورثها من أسرته التي نشأت على الأخلاق والدين نشأة جعلت أمـــه قادرة على أن يكون لها رأيها المطلق في عمارة حياته التي بدأها في باريس ، ثم عاد فهدمهـا في لبنان ، ليعود للبناء مرة ثانية ، ولكنه يفاجأ بالواقع الذى يحول بينه وبين ما يريده رغـــم الحب الذى تكنه له " جانين "

وقد أنهى الكاتب روايته بقول موجز للنهاية ، " بل الآن نبدأ يا أمي .. "(١) ولكن ، كيف ستكون هذه البدايه ؟؟ هل سيتعلم من المأساة التي صنعها خلقه في باريس ؟ هـــل ستكون البداية باستقلالية تامه عن أمه ، أم ستقوم على الصراع المزدوج الذى صادفناه خـــلال مأساة هذه الرواية ، أم سيكون نتيجه ما تعلمه قادرا على أن يأخذ بيده ، فيتحدى التقاليـد والعادات مثلما فعل في الخندق الغميق ؟

لا نغالي اذا قلنا أن حضور سهيل ادريس في هذه الرواية هو المشكلة الاساسيـه فيها ، فهو ينحاز ولم يكن موضوعيا في تناول قضية هي من أخطر قضايا عصره ، بل انها على المـدى الطويل من أخطر قضايا الانسان ، ولهذا سيظل أكثر النقاد ينظرون الى هذه الرواية على أنها مجرد صفحة من حياة الكاتب في باريس ، أو يعبرون بسرعة فوق القضية الخطيرة التي عرضها بغير حيـــــاد .

والسؤال الذى نطرحه الآن : الى أي مدى كانت نهاية هذه الروايه بداية ؟؟ لعل روايته " أصابعنا التي تحترق " تحمل الكثير من الاجابـة على هذا السؤال .

ز / د

---

١ - الحي اللاتيني ، ص : ٢٨٥

" المبحث الثالث "

اصابعنا التي تحترق (١)

١ - زمانها :

تتناول هذه الرواية فترة تاريخيه معينة ، بين سنة ١٩٥٣ وسنة ١٩٦٢ م

كانت هذه الفترة التاريخيه من أحرج الفترات على الأمة العربيه ، حيث ابتدأ الشعب العربي يتحرك من غفوته الطويله ، ويتطلع الى الانطلاق رغم المؤامرات الاستعمارية الكثيفة التي كانت تواجه الأمة العربيه ، وفرضت عليها وجود دولة الصهاينه لتضرب بوساطتها جميع القوى الوطنيه اذا يقدّر لهذه القوى أن تتحرك .

ونرى في هذه الفترة التاريخيه بالذات أن معظم الدول العربيه كانت تتحكم بها الرجعيه التي لا تحيد عن كونها حارسا أمينا على مصالح الغرب ، على حساب مصالح الأمه العربية ، لذلك كانت الحركات الوطنيه تحارب وتهاجم بقوة من حكام العرب ، الذين كانوا يطلقون على كل حركة تحرير وكل منظمة تناوئ الاستعمار اتهامات تدينها بالشيوعيه ، لما كان للشيوعيه من أثر سيء على النفوس ، نتيجة للأسلوب الاستعماري الغربي الذي أظهر الشيوعيه بمظهر عار عن الدين والأخلاق والمبادئ الانسانيه ، وهم - في الغرب - يعرفون جيدا ، انما هذه التهم ليس الا لربط الأمة العربية المتخلفه بركاب الاستعمار الغربي الذي يتسلط على رقاب الشعوب وخيراتهم بوساطة فئة من أبناء هذه الشعوب ، يصنع منهم ملوكا أو امراء ليحكم من خلالهم ، ويخفي وجهه من وراء أقنعتهم المزيفه ، ولكن هذه الأمور لم تخف على الوطنيين الأحرار من أبناء الشعوب ، فارتفعت أصواتهم تتحدى هذه البدع ، وتدعو الشعب للتكتل ضد قوى الغدر والخيانة ، فوجدت الأحزاب - على اختلافها - شعبا متعطشا للمبادئ التي تناوئ الاستعمار في هذه الأمة العربية ، فالتفت الى الشباب تدعوهم الى الانطلاق ضد هذه القوى الغادره ، فانخرط الشباب في أحزاب مختلفة ، جميعها تدعو - وان كانت بعض الدعوات تضليليه - الى مناهضة الظلم والطغيان ، والى الوحدة بين أبناء الشعب الواحد ، الأمر الذي أدى الى قيام تكتل شعبي - وان كانت الحكومات العربيه متفرقه ومتنازعه تدعو الى الوحدة (٢) ولكن ، الى أي مدى حقق الشعب ارادته خلال هذه الفترة التي تعرضت لها هذه الرواية ؟ سنجيب على هذا السؤال عندما نتناول الرواية درسا وتحليلا .

---

١ - الرواية الثالثه لسهيل ادريس ، نشرتها دار الآداب ط ١ سنة ١٩٦٢ و ط ٢ سنة ١٩٦٧ بيروت لبنان .

٢ - لا نريد أن نسرد الحقائق التاريخيه ، لأن كتب التاريخ الحديث ، والنشرات الحزبية الكثيرة تتناول هذه الأمور بأسهاب وتحليل ، يمكن الاطلاع عليها ، انما قصدنا من وراء هذا البسط الاشارة الى أن الأحزاب وجدت في هذه الفترة التاريخيه التي تناولها سهيل ادريس في روايته شعبا يتوق الى التحرر من جميع الآفات التي كانت تجثم على صدره .

وكما تتناول هذه الرواية أحداثا تاريخيه تتناول أيضا جوانب من حياة كاتبها نفســـه ، وتصور جوانب من الحياة اللبنانيه في هذه المرحله الزمنيه المعينه ، من سنة ١٩٥٢ ولغاية سنة ١٩٦٢ وقد ضمنها قطاعات محددة من تاريخ حياته أو ترجمته الذاتيه ، وخصوصا دوره الذى لعبه على مسرح الحياة بعد عودته من فرنسا ، حيث كانت السنوات الاربع التي قضاها في فرنسا غنية بما حصّل من علم وبما أضافه الى فكره وروحه من زاد ، وبما غيرت من مفاهيمه لكثير من جوانب الحياة والنـاس كما سجّل في روايته " الحي اللاتيني " ملامح من حياته في تلك السنوات الأربع التي عاشها بين الكتب والناس ، وسجل حياته وأفكاره وآماله ، وحركاته وجهه الذي ربطه بالحياة ربطا متناقضا (١)

٢ ـ زمانهـــا :

من الناحية المادية ، بيروت ، حاضرة لبنان ، أسبق الحواضر العربيه اتصالا بثقافة الغرب ، لموقعها الاستراتيجي الممتاز ، وقدوم الجاليات الأجنبيه اليها ، تتصارع من أجـــل كسب أكبر عدد من اللبنانيين ، سواء كانت جاليات اميركيه أو فرنسيه أو انكليزيه أو روسيه .

ومن الناحيه المعنويه ، في عقل المفكر العربي ، من كاتب أو شاعر أو صحافي أو حزبي سياسي ، فهي تتناول معظم الآراء التي كانت مطروحة آنذاك ، ومتداوله بين أفراد الشعب ، سواء كانت آراء أدبيه ، أو اجتماعيه ، أو سياسيه ، ونستطيع أن نصفها بوثيقة ثقافيه اجتماعيه سياسيـــه ـ اذا جاز لنا هذا الوصف ـ لأنها تناولت جميع هذه القضايا بقدر كبير ، حيث ساعدت بعـــض الأحداث التي واجهتها الأمه العربيه (٢) على تحري الحقيقة الاستعمارية وكان من نتائجها تكتل الشعب العربي في صف واحد ضد القوى الاستعماريه ، الأمر الذى دفع الدول العربيه الرجعيه الى أن تلوذ بالصمت ، أو تعالى شعبها خوفا من غضبته ، فارتفعت الشعارات الوطنيه وأخذت الأحزاب تنادى ضد القوى الغادرة .

٣ ـ أشخاصها وأحداثهـــا :

" سامي " هو الشخصية الرئيسية في الرواية ، وتقابله " الهام راضي " الحبيبـــة والخطيبة ، ثم الزوجة الراعية المحبة الصادقة ، وتقابلها رفيقه شاكر ، وسميحه صادق ، وعصام حلواني الشاعر ، وعبله سلطان ، وسلمى عكاوى ووحيد حقي ، وعاني النرويجي ، وكريم وسمير . وهناك شخصيات ثانوية تمثل في الأمة العربيه ، والأحزاب السياسيه .

وأحداث هذه الرواية متنوعة ، تربطها سلسلة واحدة ، ولكن كل حلقة لها معنى خاص بها وان كان هناك رابط قوى أوضعيف بين كل حلقه من حلقات هذه السلسلة القصصيه ، التي تتناول قضايا مختلفه ، فهي رواية حب ، كما هي رواية سياسية واجتماعية وثقافية .. فكل بطل مـــن مجموعة ابطالها له دور خاص يقوم به ، وله نكهة خاصه .. هناك الدور العاطفي ، والدور السياسي

---

١ ـ هرب من التقاليد ، فعاد اليها مع عودته الى بلاده .

٢ ـ تأمين مصر للقناة ، وحرب السويس ضد العدوان الثلاثـــي .

والدور الوطني والدور الاجتماعي ،وحتى الدور الاقتصادي ، لذلك أتت أحداث هذه الروايه متنوعه أو أشبه بمذكرات يوميه عايشها البطل بنفسه ، فأتت صورة واضحة عن الحياة التي تناولتها هـذه الروايه ، وعن اشخاصها ، وخصوصا صراحة البطل وصدقه في اللهجة والتعبير ،فقدم لنا لوحات تعبيرية لا تخرج عن معنى ما كان يدور في البلاد العربيه من ماسي ونظم متعارضه ،وحب صادق، وشذوذ لم يتطرق الى وصفه أحد من قبل ، ولعل نزعة الكاتب الواقعية هي التي شدته الـى استعراض بعض الحقائق التي أتت محشوة بين قضايا هذه الروايه ، ويمكن سلخها عنها دون أن تترك أي فراغ في سير القصه وأحداثها ، ولكن الواقعية التي كان يحياها سهيل ادريس في أدبه هي التي ألزمته بعرض مثل هذه القضايا ، وخصوصا /دور/ عبله سلطان "(١) الذى بوساطته استطاع ان يخطو خطوة واقعية جريئة لم يخطبها كاتب من قبل ، ولنا عودة اليها عند التحليـل .

اذن ، فأحداث هذه الروايه متنوعة (٢) ومصبوغة بالصبغة الوطنية ، وان كانـت القضايا الساطفية هي الغالبة ، انما الهدف الرئيسي للكاتب من هذه الروايه هو تسجيل القضايا الوطنيه ،وتأكيد التزامه بهذه القضايا ، وخصوصا بعد أن اطلع على قضايا الفرنسيين وأدبهـم ولكن ، هل استطاع سهيل ادريس أن يرى لدعوته أبعادا ايجابيه ؟؟ وما مدى تأثير هذه الأبعاد على القراء العرب ؟ هذا ما سنظهره عند التحليـل .

٤ - جوهـا العـام :

الجو العربي الذى تثقله قضايا الحرية والتحرر ، وتعبث به أهواء أبنائه . وقد حدثت خلال هذه الفتره التي تناقشها هذه الروايه قضايا رئيسيه في مصر ، مثل تأميم القنال (٣) والعدوان الثلاثي على مصر (٤) جعل هذا الجو العربي مشحونا بالقوة والحقد والكراهيه ضد القوى الاستعمارية ، وكان لهذه القضايا أبعادا سياسية واقتصادية وثقافيه ، الأمر الذى أوقف الأمه العربيه موقـف الحرص والحذر ، وتحين الفرص للانتقام ، لذلك اندفع الشعب بأجهزة اعلامه يحارب هذه القوى بكل امكانياتـه .

ونرى من خلال هذه القضايا أن الشعب العربي أخذ ينظر الى الاتحاد السوفييتي نظرة صداقه وود ، استنادا لمواقفه السياسيه مع القضيه العربيه ،لذلك نرى بقدر ما تقلص النفوذ الغربي الرأسمالي كسب النفوذ الاشتراكي ،ووقفت الاحزاب اليسارية العربية موقفاً جريئاً ،مثل رأى الاغلبية الساحقة من أبناء الشعب العربي الذى أخذ ينظر الى هذه الأحزاب نظرة إكبار واحترام ، ولكن الأمر لم يتم بالقدر الذى تمناه أبناء الشعب العربي ، حيث أخذت الرجعيه تستعيد سيطرتها ونفوذهـا عن طريق الأحزاب المؤيدة لها ، كما أخذت الحكومات الرجعية تحارب الأحزاب التقدمية الاشتراكية ، وتسجل عليها خطواتها . من هنا ابتدأ الصراع أشده بين الأحزاب اليسارية والأحزاب اليمينيـه لتوجيه الشعب الى قضايا فرعية بعيدة عن القضية الرئيسية ،وهي قضية تحرير أرضه وحريته وعدالته الاجتماعيـه .

---

١ - أصابعنا التي تحترق ١٦٥ و ١٦٦

٢ - ولكنها تروى جانبا من حياة مؤلفها في سجاه ، بين اهله وعشيرته ،وهي واقعيه مرتبطه بالحياة أشد الارتباط . فالبيئه هي البيئة اللبنانية التي تمثل البيئة العربيه التي نعيشها في بلادنا العربيه .

٣ - تم تأميم القنال سنة ١٩٥٦ م

٤ - سنة ١٩٥٦ م ايضـا

وقف الأدب العربي موقف المؤيد من جهة ، والمعارض من جهة أخرى ، حسب ارادة كل فئة . وابتدأت النظريات الاجتماعية والثقافية والسياسية تطرح على بساط البحث والمناقشه الأمر الذى ثقف الجمهور العربي ثقافة مختلطه بين الاجتماع والسياسه ، دفعته الى المطالبه بحقوقه السياسة والاجتماعية والاقتصادية . فتطورت النظم السياسية من حلقة ضيقة ، تضم فئة معينة من الناس ، الى نظم متطورة تنظر الى الفرد والمجتمع نظرة منطقية ، تؤكد ان الفرد الصالح هو أساس المجتمع الصالح ، والذى هو بدوره أساس النظام الصالح ، لذلك عمل القادرون على اصلاح الأنظمة السياسية ، فوفّق ناس ، وفشل آخرون ، ولكن التوفيق لم يكن بقوة الاصلاح الذى يقود أصحابه الى الحق والخير والاستقرار، بل كان قدرة على التحفز ، ويقظة لهذه الأمة من سباتها العميق الذى مضى وعفى عليه الزمن ، كما اوجد التعاون بين افراد الشعب العربي في كل مكان رغم ارادة حكامه ، الأمر الذى دفع الحاكم الى أن يقف أمام قراره أكثر من وقفة تأمل وتحقيق نتيجة لهذا التلاحم الشعبي الذى أوجدته نكسات الحكومات العربية .

٥ - تسميتهـــا :

لا أصل لهذه التسمية في اللغة ، ولكن أصلها في الاصطلاح نتيجة لما يلاقيه رجال القلم في لبنان من مصاعب اقتصادية ، فيكدحون كتابة حتى تحترق أصابعهم ، ولا يظفرون بلقمة العيش ما لم يقوموا بأعمال أضافية أخرى ، كالكتابه في الصحف والمجلات ، أو القاء المحاضرات ، فكانت التسمية تعني الجهد الكبير الذى يقدّمه الكتّاب من أجل لقمة العيش ، سواء كانوا في لبنان أو في غير لبنان من البلاد العربيه ، نتيجة لعدم الحماية الأدبيه ، حيث نرى كتاب الأديب - مثلا - منتشرا في جميع البلدان العربيه عن طريق السرقات الأدبيه ، حيث تطبع الطبعات العديده ، بعيدا عن علم صاحب مؤلف الكتاب وجيبه !

سهيل ادريس يؤكد في روايته أن أصابع الكتّاب والأدباء تحترق بمواد الفكر ، وغير قادرة على أن تقي أصحابها من العوز الذى يفرض عليهم البحث عن وظيفة ثانيه تدفعهم الى مجاراة الحكام أو اتجاهات سياسيه معينه ، ولكنه في هذه الروايه يناقض هذه الظاهرة من منطلق بطلها ومجلته التي كانت تعاني من الافلاس في كثير من الأحيان ، الأمر الذى اضطره الى مناقشة هذه الأمور مناقشة منطقيـة أكدت أن الالتزام في القضايا الوطنيه أكبر بكثير من الالتزام بالقضايـا المادية ، لذلك كانت دعوة سهيل ادريس للقضايا الوطنيه دعوة عميقه الجذور أقام دعائمها على سلّم تجاربه من الحياة ، عبر وسط اجتماعي تتفاعل فيه جميع القوى الوطنية وغير الوطنية ، وعبر فترة زمنية نعتبرها فترة انتقالية ، نقلت المجتمع العربي الكبير الى عدد من الدويلات ، تختلف أهدافهـا وميولها اختلافا متباينا ، نتيجة لاختلاف أهداف وميول حكامهـا .

بناء الرواية الفني يقوم على أساس السرد المباشر . وعملية السرد هذه موزعة بيـن "سامي" بطل القصة ، وبين حبيبته "الهام راضي" التي اصطفاها دون غيرها ممن صادفهـن عبر مرحلة حياته العاطفية ، وكانت على شكل مذكرات . وبهذه الطريقة استطاع الكاتب ان يدخـل

القارئ الى أعماق الفتاة ، ليكشف لنا قدرا معينا من واقع الفتاة ، نستطيع من خلاله رسم صورة واضحة لفتاة العصر التي يجب أن تكون ؛ حتى تمسك بيد الشاب ،وتعيد بناءه من جديد ، بناءا قويا ليستمد منه الوطن القوة والعزة والمناعـــــة .

الى أى مدى كانت هذه القضايا صادقة في حركات أبطال هذه الرواية ؟ هذا ما سنراه من خلال تحليلنا ودراستنا دراسة مرحلية لأحداث وأبطال الرواية التي أقامها كاتبها على عمارة العقده المفككة (١) التي أعطته حق التصرف في مناقشة جميع القضايا المطروحة في المجتمع العربي وابداء الرأى فيها عن طريق العقد الجزئيه المكملة للعقدة الرئيسيه . وهذا النوع من الروايات يعطي الكاتب منطلقا جديدا في كل مرحلة من مراحل النقاش التي يريدها ،وتجعله قادرا على أن يتناول جميع القضايا عبر أبطاله ، لأن من طبيعة هذا النوع من القصص تعدد الأبطـــال وان كان الكاتب هو الذى يحركهم حسب ارادته ، ومقتضى الظرف الذى يراه ملائما ، كما يفعـــل لاعب الشطرنج - واذا جاز لنا التعبير - نستطيع أن نقول : إن سهيل ادريس في روايته هذه أشبه بلاعب شطرنج بارع ،حيث استطاع أن يحرك ابطال روايته على اختلاف ميولهم وأهدافهـــم ببراعة لاعب الشطرنج الخبير ، انما الفرق بينهما أن سهيل ادريس دائما يكون في حوزته "الملك" الذى بوساطته ينتصر على بقية الشخوص الشطرنجيه ، فأكد لنا حقائق الحياة العاطفيه والسياسيه والاجتماعيه التي عايشها ويعاني منها المجتمع أو يقرّه عليها ويعترف بهـــا .

" أصابعنا التي تحترق " هي الرواية الثالثه والأخيره التي نشرها مؤلفها حتى الآن ، وبالعودة الى سيرة مؤلفها الذاتية التي تناولناها في الباب الأول من هذه الدراسه ، نجد أن هذه الرواية تناولت الكثير من حياته بعد عودته من فرنسا ،حيث ضمنها آراءه السياسيه والقوميه ، والعاطفيه كما حاول أن يؤكد من خلال هذه الروايه أن الانسان الشرقي لا يستطيع أن يتخلى عن قيمه وعاداته الشرقية مهما طالت اقامته في بلاد الغـــرب (٢)

قسّم سهيل ادريس روايته الى قسمين متساويين تقريبا بعدد الصفحات والقضايا التـــي تناولتها ،سواء كانت قضايا عاطفيه أو قضايا قوميه ، ونستطيع القول ان القسم الثاني من الروايـــه هو عبارة عن تفسير للقضايا التي أتت في القسم الأول ،كما توجد فيه حلول العقده الرئيسيه ،والعقد الجانبيـــه .

---

١ - وهي من القصص الذى لا يكون له سلك ينظم كل حوادثه ،وليست له عقدة ، ففيه أكثـــر من عقدة ، وأكثر من بطل ، وأكثر من حادثه غير متماسكه .. انه الحياة الكبيرة التـــي تتفاعل فيها الشخصيات وتتصارع لتتكون الحقيقة الفنية التي يهدف اليها الكاتب .

٢ - نراه يرفض "رفيقة شاكر" التي حاولت أن تمثل امامه دور بنات باريس ، ويتمسك بألهام راضي ذات النشأة الدينيه التي تحترم تقاليدها وعاداتها الشرقيه (راجع القســـم الرابع والسادس والثامن من الروايـــه) .

القسم الأول :

في هذا القسم ، نرى المؤلف يستعرض كل ما حصل معه بعد عودته من فرنسا ، وما صادفه من أحداث في لبنان ، البلد الذى تركه ليعود اليه مزودا بالعلم والمعرفة حتى يساهم في تقدمه عن طريق المجلة التي أنشأها ، وألزمها بالقضايا العربية التي تعاني من الفساد الذى يتمثل في الحكام ونفوسهم ، ونظرتهم للقضايا الوطنيه من خلال منظار مصالحهم الشخصيه ضاربين مصلحة البلاد القومية عرض الحائط .

يبدأ المشهد الأول في الرواية بدخول " الهام راضي " الفتاة البعلبكية الى مكاتب المجلة ، وتعرفها على بطل الروايه " سامي " ليدور نقاش بينهما ، وتخبره عن المصادفة التي سمحت لها أن تسمع رأي " هاني الغريب " في السيارة التي نقلتهما من بعلبك الى بيروت . كان ملخص المناقشة أن " هاني الغريب " له مأخذين على مجلة " الفكر الحر " وهما : الأول : أنها - أى المجلة - تلتزم قضية ، لا تميّز فيها بين الأبعاد السياسية والاجتماعية والفكرية . والثاني : أنها تلتزم القضية العربية بالذات ، وهي في رأيه ، مجلة لبنانية (١) وكأنّ المفروض من المجلة الأدبية الا" تهتم بالقضايا السياسية وغيرها ، وهي بدورها تعتبر المأخذين على المجلة عما ميزتيها الرئيسيتين ، فأدهشه أن يرى فتاة جميلة ، تعي من قضايا الأدب اكثر مما تحتمله طالبه (٢) الأمر الذى يؤكد أن هناك رغبة ملحة في عقل هذه الفتاة للتعرف على " سامي " صاحب المجله ، ومن جهة ثانيه نرى أن " الكاتب " يرى في هذه الفتاة قضية مختلفه عن القضايا التي تناولها عبر روايته " الخندق الغميق " و " الحي اللاتيني " فهي قد اشتركت في المجله ، وهوأى " سامي " قد أهداها روايته الجديدة كهديه ، كتب عليها جملة اهداء قبلتها بعد تردد ، لأن المفروض منها الاتتعرف بالرجال ، فضلا عن أن تزورهم في مكاتبهم (٣) أى انها لا تزال متمسكة بتقاليدها ، وحريصة على الاحتفاظ بها كل الحرص ، فاندفع يتمسك بلقائها مرة ثانيه بحجة الوقوف على رأيها في روايته رغم أنها أصبحت رواية قديمه (٤)

ومقابل هذه " الالهام " نجد " رفيقة شاكر " السورية التي أخبرته أنها قادمة الى لبنان ، الى المصيف لتقضي فترة من الزمن .. وهي لم تأت الا من أجله .

ويلتقي " سامي " بها وتقدم اليه صديقتيها اللتين انسحبتا خارجا وتركاهما معا (٥)

وانطلق " سامي " و " رفيقه شاكر " في مشوار طويل ، عبر الغابة القريبه ، وهناك ، ضمها الى صدره ، وقبلها ، بعد أن سألته كيف يقبل بنات باريس (٦) .

ويقص علينا الكاتب قصة " سامي " ومغامراته مع " رفيقة شاكر " التي فكر فيها كزوجة عندما التقى بها ، ولكن نراه يغير رأيه بعد أن أعطته شقتيها في غابة " قرنايل " حيث راوده

---

١ - أصابعنا التي تحترق ، ص : ١١
٢ - المصدر نفسه ، ص : ١١
٣ - = = ، ص : ١٥
٤ - = = ، ص : ١٦
٥ - = = ، ص : ٣٦
٦ - = = ، ص : ٤١

احساس غامض بعدم جدية هذه الفكرة ، لانه كان على شبه اليقين من أنها ستهبه جسدها في لقائهما التالي ، فاعتبرها فتاة مغامره ، ليس أكثر من فتاة مغامرة ناضجة الانوثه (١) وهذا الرأى الذى يقرره مقابل رأيه " بالهام" الفتاة الخجولة ، التي تحترم التقاليد وتؤمن بحرية الرأى ، ولكنها ترفض الحرية بلقاء الرجال ، عكس " رفيقة شاكر " (٢) التي أتت خصيصا من بلدها لمقابلته وهو الذى أمضى فترة زمنيه من حياته في باريس ، جعلته قادرا على ابداء الرأى في أمور الحب والعاطفه ، نتيجة خبرة حصل عليها من خلال تجاربه هناك في فرنسـا .

برفضه " رفيقة شاكر " يعود بنا سهيل ادريس الى " الحي اللاتيني " وكذلك الى " الخندق الغميق " ، عودة التقاليد التي تدخلت في شؤون حياته . " فسامي " الذى لعب دوره في " الحي اللاتيني " ترك جانين مونترو بدافع التقاليد التي هجرها في " الخندق الغميق" نراه يعود من جديد الى تقاليده التي هرب منها ، فيرفض " رفيقة شاكر " لمنحه شهيتها ، اما تلك " الالهام " التي حالت بينه وبين ما كان يتمناه من اختراق حواجزها ، نراه يتعلق بها ويحس بقيمة وجودها ويلاحقها ، ويعرف نفسه من خلالها ، فتقوده الى حياة عاطفيه مستقره . ومن هنا نقف على رأيه " في الحب " ، واذا كان هذا رأيه في الحب ، فما هو رأيه في السياسه والقضايا الوطنيـه (٣)

تناولنا رأى سهيل ادريس في الحب ، لانطلاق هذه الرواية من موقف يدعو اليـه ، وارتباطا بموضوع روايتيه السابقتين (الخندق الغميق ، والحي اللاتيني) اللتين أقامهما على الحب الذى لعبت به التقاليد ، وحالت بينه وبين طلّابه الذين انخرطوا في الحياة الاجتماعيه الجديده التي اختلفت عن حياتهم في مجتمعهم الشرقي ، وكانت ذا أثر فعّال عايشهم حتى بعد تخرجهم مـن مدارس الغرب .

اذا تخطينا العلاقه العاطفيه التي ربطت بطل الروايه بعلاقة زوجيه ، أعطته قدرا من الراحة النفسيه ، جعلته يفكر بهموم بلده وأمته ، ويوجه كل تفكير تجاه القضايا السياسيه والقوميه ، نجد أن رأيه السياسي يتناول الكثير من القضايا التي تتحكم بالنفوس ، وتقسّمها الى أحـزاب وفئات متناحرة عقائدياً واجتماعياً وعلى مستويات مختلفه . ونراه ذا رأي مقروء لكونه صاحب مجلة ومن المجلات التي تكتب فيها أقلام معروفة للقرّاء .

اذن ، فالروايه هذه تدل - بوضوح تام - على مبدأ سهيل ادريس السياسي والقومي ، كما تدّل على رأيه في سياسة الدول العربيه المجاورة لبلده لبنان . فبطل روايته صحفي وأديب ، وصاحب مجلة ، وقادر على الكلمة ومسيطر عليها ، ويحسن التعبير عنها وينقلها الى قرائه في جميع

---

١ - أصابعنا التي تحترق ، ص : ٦٢

٢ - " ولم يدر بعد ذلك الا مست شفتاه الذراع ، أم ظلتا قريبتين بعيدتين ، ولكنه فوجئ بيدها تلك تنفرج أصابعها فتترك القلم يسقط على المكتب ، فيما هي ترتعش ويسمعها تقول في صوت واهن : اعذرني ، انني أضع لك وقتك " ص : ١١٣

٣ - لمزيد من الاطلاع على رأيه السياسي ، يمكن العودة الى الباب الاوّل من هذه الدراسه تحت عنوان ، عقيدته الفكرية والسياسيه .

البلدان العربيه كما ينقل آراء غيره من الدارسين والأدباء والفلاسفه ، وكأن مجلته مدرسة ، تعلّم جميع القضايا السياسية والقومية والاجتماعية لذلك نراه لم يكن هامشيا ، بل كان له موقف ، وموقف معين التزمه تجاه القضايا الوطنية والحرية والاشتراكية ، ولم يستطع أن ينسى أويتناسى ما يجرى حوله ،واذا فعل ،فهو يخون عصره (١)

اذا كان سهيل ادريس واضحا في موقفه القومي ، فهذا لم يمنع أن يكون واضحا في موقفه تجاه الأحزاب السياسيه ، كالحزب الشيوعي ، والحزب القومي السورى ،ولا ينكر ما كانوا يتهمونه به من الانحلاليه والعدميه ،والعداوة للقيم البشريه ، فقد اتهمه الشيوعيون ، بأنه بورجوازى ، قذر ، وعميل استعمار غربي منذ عاد من باريس وأنشأ مجلته .. عميل للثقافه الفرنسيه بوجهها الرجعي ، وماينشره عن ركب الانسان الصاعد ما هو الأراجيف وأكاذيب يستقيها من مصادر غربيه ملوثه لا هم لها الا تشويه حقيقة تلك الطليعة الواعيه ، ومأجور للغرب ، ووكيل ثقافة انحلاليه (٢)

ورغم كل هذه الصفات التي كانت تطلق عليه من الشيوعيين العرب ،كان له عليهم مأخذ واضح وهو : أنهم يحجرون الفكر ضمن حدود مرسومة ويقيمون دون تخطيها أسوارا منيعة ، فيقتلون بذلك أعظم مزية للفكر . (٣)

كان المبدأ العام الذى يراه من خلال الأحزاب ، وهو أن هذه الأحزاب على اختلاف هوياتها ومبادئها لا تخدم القضيه الوطنيه بقدر ما تخدم خالقيها ، ومصالحهم الذاتيه ،وهذا ما يرفضه سهيل ادريس . واذا هو يتفق مع الأحزاب ، فمن أجل الأمة والوطن . لا من أجل حفنة اشخاص ، أو نظريات مختلفه المفاهيم ، بعيده عن الانسان وقيمه .

ان سهيل ادريس لا يرفض وجود الأحزاب ، ولكنه لا يريد أن يكون عضوا من اعضائها ،لأنه غير مستعد للتخلي عن مصلحته القوميه ، وان كانت هذه التجارب تختلف بين شعب وشعب ، وليس لها قوانين واحده .. واذا كان لا بد من الاحزاب والانخراط فيها فيجب أن تكون احزابا وطنية تخدم الأمة والوطن .

اذا كان رأى سهيل ادريس في الحب واضحا ،وكذلك في السياسة ، فلن يكون رأيه في الصداقه أقلّ وضوحا ، بل كان أكثر وضوحا .. فالصداقه برأيه ، وبالحاح،لا تعني تبعية منه لأحد ، ولا تعني وساطة انتفاع لفئة هنا مأمورة لفئة هناك (٤) من هذا المنطلق أطلق حكمه على الشرق والغرب ،وأظهر حياديه واضحة ، فتناول الشرق والغرب .

اذا كان مأخذه الرئيسي على الثقافه الشيوعيه أنها لاتتمتع بحرية الفكر ، فهو لا يمتدح الغرب بل يرى ان الثقافه الغربيه قد تحرم ايضا من حرية الفكر ، وتتجه اتجاها يمينيا رجعيا . ومن هنا كان موقف مجلته " الفكر الحر " موقف رفض انحياز الى الثقافة الغربية أو الثقافة الشيوعيه ، حيث أخذت تعامل مختلف الثقافات الأجنبية على قدم المساواة ، لا تنحاز لاحدها ،ولا تعادى

---

١ - أصابعنا التي تحترق ، ص : ٤٦

٢ - وقد بنى الشيوعيون رأيهم هذا على روايته " الحي اللاتيني " . أصابعنا التي تحترق ص ٤٦

٣ - المصدر نفسه ،ص : ٤٧

٤ - = = ،ص : ٤٩

احداها لمصلحة أخرى ، واذا كانت "المجلة" تكشف عن كبت الحريات في الديمقراطيات الاشتراكيه فهي تفضح كذلك انقيادية الأدب العربي في بعض مظاهره للاتجاهات الفاشستيه والمكارثيـــه ، وعلى هذا كان موقفها مرتبطا بصالح الفكر العربي الذى يريد أن يختط طريقا مستقلا يؤمن بحريـة الفكر اطلاقا ، بمعزل عن أى تأثيـــر (١)

ولم ينس سهيل ادريس التعبير عن رأيه في البلاد العربيه من رجعيه وتقدميه ، وخصوصا في العراق ، نتيجة تكرار منع مجلته من الوصول الى قرائها العراقيين ، وهم الذين يؤلفون السوق الرئيسية الاولى لرواجها ، وعملية المنع هذه كانت قائمه على أساس أن المجله تتناول القضايا الوطنية ، وحكام العراق آنذاك يمنعون الاقلام من أن تعيش حريتها ، حفاظا منهم على كراسيهم التي تنهض قوائمها على الاستغلال والجشع .. وأنّى لهؤلاء الحكام أن يحسّوا نعمة الحرية وكراسيهم مهدده بعبودية الخوف والانهيار (٢) الأمر الذى أدى الى انقلاب عسكري (٣) ، أطاح بالحكم الجائـر ، وأعاد البلاد الى الحظيرة الوطنيـــه .

من هذا المنطلق أيضا نحسّ بالصعوبات الماديه التي كانت تواجه دفع المجله الـى الامام ، لتصل الى قرائها ، وتتابع مسيرتها (٤) لتظل قادرة على أن تحمل رسالة الحرية ، وهذا ما يؤكد لنا حقيقة الحياة السياسية التي كانت عليها الأمة العربيه الموزعة بين دويلات رجعيـــه أو تقدميه ، وكلا النوعين كان يكمّ الأفواه ، لا يريدها أن ترتفع حتى تعم الأرجاء ، وتشد أفراد الشعب بعضهم الى بعض ، وتبني قاعدتهم على المحبه والاخاء والعدل والمساواة ، لذلك كانت المجلات والصحف الوطنيه أعجز من أن تتابع سيرها الحثيث .. ومن هنا وجد سهيل ادريس أن مجلته ستختفي من عالم قرائها اذا لم يتوفر لها الدعم المادى غير المشروط ، فعمل على انشاء " دار الآداب " لدعم المجلة من جهة ، وتتم رسالتها على صعيد أوسع وأعمق باصدار الآثـــار القوميه والفكريه والأدبية التي تنتجها الطليعه الواعيه من الأدباء المعاصرين (٥)

بالقاء نظرة سريعة على القضايا التي تناولتها هذه الروايه في قسمها الأول نجد أن سهيل ادريس قد أرّخ للقضايا العاطفيه من خلاله وخلال أصدقائه ، كما أرّخ للقضايا السياسيه التي تهم أمته العربيه ، ثم تناول الصعوبات التي واجهت مجلته ، وحاولت ان تعطل مسيرتهـا

ومن ناحية الحبكة القصصية ، من الناحية الفنية ، نجد هذا القسم لا يملك الحبكـة القصصية التي عودنا عليها في قصصه القصيرة ورواياته السابقه ، لأن هذه الروايه بالأصـــل لم توضع لتتناول قضية واحدة ، تحت سيطرة عقدة قصصيه واحـده يحركها بطل واحد ، انما البطل هنا ، هو عبارة عن راوٍ يقص علينا ما حصل معه ومع أصدقائه ومعارفه بعين اليقين ، وان كـــان يتحدث غالبا عن علاقاته الشخصية مع اولئك الزملاء والأصدقـــاء .

---

١ = أصابعنا التي تحترق ، ص : ١٥٧
٢ ـ المصدر نفسه ، ص : ١٠٣
٣ ـ تم الانقلاب العسكري في العراق في ١٤ تموز ١٩٥٨ على الحكم الملكي الجائر ، واستبدل نظام الحكم من ملكي الى جمهوري اشتراكي .
٤ ـ أصابعنا التي تحترق ، ص : (١٠٠ ـ ١٠٤)
٥ ـ المصدر نفسه ، ص : ١٨١

واذا اردنا أن نحدد حبكة القصة في هذه الرواية ، نعتبرها ذات حبكة مفككه ،تقوم على دعائم من حبكات فرعيه متضاربه ، كان القسم الأول من الروايه مسرحا لهذه الحبكات مجتمعه ، تسير في طرق مختلفه ، قد نستطيع الوصول الى حل كل هذه العقد في القسم الثاني .

ونستطيع القول ان في القسم الأول من الروايه بدايات قضايا مختلفه ، وكل قضيه ذات حبكه مستقله ، نجد أبعادها في القسم التالي الذى يعمل على حل العقد المترابطه ،والتي تؤلف بدورها العقدة الرئيسية للروايه .

القسم الثاني :

لم يساو سهيل ادريس في طريقة عرضه للأحداث في هذا القسم ، بل نراه يسترسل به ، على شكل مذكرات تسجلها بطلة الروايه " الهام راضي " التي استطاعت أن تكون حبيبته ، فخطيبته المدلّله ، فسكرتيرة أعماله الأدبية وتشرف على جميع مراسلات المجلة ، وخصوصا المتعلقه به شخصيا ،مع أنها تعرف عنه كل شيء ، حيث حدثها بالمواقف التي استهلته كثيرا أو قليلا عبر مسيرة حياته ، منذ طفولته حتى الفترة التي تسبق اعلان الخطوبه .. ولم ينسَ أن يروى لها نشأته الدينيه في عهد حداثته (١) ولكنها مع كل ما حدّثها عنه ، فهي تشعر بالغيره ،وتود لو تستطيع أن تتحقق من جميع أقواله . فهي لاتشك بأقواله ، ولا تؤمن بها كل الايمان... فغريزتها كأنثى تظل في نفسها حلقة مفقوده تجاه من تحبه ، تريد أن تجد هذه الحلقه ، لذلك كانت الهام تتطلع على كل رساله وارده ، لعلها تجد الحلقة المفقوده التي تحس بها نحوه .

هنا لا بد من وقفة قصيرة ، نعود بها الى طفولة " سامي " وحياته في روايه "الخندق الغميق" فنرى أن " سامي " في كلتا الروايتين شخصيه واحده ،واذا حاولنا أن نربط بين هذا "السامي" وذاك في "الخندق الغميق" ،والثالث الذى مثل دوره في الحي اللاتيني بباريس ،نجد ان الثلاثة هم شخص واحد ،ولكن هذا الشخص الواحد عاش حياته في مراحل ثلاث، كانت المرحلة الأولى في "الخندق الغميق" وان كانت هذه الروايه هي الثانيه ـ حسب ترتيب النشر والطباعه ـ سبقتها رواية "الحي اللاتيني" التي كتبها بعد عودته من فرنسا .

لنا وقفه ثانيه تأمليه هنا ، لنطرح هذا السؤال :

ـ لماذا كتب سهيل ادريس روايته : "الحي اللاتيني" قبل "الخندق الغميق" التي تتناول طفولته ، والتي هي الركن الرئيسي في حياة بطل كل روايه ؟

الجواب على هذا السؤال يقودنا الى اعتقادين أو اكثر .. فالاعتقاد الأول هو أن كاتب الرواية حرّ التصرف في بداية روايته من النقطه التي يريدها ،وينطلق بعدها الى نهاية عمارته الروائيه ، لارتباط رواياته الثلاث في رواية واحدة هي الرواية الكبرى ذات الفصول الثلاثة .

١ـ أصابعنا التي تحترق ، ص : ١٤٦

والاعتقاد الثاني ،هو ان سهيل ادريس ، بعد عودته من فرنسا ، ومشاهدته للتناقضات التي عاشها زملاؤه ، واختبرها بنفسه ، وجدها طريقا أفضل وبدايه ناجحه لكتابة رواية ناجحه ، تتناول حياته في فرنسا ،الحياة التي يتوق اليها كل شاب شرقي ،فوجد في كتابة هذه الروايه ، كأول رواية تمهيدا ناجحا لكتابات رواياته المنتظره والتي - بالطبع - قد وضع خطوطها العريضه ،أو كان قد كتبها .

والملاحظة الأخيرة ،هي أن سهيل ادريس قصد من وراء تقديم هذه الروايه التمويه على أنها مجرد قصه ، ولم تكن ترتكز على دعائم ذاتيته .

٥ ٥ ٥

ان عمل "الهام راضي" كسكرتيرة للمجله (١) واطلاعها على مراسلات المجله ،جعلها تشعر بالغيره تجاه علاقاته الغراميه .. "بسميحه صادق" الأديبة التي أخذت تطارد خطيبها مطاردة تقلق مضجعها ، وتشعل ناراتهامها لخطيبها الذى حاول اكثر من مرة أن يثنيها عن شكها وحيرتها (٢)

ونرى في هذا القسم أيضا ان "الهام راضي" تخبره عن نشأتها الدينيه أيضا ، فهي قد ربيّت في كنف الراهبات (٣) الأمر الذى يؤكد لنا أن هناك أشياء مشتركه بين كلا المنبتين تقوم على أساس من الدين والتقاليد والعادات ،وهي الأمور التي هرب منها يوم كان في "الخندق الغميق" يمارس دوره ،ليعيش في فرنسا ، بلد الحريه ،التي لا تنقاد الى التقاليد والعادات الضيقه ،نراه يعود اليها في "الحي اللاتيني" فتعزق أواصر المحبة وركائز العهد بينه وبين "جانين مونترو"

من هنا نرى التناقض الذى عاش فيه بطل روايات سهيل ادريس ،أو بمعنى أدق نرى عودته الى المنطلق الذى رفضه وهرب منه .

ففي "الخندق الغميق" عرف الكثير من تقاليد الحياة الشرقية وعاداتها ضمن أسرته الدينيه ، ضاق وضاع ، فهرب الى "الحي اللاتيني" وهناك وجد ما كان ينقصه في الخندق الغميق ، ولكنه سرعان ما عاد الى ما ضاق وهرب منه ، فرفض "رفيقه شاكر" - المتحرره التي تشبه فتيات باريس الى حد ما بتحررها ، هذا النوع من الفتيات الذى عدّل الكثير من صفحات ماضيه واحتلها - واحتفظ "بالهام راضي" التي أعادته الى ما كان قد هرب منه ، ففضلها على غيرها من المتحررات . وقد نعزي هذا الأمر الى حياته المندفعه في فرنسا ، والتي تفرض على العاشق أن يتجاهل ماضي عشيقته ،لان صور الماضي تظل متشابهة .. اما في الشرق ، فالماضي له حساباته بعرف التقاليد والعادات التي عاد اليها .

---

١ - اصابعنا التي تحترق ، ص : ١٥٢

٢ - المصدر نفسه ،ص : ١٧٧ - ١٨١

٣ - = = ،ص : ١٤٢

هنا لا بدّ لنا من طرح سؤال ،وهو :

— هل تستطيع "الهام" أن تنسيه بقايا الماضي التي علقت بقلبه وذهنه دفعة واحد ؟ وهل تستطيع هي نفسها أن تنسى ماضيه ؟؟ الأمر أيسر وأهون لو انه لم يخلد هذا الماضي على الورق(١) ولكنه ككاتب ، وهذا قدره ، فهو قد اختارها شريكة لحياته ،لاعتقادة أنهـــا تدرك هذا القدر .. ولكن هو ، كيف يستطيع ان يوفّق بين فنّه وزواجه؟ انه مؤمن بضرورة ، التجدد في تجربة الفنان ،ليستلهم منها مادة انتاجه ، ولكنه يرفضه الا" يطعن الواجب والاخلاق ، أي أن لحرية الفتاة حدا ، هو مسؤوليتـــه (٢) .

في هذا القسم أيضا ، يحدد سهيل ادريس حقوق الفنان ، ويسلط الاضواء علـــى حياة الأديب في لبنان خاصه وان كانت هذه هي حياة جميع الادباء في العالم العربي فيقول : ان الأديب لا يستطيع أن يعيش من انتاجه الأدبي ،لذلك يجد نفسه مضطرا للعمل في ميادين اخرى، كالصحافه والتدريس ، أو حتى التجـاره ، ليستطيع ان يؤمن معاشه ،وبذلك يصبح الأدب على هامش حياته ،وفي هذه الحاله لا يمكنه الابداع أو الجودة ، ولعل ندرة الانتاج القيم في هذه الفترة من تاريخ الأدب العربي مردودة الى هذا السـبب (٣)

اذا كان سهيل ادريس قد تناول حقوق الفنان وحريته في لبنان ، فهو لم ينس أن يسلط الاضواء على ما للسلطة في العالم العربي من سلطان على الأدب والأدباء ، فيعترف بأن لبنان يتمتع بما لا يتمتع به أي بلد آخر من الأقطار العربيه المجاوره من حرية التفكير والتعبير . وهذه ميزة يعتز بها ويفتخر ، غير أن الموضوع يجب أن يواجه على نطاق واسع ، فهو لا يخشى على أن تضيّق السلطة في لبنان على حريته ، ولكنه يخشى أن تضيّق عليها في كثير من البلاد العربيه (٤).

من هنا نفهم دعوة سهيل ادريس الى الادباء للعمل على تحرير البلد من القيود التي تحرمه من ممارسة حرية الرأي والكتابه ، ودعوته الى تحرير البلاد من آفات الرجعية والاقطاع والتعصب والطائفية والتدجيل والاستغلال حتى نتمكن من ممارسة حريتنا في التفكير والتعبير من غير خوف أو ضغط . ولا نستطيع ان ننكر أن حامل الرسالة ،أية رسالة ، كحامل المشعل ، ينبغي له أبدا أن يرفع مشعله الى أعلى ، فاذا تهاون أو تراخى ، انقلب عليه المشعل فأحرقه . ومن هنـــا انطلق ايمانه في رسالة " مجلته" وأبى أن يتهاون في تأديتها أيا كانت قيمتها ،والا" حق للذين يسمعونه أن يظنوا أنه يخدعهـم (٥)

كيف استطاع سهيل ادريس ان يحرك شخوصه ، ويصل بهم الى مكان راحتهـــم المنشوده ؟؟ ان العقدة الرئيسيه والعقد الجانبيه تحتاج الى حل ، فكيف تصرّف وحـــل هذه العقـده ؟؟

---

١ — أصابعنا التي تحترق ،ص : ١٦١
٢ — المصدر نفسه ، ص : ١٦٦
٣ — = = ، ص : ٢٠٧ ز٢٠٨
٤ — = = ، ص : ٢٠٨
٥ — = = ، ص : ٢٢٣

ان العقدة الرئيسية هي التي تربط "سامي بالهام" ، جعلنا سهيل ادريس أن نرافقه في رحلة ذاتية لكلا الطرفين ، فعرّفنا الكثير عن حياتهما قبل الزواج وبعده ، الزواج الذى أتى صورة منطقية لحل العقدة الرئيسة ..

أما بالنسبه للعقد الجانبيه ، فقد حلّها بطريقة بعيدة عن الزواج ، " فريقه شاكر" التي التزمت " بعصام حلواني " الشاعر ، جعلها تطارد كل أديب وشاعر حتى استقر بها المطاف بين أحضان " عصام حلواني " كعشيقه ، وظلت تمارس مهنتها مع عشيقها بنوع من التحدى " لسامي" الذى رفضها ..

وسميحه صادق ، التي أخذت تطارد "سامي" فشلت في فرض حبها ، وخصوصا بعد زواج سامي ، ولكن المطارده في هذه المرة عن طريق المراسلة ، جعلت الهام ترد على رسائلها الأمر الذى جرح كبريائها ، فاتهمته بشتى الصفات المسيئة وحملت بعضها وعادت الى بلدها من جديد .

ووحيد ، الثري ، الذى قدّم المساعدة للمجلة ، أصبح نقيرا لانتمائه الى حزب الهلال ، اصبح يطلب مساعدة من "سامي" .. ثم نراه يذهب الى البرازيل ليجمع المال للحزب ، ولكنه يموت قبل أن يصل الى رئاسة الحزب ..

وكريم ، العضو في الحزب الشيوعي ، نراه ينسحب مرة ثم يعود مرة ثانيه ، ولكنه يهاجم الحزب بعد تدخل الشيوعيين في المجر ..

جميع هذه القضايا التي تناولها سهيل ادريس حافظ على بقائها دون نهاية حتميه ، بل جعلها كبدايات لقضايا أخرى اذا اراد لها ذلك ، وهذا الأمر يؤكد حقيقة الواقع الذى يحياه سهيل ادريس .

٥ ٥ ٥

لا نستطيع أن نتجاهل أن سهيل ادريس كان بارعا في تصويره ، وكاد أن يقف عند هذا الحد ، وكان من حق القارئ عليه ان يتعمق في كشف جذور القضايا التي بنى عليها روايته ، لأن اثارة القضيه تستوجب اضاءة الطريق الى حلّها ، ولكنه لم يفعل ، بل كان مصورا بارعا ووصافا رائعا ، ثم نراه يتوسع في تتبع مواقف وتجارب يضطرب فيها ابطال روايته ، بعيده الصلة بالقضيه المباشره ، وعلى سبيل المثال ، قصة عبلة سلطان وشذوذها ورغبتها في مساحقة الهام(١) فعلى أي اساس ، وما هي الصلة التي تربط هذه القصه في تسلسل أحداث الروايه ؟؟ لعل ارتباط سهيل ادريس بالواقعية هي التي أملت عليه فيما استطرد اليه ، ولكنه في حرصه على نقل لوحته هذه نسي ما يوحيه الفن من عملية الاصطفاء ، ومن ضرورة الاستغناء عن كل ما لا يستلزمه المنطق الداخلي في سير الصنيع الفني ، وهذا ما يؤكده رتشاردز في قوله :

ـ والحقيقه التي لا تخفى على قارئ هذه الروايه ، أن سهيل ادريس قد صور خلال هذه الروايه حقبة من حياته ، وحياة نخبة من أصحابه ، بين أول ظهور مجلة الآداب ومشارف سنة ١٩٥٧ م

---

١ ـ أصابعنا التي تحترق ، ص : ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٧ .

والأبطال الذين ترك كلا منهم يحيا حياته المنضبطه حينا ، والسائبه حينا آخـــر ، من عصام ،الى وحيد ،وكريم وهاني ، وعزيز ، ورفيقه شاكر وسميحه صادق ،وعبله سلطان ، تشف ملامحهم عن هوياتهم الحقيقيه ، وأشهد أني رأيت كثيرا من ملامح نفسي في كريم الهادئ وان كان سهيل ادريس قد تصرف في بعض ما تصرف ،حسّنني أو شوّهني ،؟ فهو لا يدري! (١)

٥ ٥ ٥

تقويم عام للروايات الثلاثـــه :

بالعودة الى روايات سهيل ادريس الثلاث ،نجد انه يتابع في طريقه خطاً واحداً من ناحية الفكرة العامة فهو تعّود على أن يخلق عنصرين متضادين في كل رواية ويجعل الصراع قائما بين هذين العنصرين ، ولا بدّ من تناقض رئيسي يدور حوله أبطال رواياته ، وهذا هو الاسلوب القادر على التعبير عن وجهات النظر المختلفه التي يتطرق اليها عبر أبطال رواياته ، دون تقيد بوجهة نظر معينـــة .

في رواية "الخندق الغميق" نرى سهيل ادريس يقيم الصراع على أشده بين سامي ووالده ، بين التجديد الذى لا يقّره جيل الآباء ،وبين التقاليد والعادات التي تتحكم بنفوس هؤلاء الآباء . وكانت الرواية بكاملها تدور حول الصراع بين الجديد الذى يمثله "الابن" والقديم الذى يمثلـــه " الأب " ولكن ، الى أى مدى انتصر الجديـــد ؟؟

في رواية "الحي اللاتيني " التي نقلت الكاتب من قديم الى جديد في كل شيء ، نجد النماذج البشرية تشابه الى حد ما النموذج البشرى الذى شاهدناه في "الخندق الغميق" ولكن هذه النماذج الجديدة طرأ عليها بعض التعديل ، ارتباطا بخروجها الى عالم أوسع.. الى عالم الحي اللاتيني ..

اذا كان" سامي في"الخندق الغميق " يواجه والده ،نرى في الواجهة الثانيه المقابله : جانين مونترو ، وأم سامي .. وهنا نرى التقاليد التي كانت ممثلة في شخص الوالد في الخنـــدق الغميق ، نراها هنا ــ في الحي اللاتيني ــ ممثلة في "الوالده" حيث تتولى القيادة من جديـــد بعد غياب الوالد من على مسرح الحياة .. وهنا يقع الصراع من جديد بين سامي وحبيبته من جهـــه ، وبين امه من جهة ثانيه ، ويكون الصراع في هذه المرحله صراعا نفسيا ودينيا ، فيهدم من طريقه حواجز التجديد ، فيخضع لارادة والدته ، وينسلخ من حياة جانين ، رغم محاولته العودة الى حياته التي مارسها في فرنسا ،ولكنه فشل ،ولم تستجب جانين للعودة بعد أن خذلها وحكم عليهـــا بالتشرد والحرمان وفي أصابعنا التي تحترق هذه ،نجد الصراع يرفع رأسه من جديد بين الجيليـــن ذاتهما : جيل قديم بقيمه وتعاليمه ، وجيل جديد لا يبعد كثيرا عن الجيل الذى صادفه هناك في بلد دراسته . ونرى اكثر من تناقض واحد في هذه الروايـــه :

---

١ ــ رئيف خوري ،الآداب ع ١١ سنة ١٩٦٢

تناقض دار حول الحب . وقفت في واجهتيه : " الهام راضي " من جهة ورفيقة شاكر من جهة ثانيه .. وبيد سامي دفة الجيلين ، بعد أن عايشهما فترات طويلة من عمره ، ولكنه يترك دفة الجيل الجديد ، ليتمسك بدفة الجيل القديم ، حيث يعتبر " رفيقة شاكر " المتحررة مجرد ذكرى ، وارضا صالحه لمسرح العطاء دون الأخذ الذى يقيد صاحبه ، "والهام راضي " شخصيه ثانيه قادرة على الأخذ بقدر لاعطاء فيه بالشكل الذى يفرضه التحرر ، فتكون الغلبة لهذا الوجه من الحياة ، وتكون العودة الى أصول "سامي "الدينية ، حيث نرى رواسب التقاليد التي شربها مع لبن أمه لايفتأ أن يشده اليهـــا .

وكما رأينا تناقضا في الحب ، نجد تناقضا في السياسة ، حيث كانت القومية العربية تقف في جهة مقابل الاستعمار كله في جهه معاكسة ، ونجد سوء فهمنا للقضايا التي كانت تـــدور حول العالم والممثلة بالأحزاب السياسيه والعقائدية ، كما رأينا تناقضا وتضادا بين الأديب والحكومـــــة .

اذن ، فالقضيه عند سهيل ادريس قضية تناقض وتضاد ، أوجدها ليكون حرا فـــي منطلقاته الى الأبعاد التي يريدها ، ويكون موقفه موقف القوة والاندفاع امام جميع التكتلات التـــي قد تعارضه .. ولكن ، هذا لا يعني أن هذه الروايات ليست وليدة معاناة حقيقيه لموضوعاتهـا ، ومعالمها العامه ما يناقض وصفها " بالتسجيليه" (١) أو انها ليست وليدة معاناة حقيقيـه لموضوعاتها ومعالمها العامه أو ليست ذاتيه ، لأن التجربة الذاتية هي المداد العام الذى يغمس فيه كل كاتب قلمه ، وبعد ذلك يتوقف على قدرته في اخراج نفسه من العمل الفني ، ومنح الخصوصية سمة العموم ، والشخصية ملامح الغيرية ، وخلع الموضوعية بمبرراتها القومية على ما هو ذاتي في الأصل ولا شك ان الكاتب القوي المبدع هو الذى يخلق من مشاعره ، عالما خارجيا متميزا بنفسه عن تلـــك المشاعر . والتجربة الشخصية كالمادة الأولية التي يشكل منها الفنان مخلوقاً جديداً ، والفنان هـــو الذى يعدّل من هذه التجربة تعديلا جوهريا في بعض أجزائها على الاقل . والفنان لا يرضـــخ لأهوائه وأحلامه ، ولا يبقي دائما على المشاعر كمشاعر ، فكثيرا ما أحالها الى موضوعات فكرية مـــع بقائها في الوقت نفسه في منطقة الشعور ، وعلى هذا النحو أيضا الأشياء التي تتناول عادة مـــن خلال الأفكار يحيلها الشاعر الى انفعالات ومشاعر دون أن تفقد من صفتها الفكرية الدقيقه (٢)

---

١ - نريد بالتسجيليه تلك التي تتخذ من رصد الظواهر والظاهر في جانبهما الحسي مجالا لها ، ولا يعني ذلك بالضرورة انها تتجاهل الجوانب النفسيه ولكنها تعطيها مرتبه ثانيه أو ثالثه ، واذا اتجهت اليها فانها تجعل السبيل الى ادراكها هو الحركه الحسيه والمظهر الخارجي وقد تشارك الفوتوغرافيه في انها تنقل عن الحياة نقلا مباشرا ، ولكنها تتعداه الى محاولـة جعله علامه على وجهة نظر خاصه ، وهذا بدوره يقتضي وجود عنصر الاختيار في النقـل عن الحياة والنظر من خلال زاويه رؤيه مؤيده أو تعين على تقرير وجهة النظر هذه ، ومعنى استقطاب الجزء المؤيد وابرازه ، واستبعاد الجزء الذى لا يعين على ذلك ، وقد يكون هو الجزء الأكبر والأهم في الحياة ذاتها .
لمزيد من الاطلاع ، راجع (الواقعيه في الروايه العربيه ، لمحمد حسن عبد الله ، ص (٢٩٠ - ٢٩٦) وبناء الروايه لأدوين موير ص ٨٧ - ١١١

٢ - ناصيف ، مصطفى ، مشكلة المعنى في النقد الحديث ، ص : ٥٦ وما بعدها . مكتبة الشباب بالمنيره - مصـــر .

فالشخصيه الواحدة في عالم روايات سهيل ادريس الثلاث لا تسير وفق أهوائها ، بل تتبع واحدا أو اكثر من محتملات التصرف الموجودة في بنائها منذ البداية . و "سامي" هو الذى يمثل هذه الشخصية ، وهي المسيطرة على الروايات الثلاث ؛ حيث تبدو جميع الشخصيات الاخرى بعدها ثانويـــة .

الاتجاه الواقعي التحليلي (١) هو الاتجاه الغالب على سهيل ادريس نتيجة تأثره المباشـــر ببعض كتاب الواقعية الاوروبية ، ومن ايثار التعقيد الروائي الجاهز ،وهو ما أدى الى ارتباط التحليل برواية الشخصية ، فجاءت رواياته في عمومها أشبه بتاريخ لشخصيته ، ولكن مفهوم التحليل في الفترة التي نتحدث عنها قد اتسع كثيرا ، وكان لا بدّ أن يتسع ، فلم يعد همه البحث عن النموذج الشاذ ومحاولة الكشف عن كوامن عقده ، أو تحليل سلوكه أو تتبع انهياره اذا أصبح الأسوياء أنفسهم يصلحون كظواهر تستحق التسجيل والتحليل . واذا وجد شذوذ في شخصيه ما فانه لم يرد من الكاتب الى أسباب خاصه عانا ها البطل في طفولته وصباه مثلا ، وانما صار المجتمع قسيما للظروف الشخصية والخاصة ، بل لعل تأثيره أقوى وأطول استمرارا ومن هنا كانت انعكاسات الاوضاع الاجتماعيه وتأثيرها في تكوين شخصية سامي ، ومحاولاتها للتأثير في المجتمع عن طريـــق التمرد عليـــــه .

أول ما يثار حول روايات سهيل ادريس انها ذات صلة واضحة بحياته وتجاربه الذاتيه حتى ليمكن اعتبارها ترجمة عن حياته ــ وقد فعلنا ذلك في الباب الأول ــ وسهيل ادريس لا يستطيـــع ان يتجاهل أو ينكر هذه الحقيقة وان كنا لا نستطيع أن نسمي أي عمل فني ترجمة ذاتية الا اذا كان مكتوبا على شكل مذكرات وبأسلوب السرد المباشـــر .

ونعتبر هذه الروايات من أنجح المحاولات التي استغلت الترجمة الذاتية لتقدم لنا رواية فنية حققت قدرا كبيرا من النجاح . فهو قد اختار تجربة حياته الخاصة ميدانا لرواياته ، ولـــم يستطع حتى في قصصه القصيره الخمسين أن يتعدى نطاق الأحداث التي وقعت له شخصيا ..

---

١ ــ يمكن تعليل هذه النزعة الجديدة في التحليل بازدياد الوعي الاجتماعي عند الكتّاب حيث لم يعد الاديب ينظر الى الناس على انهم أفراد أو انهم يمثلون ظواهر مشتته ،وانمـــا صار ينظر اليهم على انهم أفراد في جماعة ، وان العطاء متبادل بين الفرد والجماعه ،وكما يمكن أن يكون (ضحية) لهذه الجماعه ، وهو في تخليه عن معناه الفردى يجنح ايضا الى تمثيل طبقه أو فئة من طبقات الجماعـــــه .

وتقتصد التحليليه في المواقف ،وتهتم برصد الدوافع ، وتصوير الحركه النفســـيه ، وهنا تقل اهمية الوصف ولا يطول الحوار بين الشخصيات ،لان الكاتب ــ بعد الحـوار المكثف ــ يجد أن شخصياته في حاجة الى أن تخلو بنفسها لتدير الحوار من جديـــد وعلى نحو آخـــر .

راجع الواقعيه في الروايه العربيه ، لمحمد حسن عبد الله ، ص ٣٧٥ و ٣٧٦ ط ١ مطابع سجل العرب القاهره سنه ١٩٧١

ففي رواية "الخندق الغميق" يتحدث عن طفولته ،ومراحل دراسته الدينيه وغيرالدينيه قبل أن يسافر الى فرنســـــا .

وفي الحي اللاتيني ، يتحدث عن حياته في فرنسا ، وكانت متناقضة مع حياته فـــــي الشـــرق ..

و في "أصابعنا التي تحترق" يتحدث عن حياته بعد عودته من فرنسا ، حيث عاد مثقـلا بزاد الحضارة الاوروبية وفنها وأدبها وتقاليدها .

لا نحتاج الى محاولات كثيرة لاثبات هذه الحقيقه التي نطلقها ، لأن الكثير من الظروف التي عاشها وعايشها " سامي " في الروايات الثلاث تنطبق على ظروف سهيل ادريس نفسه .

ونستطيع أن نصدر حكمنا ـ بتحفظ ـ على أن سهيل ادريس كان عاجزا في انتاجه الروائي عن تجاوز اطار تجربته الذاتيه ، والامتداد باحساسه الى حياة الآخرين وتجاربهم ـ وان حاول ذلك في روايته الأخيره ـ ولكنه مع ذلك استغل التجربة الذاتية لتقديم بناء كامل متماسك تعرضنا له من خلال تحليلنا لرواياته الثلاث وقصصه القصيره ، فصفة الذاتية هي الغالبه على عطائـه القصصي والروائي ، وقد نطلق عليه صفة الغيريه بتحفظ أيضا ،لأن من حق الأديب على نفسـه " ان يمتزج بمجتمعه حتى يكون جزءا لا يتجزأ منه ، وحتى يعبر عن كل خواطره الجماعية ،وكل ما يموج به من افكـار وأحاســـيس " (١)

---

١ ـ ضيف ، شوقي . البحث الأدبي ـ مصر ،دار المعارف بمصر ، ط ١ ص ١٣

المبحث الرابع

سهيل ادريس في مرايا النقاد

النقد[١] عملية تحليل وتقويم ، وكشف عما في الأثر الأدبي من قيم فنية ، سواء كان هذا الأثر من فنون الشعر أو من فنون النثر .

والقصة والرواية العربية ، عملان أدبيان هما من فنون النثر الحديثة ، وان كان لهما أصل في التاريخ[٢] ، ويؤلفان مقومات العمارة القصصية والروائية لسهيل ادريس . فهما من أهم فنون النثر لاعتنائهما بالتحليل النفسي للأشخاص ، وتناولهما جميع القضايا التي يمكن أن نقدمها من خلالهما .

اذا نظرنا الى القصة او الى الرواية من زاوية النقد ، نجد انهما لم تنالا عناية النقاد بالقدر الذى منحوه للشعر وقضاياه ، التي أقامت جدلا أدبيا واسعا ، كان له الفضل الأكبر في توجيه الشعراء نحو الأفضل ، في حين ظلت القصة والرواية بعيدتين عن مجال النقد ، لأن هذا الفن القصصي والروائي الجديد أتى متأخرا ، ولم تطرح قضاياه بدايات مثيرة .

من هذا المنطلق ، حاولنا - بقدر الامكان - التعرف على الأقوال التي قيلت حول أعمال سهيل ادريس الروائية ، التي تعتبر من الأعمال الجادة ، التي تجمع بين الفائدة القصصية ، والروعة البيانية ، وكانت قاعدة ضخمة ، دفعت الى نشوب معركة آراء مختلفة حولها ، وخصوصا أن ناقد العمل القصصي والروائي يالب من القصة كما يقول محمد يوسف نجم - " أن تكون زاخرة بالحياة ، وذلك بأن تقدم له صورة موحية منها تتسم بميسم الخلود والاستمرار مهما تنوعت المشارب ، واختلفت الأذواق ، وتباينت الميول والأهواء ، والمفاهيم الأدبية "[٣] .

لذلك ، كانت آراء النقاد مختلفة ، نحلل بعضها ، لنشير الى قضايا تاهت ، لاتخرج عن نطاق الشكل ، والمضمون ، والجديد فيها ، ونحصر ذلك في رواياته الثلاث ، التي هي - من وجهة نظرى - رواية واحدة ذات فصول ثلاثة ، لأن كل رواية تسلم دورها للرواية التي تليها ، رغم نشر رواية " الحي اللاتيني " قبل نشر رواية " الخندق الغميق " التي تمثل طفولة سهيل ادريس ، بينما الرواية الأولى تمثل مرحلة شبابه ودراسته في فرنسا ، اما الرواية الثالثة " أصابعنا التي تحترق " فتمثل حياته بعد عودته من فرنسا ، بعد أن طبق

---

(١) كلمة النقد في اللغة ، معناها في الاصل تمييز الدراهم ، واخراج الزائف منها ، وهو يستلزم الخبرة والفكر والحكم ، وهو انسب المعاني التي أخذ منها معنى النقد الأدبي عند العرب . راجع المعجمات ، وكتب النقد الأدبي .

(٢) راجع الباب الثاني من هذه الدراسة .

(٣) نجم ، محمد يوسف . فن القصة ط ٥ ص: ٥٥ دار الثقافة بيروت سنة ١٩٦٦م .

نظريات جديدة تختلف كلية عن نظريات الشرق بمفاهيمها التقليدية •

"الحي اللاتيني" / ١٩٥٣

١ ـ "ان "الحي اللاتيني" عمل فخم ، يدفع بالقصة العربية خطوات الى الأمام بل هي أروع بناء في الرواية العربية المعاصرة ، وليس يسعني ازاءها الا أن أكبر مافيهـا ، وأغبط مؤلفها عليها ، وأسأله أن يخرج بغيرها عما قريب[1] •

احمد كمال زكي ـ القاهرة •

٢ ـ في "الحي اللاتيني" استطاع سهيل ادريس أن يجعل النفس الانسانية مسرحا لصراع بين بيروت وباريس ، بين الشرق والغرب ، الشرق بأديانه وأخلاقه وتقاليده وجموده ورغبته في التحرر ، والغرب بتقدمه وثقافته ، ونزعته الاستعمارية أيضا[2] •

يوسف الشاروني ـ القاهـــــرة •

٣ ـ "لقد أثرنا الوقوف عند جانب في الرواية يعتقد أنه جوهرها ومحورها ، وبهذا فاننا ان نذكر جوانب اخرى ، بعضها يتصل ببراعة الأداء والفن القصصي ، وبعضها يتصل بالقدرة على تحليل الاحاسيس النفسية الدقيقة ، والمؤلف في هذا كله موفق ، غير أن توفيقه لم ييسر له الا لأنه قبض على مشكلة حية ، ووصف شيئا عاناه ، فكان هذا الشيء الذي عاناه رائـــد أسلوبه وفنه ، وصائغ عباراته واشاراته"[3] •

عبدالله عبد الدائم (أستاذ التربية وعلم النفس
في الجامعة السورية ـ دمشـق)

٤ ـ قصة "الحي اللاتيني" تمثل الحركة الجريئة في أدبنا ، فهي من جانب تضعنا أمام قضيتنا الكبرى في وسط عالمي ، نستطيع أن نتتبع من خلاله حقيقة واقعنـــا الداخلي عقدنا ، وأمراضنا ، ومانحن في حاجة اليه لننتصر على عقبات الطريق التي نسير فيها الى غاياتنا وأهدافنا المختلفة اذ تعرض احتكاك الفرد العربي الخالص بواقع العوالم الأخرى ، وتعطينا الذبذبات المختلفة التي تطرأ على هذا الفرد ازاء ما يلقاه في الحيـــاة الجديدة التي تواجهه بعد أن فتح عالمه المغلق وخرج منه ليتبين حقيقته التي تبدو بوضـح في هذه البيئة الانسانية الكبيرة التي أسميناها بالوسط العالمي •

والى جانب ذلك ، نجد سهيل ادريس فنانا قد درس أصول فنه في قراءة واعيـة ، وتأثر تأثرا واضحا بالاتجاه الوجودي ، وبخاصة عند زعيمه المعاصر "سارتر" وتأثر المؤلـف "بتكتيك "القصة عند سارتر يتضح من خلال الفصول المختلفة "للحي اللاتيني" ونستطيـع

---

(١) راجع الآداب ، ع ٤ ص ٧٦ و ٧٧ سنة ١٩٥٤م
(٢) المصدر نفسه ص ٥٧ و ٦٢ •
(٣) راجع الآداب ، ع ٥ ص ٣٥ ـ ٣٥ سنة ١٩٥٤م

أن نركز هذا الأثر في ظاهرتين ، أولاهما : "أسلوب القصة "فالبطل هو الذى يرويها على لسانه مع تداخل في شخصيته كغائب ، ومتكلم ، ومخاطب . أما الثانية . فهي عدم التزام التسلسل الزمني والمكاني في سرد الأحداث ونمو الشخصيات خلالها ، فهو يحطيك "الموقف " أحيانا ، ثم يعود الى ما سبقه من مواقف ، ثم يعود ثالثة الى استكمال أحداث الموقف الأول "(١)

رجاء النقاش - القاهرة

٥ - "بعد قراءتي "الحي اللاتيني " يخالجني أن الرواية العربية ستنهض - ان شاء الله - نهضة قوية على يدك وأيدى الموهوبين والمتحمسين مثلك أدبا " الجيل الطالع "(٢)

ميخائيل نعيمة - بسكنتا

٦ - " أعجبني في رواية "الحي اللاتيني " أنها رواية ، أنها محاولة لنزع فتي مايزال طفلا في العربية ، الأقصوصة سطا عليها الجميع ، حتى الأطفال ، أما الرواية ، فانها شوط انقطعت دونه الأنفاس الكثيرة ، ولقد سجلت أنت اسمك الآن في قبضة الرواد الذين يشقون الطريق ، وهم بضعة نفر "(٣) .

شاكر مصطفى - دمشق

٧ - " لسنا ندرى كيف يقابل الرأى العام العربي الصور الجزئية التي يتضمنها "الحي اللاتيني " ولكننا نقول بصراحة : ان هذا هو ما أراده أدباء العربية منذ خمسين عاما في محاولاتهم كتابة القصة والرواية ، فأخطأوه وأدركه مؤلف هذه الرواية "(٤).

عبدالله المشنوق - بيروت

٨ - "ان رواية "الحي اللاتيني "تبشّر بميلاد روائي جديد الى جانب روائي الطليعة ، أمثال ، توفيق الحكيم ، ونجيب محفوظ ، وعادل كامل ، وشخصية بطل الرواية تمثل الطالب الشرقي ، أقصد الطالب العربي تمثيلا صحيحا ، ولعلي اذا قلت انها تمثل الانسان العربي تمثيلا صادقا لم أعد جانب الحقيقة "(٥)

محمد روزنامجي - بغداد

---

(١) راجع الآداب ، ع ٦ / ١٩٥٤ ص ٤٦

(٢) من رسالة خاصة موجهة للمؤلف - راجع غلاف الرواية الأخير .

(٣) من رسالة خاصة موجهة للمؤلف - راجع غلاف الرواية الأخير .

(٤) جريدة ربيروت المساء - راجع لغلاف الاخير للرواية

(٥) جريدة العمل راجع الغلاف الاخير للرواية .

٢ ـ "الخندق الغميق" / ١٩٥٨ :

قالوا عنها :

١ـ " وليس الدكتور سهيل ادريس، أول من حاول في الأدب العربي الحديث مثل هذه المحاولة التي يصور فيها انتقالا اجتماعيا من خلال تجربته الخاصة أو تجربة أسرة اتخذها له نموذجا انه بعيد فيها عن التدخل على أى أثر من الآثار الأدبية التي أتيح لك أن تعرفها ، شرقية كانت أو غربية ، وهو أبعد ما يكون فيها عن التدخل على الحياة وهذا أهم "(١)

رئيف خوري ـ لبنان

٢ ـ "انه لموضوع الساعة ، بل موضوع كل ساعة ، ذلك الذى اخترته لروايتك ، وأعني الصراع المستمر بين جيل يشق طريقه ، وجيل يسد الطريق ، وانه ليسرني يا أخي أن أشهد بأنك أحسنت عرض جانب بالغ الأهمية من ذلك الصراع في حياة لبنان وغيره من الأقطار العربية ، وانك في "الخندق الغميق" قد خطوت خطوة واسعة ، وجريئة الى الأمام ، ورجائي أن تتبع هذه الخطوات خطوات أوسع وأجرأ "(٢)

ميخائيل نعيمة ـ لبنان

٣ ـ " ان سبب ضعف الرواية اعمال المؤلف لأمرين من أهم الأمور التي تلزم الاحاطة بها لكل من يحاول أن يتعرض لتسجيل التطور الاجتماعي بين جيلين ، الأمر الأول : تسجيل الأفكار التي تقوم عليها اعتقادات كل من الجيلين لكي يتضح الفرق بين طبيعة الايمانين ، وتتضح معه العوامل التي تصوغ هذا التطور ، والأمر الثاني ان الكاتب قد هدف اعطاء المعلومات الكثيرة عن فترة أربع سنوات في سن حرجة فاضطره ذلك الى منهج الشكل التقريري في كثير من الأماكن (.....) ونقصان العنصر الأول أفقدها عمق التصوير وصحته ، وشحوب اللون المأساتي فيها .. أما العنصر الثاني ، فقد هبط بالمستوى الفني الذى كنا نرجوه من صاحب "الحي اللاتيني" على أن في الرواية عنصرين ناجحين تماما ، الأول ، هو : الحوار ، وبالأخص لغته : والثاني ، تصوير شخصية الأم بحنانها وضعفها ورعايتها للجميع .

ويظهر أن الدكتور سهيل ادريس يكتب عن نفسه في هذه الرواية ، كما فعل في "الحي اللاتيني" لكنه لم يقدم هنا تجربته بالعمق الذى قدم لنا روايته السابقة (٣)

محي الدين صبحي ـ دمشق

---

(١) راجع الآداب ، ع، ١٢/١٩٥٨ ص ٦ وراجع "الأدب المسؤول" ط ١ دار الآداب ص ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٧ .

(٢) راجع الاداب ، ع ، ٢/١٩٥٩ ص ١٢

(٣) راجع الآداب ، ع ، ٢/١٩٥٩ ص ١٣ و ١٧

٤ ـ " وليس من شك أن الدكتور سهيل ادريس ، قدم لنا عرضا فنيا دقيقا لعملية " المخاض " الاجتماعية التي عاناها أبناء جيله ، وقد استغل تجربته الذاتية استغلالا موضوعيا ، بمعنى أنه كان يرى الأحداث النابعة من دائرته الخاصة بعدسة موضوعية ومن ثم رأينا شخوصه جميعا من خلال ذواتهم الحقيقية ، لا من وراء نظارته الشخصية وربما جاء التركيز الدقيق في عرض التجربة ، نتيجة طبيعية لابراز المحتوى الانساني للقصة ، دون اللجوء الى هوامش الحدث الروائي "(١)

غالي شاكر

٥ ـ " أما من ناحية البناء " ، فان الرواية تتمتع بحبكة فنية كثيفة ، يبرز فيها عنصر الحكاية ، وذلك دون أن تفقد أي عنصر من عناصر التحليل النفسي ، وانما هي على العكس ، رواية تحليلية الاتجاه . ان الجمع بين كثرة الأحداث والتحليل النفسي ، هو بلا ريب ، نقطة قوة في الرواية ، لأن ذلك يجعلها أقرب الى أصالة الحياة وعفوية البساطة وانما تتساقط اللمسات النفسية عبر الأحداث نفسها ولقد لجأ المؤلف الى أساليب خفية في اظهار اللفتات السايكولوجية عبر روايته ، فاستعمل الاثارة والتلميح والمقارنة الصامتة بمجرد وضع الأشياء متجاورة ، وذلك هو أعلى أساليب التحليل النفسي "(٢)

نازك الملائكة ـ

٦ ـ " ناحية علاقة الفتى بالله ، لا بالمعهد ، التي أغفلتها الرواية ، هي حلقة أساسية من حلقات الصراع التي تتعلق بانسان كان يعد نفسه ليكون رجل دين . أما لماذا لم تبرز بالشكل المفروض في خط الصراع ، فسؤال كان يجب أن يجد جوابه في دراسة "نازك الملائكة" التي مالت الى اعتبار المرحلة الرابعة (٣) ، مرحلة تمرد فكري مدروس ، ولا شك أن الشمول الذى ترجي به تسمية المرحلة ، كان يقتضي عدم التغاضي عن هذه الثغرة .."(٤) .

سميرة عزام

---

(١) راجع الآداب ، ع ، ١٠/١٩٥٩ ص ٣٠ و ٣٣ و ٣٤

(٢) راجع الآداب ، ع ، ٣/١٩٦٠ ص ١٠ و ١١ و ١٢ تنصح بقراءة هذا التحليل القيم الذى تناول الرواية من جميع نواحيها الفنية ، سواء كانت من الناحية الشكل أو المضمون .

(٤) المراحل الأربعة هي : مرحلة الانقياد الكامل لآراء أبيه ـ مرحلة التأمل غير الواعي ـ مرحلة التمرد غير المدروس ـ ومرحلة التمرد الفكرى المدروس الذى ينبع عن تصميم وارادة وادراك واع وتتمثل في خلع سامي للجبة والعمة) راجع الآداب ع/ ٣/ ١٩٦٠ ص ١٠ و ١١ و ١٢) .

راجع الآداب ع / ٣ / ١٩٦٠

(٥) راجع الآداب ، ع ٤/ ١٩٦٠ ص ١٥ و ١٦ .

٣ - " أصابعنا التي تحترق " ١٩٦٢

قالوا عنهـــا :

١ - "أصابعنا التي تحترق " مؤلفها يسميها رواية ، وهكذا يسلمها الغلاف بأحرف أرجوانية .. ومن هنا يمكن القول بأن باب الخصومة فتح : أهي رواية حقا ؟

الذين يعتبرون الرواية قصة بحوادث تنعقد انعقادا ، ينكرون على هذه الأصابع المحترقة أنها تفي بشروط الرواية ، ولكن المؤلف يذهب الى ان هذا المفهوم للروايـــة موغل في الكلاسيكية ، فللرواية أن تكون قطعة حياة يعمد كاتبها الى تصويرها ، وسواء انعقدت حوادثها انعقادا ، أو تتابعت فيما يبدو أنه تخلخل أو تقطع "(١) .

رئيف خوري

٢ - " ان أصابعنا التي تحترق " كرواية ، يجب أن تقبل بحذر ، بل يجب أن تصدر بتقرير واضح على طبيعتها قبل أن تناقش على مستوى فني موجه ، فهل هي ضرب من السير أم تراها ترجمة ذاتية ، أم صفحات يوميات ، أم لون من الاعتراف ؟

وتكمن قيمة أصابعنا التي تحترق في كونها تعبيرا عن قضية عربية متكاملة لا تتمايز فيها الأبعاد السياسية والاجتماعية والفكرية ، وبذلك يدق سهيل ادريس مسمارا جديدا في نعش نظرية الفن للفن . غير أن التزام " سامي " بهذه القضية - وهو موقف سهيل ادريس نفسه - لم يصرفه على أن يعيش تجربته كانسان يريد الدعة والحب والمال . وكان هذا النوع من التوازن هو الذي يثير فضول القارئ ، بحيث كان يشيع تساؤله عن مدى واقعية المواقف فـــي حرصه على متابعة عاطفيات البطل .

لقد قدم سهيل ادريس نفسه وتجربته ، وخاطر في جرأة وعزم ، ثم انتهـــى الى أنه مجرد انسان يريد ، وماأكثر مايعجز عن تحقيق ما يريد .."(٢)

احمد كمال زكي - القاهرة

اذا نظرنا الى بعض هذه الأقوال التي تناولت الروايات الثلاث من ناحيـــة الشكل والمضمون ، وما حملته من جديـد نجد :

١ - "الحي اللاتيني " :

أثارت هذه الرواية اهتماما كبيرا في الأوساط الأدبية لم تثره رواية عربية غيرهـــا ، لأنها سجلت نقطة تحول جديدة في تطور أدبنا العربي الحديث ، وتناولها - ولما يمض على

---

(١) راجع الآداب ، ع ١١/١٩٦٢ ص ٩ ، ثم راجع الأدب المسؤول ، لرئيف خوري ، ص (٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢١٠) .

(٢) راجع الآداب ، ع ١١/١٩٦٢ ص ١٠ و ١١ .

على صدورها ثلاثة أشهر - زهاء عشرين كاتبا من مختلف الأقطار العربية ، كانت معظم آرائهم في صالحها ، غير أن بعضهم لم يفهم الرواية جيدا ، حيث لم يجد فيها الا الجانب الجنسي [1] ، الذى فسروه بالخروج على مبدأ الالتزام الذى يأخذ به سهيل ادريس في كتاباته .

ولكن ، نحن نعتقد أن هذه الظاهرة ، هي أكبر دليل على صدق الحاجة الى هذه الرواية التي تفصح - بالدرجة الأولى - عن مخاوف الشباب العربي ازاء المشكلة الجنسية ، واساءتهم لفهمها ، ومعالجة هذه القضية من صميم رسالة سهيل ادريس الالتزامية .

وقد أجمع النقاد الواعون في لبنان ومصر وسوريا والعراق على أنها تعالج أهم مشكلات الجيل العربي الطالع ، الذى ينشد الحرية . وقد فازت بجائزة أهل القلم لأحسن رواية لبنانية لانتاج سنة ١٩٥٣ م [2] .

" الحي اللاتيني " في رأى احمد كمال زكي ، من حيث الشكل ، أروع بناء في الرواية العربية المعاصرة ، وهذا البناء عند عبد الله عبد الدائم براعة الاداء والفن القصصي ومن هذه البراعة تمكن سهيل ادريس من جعل النفس الانسانية مسرحا لصراع بين بيروت وباريس كما يقول يوسف الشاروني ، ونراه عند رجاء النقاش متاثرا بتكنيك القصة عند سارتر في ظاهرتين ، أولاهما اسلوب القصة ، حيث ان بطلها يرويها على لسانه مع تداخل في شخصيته كغائب ومتكلم ، ومخاطب . أما الظاهرة الثانية ، فهي عدم التزام الكاتب بالتسلسل الزمني والمكاني في سرد الأحداث ، ونمو الشخصيات خلالها .

ويشارك "شاكر مصطفى " " محمد روزنامجي " الرأى أنها شوط انقطعت دونه الأنفاس الكثيرة ، استطاع سهيل ادريس من خلالها أن يشق طريقه ويبشّر بميلاد روائي جديد .

ومن حيث المضمون ، نراها في رأى احمد كمال زكي عملا ضخما ، يدعو الى الاكبار ، وعند يوسف الشاروني ، تتناول مجتمعين : مجتمع غربي ، ومجتمع شرقي كما هي الحال عند رجاء النقاش ، تمثل الحركة الجريئة في الأدب العربي ، وتضعنا أمام قضيتنا الكبرى في وسط عالمي نستطيع من خلاله ان ننتصر على عقبات الطريق التي تسير فيها الى غاياتنا وأهدافنا المختلفة ، اذ تعرض احتكاك الفرد العربي الخالص بواقع العوالم الأخرى ، وتعطينا الذبذبات المختلفة التي تطرأ على هذا الفرد ازاء ما يلقاه في الحياة الجديدة بعد أن فتح عالمه المغلق وخرج منه ليتبين حقيقته التي تبدو بوضوح

---

(١) راجع " أزمة الجنس في القصة العربية " لشكرى غالي ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة ١٩٧١ م .

(٢) راجع الآداب ، ع ٤ سنة ١٩٥٤ م .

في البيئة الانسانية ، وبرأى محمد روزنامجي ، تمثل الطالب العربي تمثيلا صحيحا ، كما تبدو عند عبدالله عبدالدائم التقاط مشكلة حية ، ووصف شيء عاناه ، كان رائد أسلوبه وفنه ، وصائغ عباراته واشاراته .

فماذا فيها اذن ؟

الجديد فيها عند احمد كمال زكي ، انها عمل ضخم ، يدفع بالقصة العربية خطوات الى الأمام ، كما هي ثورة على التقاليد الجامدة ، ورغبة في التحرر منها الى الأفضل والأكمل عند الشاروني ، أما رجاء النقاش ، فيرى فيها حركة جديدة في أدبنا كما تصور لنا الكاتب فنانا قد درس أصول فنه في قراءة واعية ، وتاثر تأثرا واضحا بالاتجاه الوجودى عند زعيمه سارتر .

أما ميخائيل نعيمة ، فيراها تتسم بسمة الموهبة والحماسة ، وهاتان السمتان تحركان في النفس امل النهوض للرواية العربية ، ولكن هذا القول لايجيء عبثا ، وانما يعتمد غالبا على شكل الرواية ومضمونها اللذين ذكرهما نقّاد آخرون .

٢ - "الخندق الغميق"

ماينطبق من أقوال على "الحي اللاتيني" ينطبق على الخندق الغميق" التي اعتبرت أول محاولة جدية في الأدب العربي من وجهة نظر "رئيف خورى" .

واذا كانت رواية "الحي اللاتيني" تتناول الصراع القائم بين الغرب والشرق ، "فالخندق الغميق" تتناول الصراع بين القديم والجديد في الشرق ذاته .

ونستطيع أن نخلص الى نتيجة واحدة هي أن كل ماكتبه سهيل ادريس في رواياته الثلاث لايخرج عن دائرة حياته الشخصية الا في أدوات العرض والأداء .

٣ - أصابعنا التي تحترق :

كان راى بعض النقاد مختلفا بالنسبة لرايهم في الروايتين السابقتين ، حيث يعتبر "رئيف خورى" ان تسميتها برواية يفتح عليه باب الخصومة ، أهي رواية حقا ؟ الأمر الذى يلاحظ منه أنه يرفضها كرواية ، لأن الرواية - من وجهة نظره - تكون قطعة حياة ، يعمد كاتبها الى تصويرها ، وسواء انعقدت حوادثها انعقادا ، أو تتابعت فيما يبدو انه تخلخل أو تقطع .

ويشاركه احمد كمال زكي هذا الرأى ، بقبولها بحذر كرواية ، ويتساءل : من أى الضروب الفنية للقصة هذه الرواية ؟ هل هي ضرب من السيرام تراها ترجمة ذاتية ، ام صفحات يومية ، ام لون من الاعتراف ؟ وحكمه ، ان سهيل ادريس قد قدم نفسه ، وتجربته ، وخطط في جرأة وعزم ، ثم انتهى الى أنه مجرد انسان يريد ، وما أكثر مايعجز عن تحقيق مايريد .

ومهما قيل في هذه الرواية ، فهي حلقة مكملة لحلقات حياة سهيل ادريس بعد عودته من فرنسا ، واذا خرجت عن المألوف الروائي الذى اعتدنا عليه فلأجل التحرر من قيود الأحكام المطلقة في الكتابة الروائية ، ولافساح المجال واسعا أمام الكتاب لمعالجة جميع القضايا العامة والخاصة من خلال الرواية الواحدة .

الخـــاتمـــــــة

أصدر سميل ادريس منذ ١٩٤٧ حتى ١٩٧٤ ست" مجموعات قصصية ، فيهـا خمسون قصة قصيرة ، ومسرحية واحدة "الشهداء"

والمجموعات عند التحليل والنقد تتناول موضوعات اجتماعية مختلفة ، أبرزها موضوعـــان : الأول اجتماعي مخصص بمشكلات المرأة ، والثاني قومي مخصص بمشكلات الأمة .

والمجموعات الثلاث الأولى : " أشواق ١٩٤٧ " نيران وثلوج ١٩٤٨ " ، " كلهـــن نساء ١٩٤٩ " ، " أترب ماتكون الى النساء " ، فوراء كل قصة منها "تاريخ قصير[1] لمشكـــلة امرأة او مشكلة رجل مع امرأة غالبا .

والمجموعات الثلاث الاخيرة : " الدمع المر ١٩٥٦ " ، "رحماك يادمشق ١٩٦٥ " ، و "العراء ١٩٧٤ " أترب ماتكون الى الاهتمام بالامة العربية وقضاياها ، وان كانت المـرأة والأسرة لاتخليان منها ، فأشخاصها أفراد من أسر ، وهم ، أحيانا ، عشاق أوعاشقات .

وهذا الفصل بين اللونين : لون القصص الغرامي ، ولون القصص الكفاحي ، لايثبت أمام التمحيص النقدي ، لان الغرام والكفاح يتداخلان في آثار سميل ادريس القصصية تداخـــلا يخيل للقارئ معه أن الغرام كفاح وأن الكفاح غرام .

آخر مجموعات سميل القصصية " العراء " .

وقد ضمنها سبع قصص قصيرة ، كتبها في خمس سنوات ، وهي : الليل والاسلاك ١٩٦٦ وزمن الهزيمة ، والنصر ، العراء ، ١٩٦٧ ، شيخ الكرامة ، العبور ١٩٧٣ ، القراءة في العيون المغمضة ، ونكهة خاصة ١٩٧٤ .

وموضوع القصص الخمس الأولى : الكفاح القومي .

وموضوع القصة السادسة : الغرام ، لكن ببطولة الشيخ المتصابي والفتيـــــات العشيرات .

وموضوع القصة السابعة : الأسرة ، الزوجة والأولاد ، والأب بعد الســفر .

أردت من تحديد الموضوعات الاشارة الى تداخل اللونين : الكفاحي والغرامي ، فـي

---

(١) ألوان من القصة القصيرة في الادب الامريكي . لعباس العقاد . القاهرة : مكتبة ـ الانجلو مصرية ط٢ ، ١٩٦٣ م ص ١١ . يحدد العقاد انواع الكتابة القصصية بأربعة وهي : الروايـــة Novel والرواية الصغيرة Novelelte والقصة او الحكاية Story والحكايـــة القصيرة او النادرة ، وهي التي تقابل كلمة : Short Story وترجمتـــه الحرفية على حسب اصل الكلمة: تاريخ قصير (ص ١١) .

وتفرق الكاتبة "اديث هوارتون" بين هذه الانواع بقولها : " ان الموقف هو الموضوع الغالب على القصة القصيرة، وان رسم الشخصية هو الموضوع الغالب على الرواية " ويمكن ان نضيف الـى الموقف موضوعا آخر يصلح للقصة القصيرة او الحكاية ، وهو الايحاء ولفت النظر او هو مايقابل ـ ـ حرفيا ـ كلمة " الاقتراح

في المجموعة الواحـــدة .

= وهذا التداخل الموضوعي يبقى متميزا ، لكن التداخل المبنوى يبلغ حدا التوحيد فمعظم قصص سهيل ادريس تعتمد تصويـر الشخصيات بموقف من مواقفهـــا النفسية او الاجتماعية اوالقومية ليفهم القارئ الموقف بالايحاء ويستنتج منه مايريـــد الكاتب له أن يستنتجه (١) .

وجعلنا هذا الباب في فصلين ، وكل فصل جعلناه في أربعة مباحث تناولنـــا في الفصل الاول أقاصيص سهيل ادريس القصيرة ، وهو على التوالي :

" العراء " و " القراءة في العيون المغمضة " و " اشـواق " و " رحمـــاك يادمشق ،

وجعلنا الفصل الثاني ، يتناول روايات سهيل ادريس في ثلاثة مباحث : تناولنا فـــي المبحث الاول رواية الخندق الغميق ، وفي المبحث الثاني رواية " الحي اللاتيني " وفي المبحث الثالث : رواية أصابعنا التي تحترق " .

وخصصنا المبحث الرابع لأعمال سهيل ادريس الروائية في مرايا النقاد ، راجين من وراء ذلك اظهار المشاركة الفعلية التي شارك بها سهيل ادريس في الأدب العربي الحديث :

---

(١) يرى العقاد أن "القصة القصيرة" او الحكاية ، لاتتسع لرسم شخصية كاملة اوعـــدة شخصيات كاملة مع جميع جوانبها ، ولا تتسع كذلك للحوادث الكثيرة ولا للحادثـــــة الواحدة التي لاتتسم الا مع التشعب والاستيفاء والاحاطة بأحوال جملة من الناس من مختلف المواقف والاحوال ، ولكنها قد تعطينا لونا من الوان الشخصية كما تتمثل في موقـــف من المواقف . فنفهمها بالايحاء والاستنتاج وقد تعرض لنا موضـعا نفسيا او موضـعا اجتماعيا . ينفرد بنظرة عابرة ويؤخذ على حدة ، فيدل كما تقدم دلالـــــة الموقف والايحاء .

الوان من القصة القصيرة في الادب الامريكي ص ١٢ - ١٣ " .

الباب الرابع

نشاطات سهيل ادريس المشتركة

تمهيد .

١ - الفصل الأول : مجلة الآداب

٢ - الفصل الثاني : أعمال لغوية

٣ - الفصل الثالث : اتحاد الكتّاب

نشـاطات سـهيل ادريـس

المدخـــــل :

لم تكن نشاطات سهيل ادريس خاصة بكتابة القصة القصيرة ، أو الروايـة ، واذا كان قد زوّد المكتبة العربية بمجموعات قصصية ست ، وبروايات ثلاث ، فقد كانـت — ولا تزال — نشاطاته الأخرى من النشاطات المؤثرة عبر دوره في الأدب العربي الحديث ومن خلال هذه النشاطات وُجِدَ هذا الباب ، مكونا من ثلاثة فصول ، حيث تناولنا فـي الفصل الأول " مجلة الآداب " بعد أن قطعنا شوطا تاريخيا للصحافة الأدبية ، وأظهرنا مالهذه المجلة من أثر في نقل الكلمة العربية الى أصحابها المتعطشين لقراءتها ، بمـا تحمله من كل شيء جديد ، سواء كان هذا الجديد مترجما عن اللغات الأجنبية ، أو ابداعا أنتجته العقول العربية . ونستطيع القول إن هذه المجلة جسر ، يستطيـع القارئ العربي أن يعبر من خلاله منافذ الثقافات الأجنبية والعربية التي تخدم القضايا الثقافية والاجتماعية والسياسية .

وفي الفصل الثاني ، تناولنا أعمال سهيل ادريس اللغوية ، التي يمثلهـا قاموسه " المنهل " عربي / فرنسي بالمشاركة مع الدكتور جبور عبد النور ، وهذا العمل الضخم قد أفاد المكتبة العربية بآلاف العبارات والمرادفات الخاصة بجميع ألوان الحياة الفنيـة والأدبية ، وقد ذكرنا الفوائد التي قدمها هذا العمل المجد الى قارئ اللغة العربية ، والباحث عن معاني الألفاظ الفرنسية في مجال اختصاصه .

وفي الفصل الثالث تناولنا اتحاد الكتّاب اللبناني : من خلال قانونه الأساسـي ونظامه الداخلي ، كما تناولنا علاقته بمؤتمر الأدباء العرب ، والتزامه بحرية الفكـر العربي ، الأمر الذي فرض على اتحاد الكتاب اللبنانيين الانسحاب من مؤتمر الأدبـاء العرب لعدم التزام مؤتمر الأدباء العرب بالدفاع عن حرية الفكر والمفكرين .

الفصل الأول

مجلـــة الآداب

الصحافة[١]، تلك الظاهرة الحضارية التي تملأ علينا شعاب حياتنا بأنواعها ، السياسية ، والفكرية ، والفنية ، والأدبية ، ودخلت بذلك في حياة الانسان المعاصـــر ، يوشك ان يفتح بها يومه كل صباح ، لابد أن تلفت انتباه الباحثين تقديرا لأهميتها وخطورتهـا ولا بد ان تستثير منهم حاسة البحث والتحليل لمصدر تلك الخطورة التي تستمدها من تأثيرهـا الشامل على الرأى العام ، سياسيا ، وعلى حركة الفكر والفن والأدب في مجالاتهـــا الأخرى .

الصحافة في اللغة من صحف ، الصحيفة : التي يكتب فيها ، والجمع صحائـــف وصحف وصُحُف .. وفي التنزيل " ان هذا لفي الصحف الاولى ، صحف ابراهيم وموسى " يعني الكتب المنزلة عليهما .. وفي الحديث : أتراني حاملا الى قومي كتابا كصحيفة المتلمس؟ وهنا الصحيفة الكتاب . والصحف والصحفي : الذى يروى الخطأ عن قراءة الصحف بأشـــباه الحروف[٢] .

والصحافة في الاصطلاح هي " فن تسجيل الوقائع اليومية بدقة وانتظام ، وذوق سليم مع الاستجابة لرغبات الرأى العام وتوجيهه الى الاهتمام بالجماعات وتناقل أخبارها ، ووصف نشاطها ثم تسليتها ، وتزجية أوقات فراغها "[٣] ومن هذا المعنى نستطيع ان نرى صور الجماعـــة وآراءها وخواطرها معكوسة عليها كالمرآة .

والصحافة سلاح ذو حدين ، فهي أداة ارشاد وتربية وامتاع ، وكذلك هي أداة تضليل وافساد ، وتملق للجماهير اذا لم نعرف كيف نحسن استعمالها .

والصحافة من حيث اتجاهاتها نراها محصورة في اربعة أقسام هي : الصحافة السياسية . ويليها الاهتمام بالخبر والتحليل السياسي ، والصحافة المهنية ، التي تصدرها عادة النقابات

---

(١) اول من استعمل لفظة الصحافة بمعناها الحالي ، كان الشيخ نجيب الحداد ، منشيء جريدة "لسان العرب" في الاسكندرية وحفيد الشيخ ناصيف اليازجي ، واليه يرجع الفضل في اختيارها ، فقلده سائر الصحافيين من بعده . وكانت تسمى الصحف في أول عهدها "الوقائع المصرية" كما دعاها رفاعة الطهطاوى "وسميت ايضا غرته" نسبة الى قطعة النقود بهذا الاسم . كانت تباع الصحيفة بها فسرت بذلك

دى طرازين ، فيليب ، تاريخ الصحافـــة العربية جـ ١ ص ٥ . بيروت المطبعة الادبية بيروت ١٩١٣

(٢) لسان العرب لابن منظور ص ٤١٢ مجلد ٢ - بيروت دار لسان العرب ١٩٦٨ .

(٣) مرة ، اديـــب . الصحافـــة العربيـــة ، ص : ١٧ - بيروت . دار الـ مكتبة الحياة بيروت ١٩٦١

والمؤسسات العلمية ، مثل نقابة الاطباء ، وغيرهم . والصحافة الفكرية ، التي تتجاوز صورة الادب بالمعنى الخاص الى المفهوم العام للادب ، أى الاهتمام بالنتاج الفكرى والفني وأشهرها مجلة " العصور الحديثة " لسارتر .

والصحافة الادبية ، التي تهتم - أساسا - بالقضايا الادبية والفنية والنقدية ، فضلا عن نشر النصوص الابداعية من الشعر والقصة والمسرح ، وهذا النوع من الصحافة هو الذى سنتكلم عنه من خلال مجلة الآداب .

اذا رجعنا الى معظم صحف العالم العربي نجدها ابتدأت مع بداية القرن التاسع عشر ، وسايرت ركبه حتى القرن العشرين في صيغة مستقلة عما هي عليه اليوم ، وهي صيغة الادب ، لارتباطها بالادباء والشعراء الذين اشتهروا بتعمقهم في الادب ، او ممن اتسمت كتاباتهم بالروح الادبية ، لذلك ، نرى أسلوب الصحافة - خلال تلك الفترة الزمنية - اسلوبا مطبوعا بالطابع الادبي ، لان الكتاب والصحفيين كانوا ينهجون منهج القدماء ، الذين كانوا يحافظون على الجمل المسجوعة ، ويعتمدون ضروب البلاغة والصناعات اللفظية التي كانت تقوم عليها اللغة الادبية ، ومن هنا نلمس الصلة الوثيقة او الرابطة المتينة التي كانت تشد الادب الى الصحافة ، حتى كان القارئ لايفرق بين الكاتب والاديب ، وبين الصحافي المتخصص ، لان منبع الاثنين كان واحدا ، كما كانت طريقتهما واحدة رغم الاختلافات البسيطة التي لم تكن تظهر لغير الواعين المتخصصين ، وكانوا قلة من القراء نتيجة للظروف السياسية والاقتصادية التي كانوا يعيشونها ، وكان لها أكبر الاثر على الناحية الثقافية لارتباطها المباشر بهذه الظروف التي كانت في طور النمو والتطور .

وامتزج الادب بالسياسة ، وكان الادباء مصلحين اجتماعيين أيضا ، وعلى سبيل المثال ، محمد عبده ، وعبد الله النديم ، ومصطفى كامل من اهم العمد التي ارتكزت عليها نهضة الصحافة ، وهم معروفون لنا كمفكرين وساسيين أولا .

ان معظم الصحافيين في عهودهم الاولى من نشأة الصحافة العربية - سواء في مصر أو في لبنان كانوا يأتون على طريق الادب ، وكان معظمهم من كبار الادباء في تلك الحقبة الزمنية ، أمثال : الشيخ ناصيف اليازجي (١٨٠٠م - ١٨٧١م) وبطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣) ورفاعة الطهطاوى (١٨٠١ - ١٨٧٣م) وغيرهم ممن كانوا وقتذاك أركان النهضة الادبية والثقافية في نصف القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين وهم أيضا من مؤسسي الصحافة العربية[1] .

ومع الايام ، استطاع الصحافي أن يسير في طريق مختلف عن طريق الادب ، حيث أن الصحافة قد تطورت ، وأصبحت لها مسالك أخرى غير المسالك التي يحتاجها الاديب ، لأن

---

(١) راجع تاريخ الصحافة العربية لفيليب ذى طرازى جـ ١ من صفحة (٨٢ - ١٥٠) بيروت المطبعة الادبية ١٩١٣م .

الاديب رجل ذاتي يعنى بنفسه وحدها ، فيصف لنا ما يجول بها ، او يتردد في جنباتها ويسجل حركاتها وسكناتها . ويتأمل هذه الحركات والسكنات .

اما الصحافي ، فرجل غير ذاتي ، لا يستطيع العناية بنفسه ، لانه مسؤول عن العناية بالمجتمع من حوله ، فتراه يسجل حركات هذا المجتمع وسكناته يوما بيوم ، وينهي أخباره الى القراء داخل البلد وخارجه [١] . واذا نظرنا الى الصحافة من هذا المعنى نجدها كالمرآة ، تنعكس عليها مشاعر الجماعة وآراءها وخواطرها . أما الادب ، فمرآة تنعكس عليها مشاعر الاديب وآراؤه وخواطره .. ومن هذا المنطلق انفصلت الصحافة الادبية عن الصحافة السياسية ، او الصحافة بمعناها الشامل ، وخصوصا بعد ان عرف الناس معنى كلمة "الاختصاص" وتقبلوا مفاهيمه في ظل " الاوضاع السياسية ، والاجتماعية التي أخذت تسود البلاد بعد الاستقلال ، اى في مرحلة النضال التحرري ضد الاستعمار ، حيث نمت الصحافة العربية والمحلية نموا كبيرا ، وأصبحت ذا أثر فعال ، وزاد عددا لصحافيين المتخصصين وقوى دورهم الاجتماعي ، لاتصالهم المباشر بالطبقات وبالفئات الاجتماعية المختلفة من السكان وهم يعرفون الرأى العام معرفة واضحة ، توفر لهم امكانية التأثير فيه والتعبير عنه ، ومن هنا نرى أن الصحافيين يشكلون العنصر الاكثر نشاطا لطليعة المثقفين على اختلاف اتجاهاتهم ، ومذاهبهم السياسية والاجتماعية ، ويلعبون الدور الاكبر في تثقيف وتوعية أبناء أمتهم ، سواء كان من الناحية السياسية او الناحية الاجتماعية . وكان للصحافة دورها الضخم في الحركة الادبية الفكرية ، وفي معركة المحافظة والتجديد التي بدأت مع الصحافة نهلا ، وكانت الصحافة بعيدة الاثر في تطورات الفكر العربي كله اذ حملت لواء جميع القضايا الوطنية والاجتماعية والفكرية " [٢] .

برزت الصحافة الأدبية في لبنان هي والصحافة السياسية جنبا الى جنب ، نتيجة لموقع لبنان الجغرافي من جهة ، واستقباله للارساليات والجاليات الاجنبية التي حملت معها الكتب والمطابع [٣] من جهة ثانية ، وأخذت تعنى بجميع فنون الادب من قصة وشعر وأبحاث أدبية ، وخصوصا بعد أن نهضت حركة الترجمة ، وأصبح من رائدها الكثيرون من أبناء لبنان الذين تثقفوا على اللغة العربية وغيرها من اللغات الاجنبية [٤] .

---

(١) حمزة ، عبد اللطيف . مستقبل الصحافة في مصر ص ٦٠

(٢) الجندى ، أنور المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة عام ١٨٤٠ - ١٩٤٠ مصر مطبعة الرسالة ١٩٦١ .

(٣) يبرز خليل صابات دور المطبعة بالنسبة للقضية التي نتصدى لها ، فيقول : وساهمت المطابع اللبنانية مساهمة الاصل في نشر الكتاب العربي ، لا في لبنان فحسب بل في البلاد العربية كلها وأمريكا التي هاجر اليها عدد كبير جدا من السوريين واللبنانيين وهكذا اضحت الطباعة عامة والطباعة اللبنانية على وجه خاص همزة الوصل بين الشرق والغرب حتى يومنا هذا ".
صابات ، خليل . تاريخ الطباعة في الشرق العربي ص: ٥٠ و ٥١

(٤) امثال خليل الخورى ١٨٥٨ ولويس صابونجي ١٨٧٠ وخليل سركيس ١٨٧٧ وابراهيم الاسود ١٨٩١

واذا أتينا الى مناخ الخمسينات ، حيث مولد "الآداب" نجد أن الامة العربية قد تعرضت لهزات عنيفة ، ومعارك كثيرة مع أعداء حريتها وسيادتها على ارضها وثرواتها ، وكانت كلما خرجت ظافرة من معركة دفعتها الأقدار الى معركة أخرى ، ربما كانت أكثر ضراوة وأشد بأسا ، وذلك لكثرة الايدى التي لعبت بمستقبلها وساومت على حريتها ، ومستقبلها ومصيرها .

كان لهذه الاحداث ، وهذا التناقض صدى كبير على النفوس والميول والاهداف فرض ذاته على الادب والادباء ، فوقعوا في تناقض كبير في معاني النظم والكتابة ، الامر الذى أدى الى اضطراب النقاد وتناقضهم لان عقولهم وقلوبهم المتطلعة الى المثل العليا ، والمبادئ التي ينبغي ان يعملوا بها باتت في حلقة من الفراغ والفقدان الكبير ، وأصبحت تتخبط خبط عشواء ، في توقعة مظلقة لاينفذ اليها النور .

وعندما دبت الصحوة بعد الغفوة الطويلة التي غفتها الأمة العربية ، نتيجة لاحداث فرضت عليها فرضا ، اخذ الشعب يتلمس طريقه ، وأصبح لايقيم وزنا للتهديدات الخارجية مباشرة كانت او غير مباشرة ، توجه نحو الثقافة الغربية لينهل منها ، ويطلع على كل جديد لم يكن يعرفه من قبل ، وأرسلت البعثات الى فرنسا وغيرها من الدول الغربية ، وأخذت الافكار القومية تتغلغل وتلعب دورا كبيرا في سير اليقظة العربية ، الامر الذى أوجد المدارس الجديدة ، بعيدا عن التعليم التقليدى الذى اعتدنا عليه ، ونزل العلم من قصره العاجي الذى كان وقفا على فئة من الناس ، ليرتبط بالديموقراطية السياسية ، ويجعل من أبناء الطبقات الدنيا الذين يمثلون الأكثرية في كل مجتمع ، يميلون الى تغيير الواقع التقليدى الذى استقر أكثر مما يجب في ظل الأوضاع الاستعمارية .

١ - نشأتها :

كان واضحا ان القلق الذى عاشه العالم العربي في الخمسينات بمثابة ميلاد لعصر جديد ، وهذا يعني انه كان ينهي عصرا في طريقه الى الزوال . وحركة التغيير هذه استتبعت وجود ملامح وأنشطة جديدة ، وكانت "الآداب" ملمحا مناسبا للمرحلة الوليدة .

قبل أن نبدأ الحديث عن "مجلة الآداب" لابد لنا من تقديم بسيط نعرف به أهم المجلات الادبية التي سبقتها ، وأثرت فيها تأثيرا مباشرا او غير مباشر ، لان العام الذى خرجت فيه "الآداب" للقراء تميز مطلعه بنشاط ظاهر للصحافة الادبية في مختلف البلاد العربية النشاط الذى يبشر بحركة مباركة من شأنها أن تبث كل جديد في عروق الادب الراكد ، وتحييه لعهد جديد ، يقود الامة في طريقها الأفضل .

وأهم هذه المجلات :

١ - "مجلة الرسالة" لاحمد حسن الزيات ، صدرت ١٩٣٣ ، وتوقفت ١٩٥٢ . تفرعت عنها مجلة "الرواية" التي اقتصرت على القصة ، ولكنها لم تعش طويلا ، بينما ظلت الرسالة

تصدر حتى ١٩٥٢ ، وكانت بمثابة مدرسة أدبية لمعظم أدباء الاقطار العربية ، وقد تركت أثرا بعيدا في تطوير الادب العربي المعاصر ، وكانت خطاها ربط القديم بالحديث ، ووصل الشرق بالغرب ، حتى استطاع الادب ان يعيش مرحلة انتقال جديدة ، ينتقل فيها من الظلام الى النور ، ويتطلع الى غد مرتقب ، ويتأهب لوثبات يساير بها ركب النهضة ، ويشارك في موكب التحرير . وفضلا عن قلم الزيات نفسه نجد أن مجموعة من الاقلام الادبية والنقدية قد كتبت فيها ، أمثال : طه حسين ، ومحمد مندور ، وأنور المعداوى ، ومحمد عبد الغني حسن ، ومن الشعراء ، أمثال : ابراهيم ناجي ، وعلي محمود طه .

٢ - مجلة ، "الثقافة المصرية" صدرت ١٩٣٦ ، وتولى رئاسة تحريرها احمد امين وكتب فيها أعضاء جمعية التأليف والترجمة والنشر ، وأساتذة الجامعات المصرية . وكانت ترد عليها المقالات الادبية ، والقصائد من كبار الادباء في العالم العربي ، ولكنها توقفت ١٩٥٣ .

٣ - مجلة " الاديب " اللبنانية ، صدرت ١٩٤٢ ، وصاحبها البير أديب . فقد احتلت مكانها في زعامة الحركة الادبية في لبنان ، والتف حولها كبار أدباء لبنان وشعرائه ، أمثال : عبدالله العلايلي ، وعمر فاخوري ، وأمين نخله ، والياس خليل زكريا ، ونقولا فياض ، هذا فضلا عن كبار الادباء والشعراء في العالم العربي . وقد امتازت " الاديب " بالشمول وسعة الافق واتساع الانتشار حتى ليقال: إنها من أوسع المجلات انتشارا في العالم العربي من حيث بلاغها أبعد الاماكن التي توجد فيها جاليات عربية ، كما سايرت اتجاهات الادب الحديثة : من رمزية ، ورومانتيكية ، وواقعية ، وساعدت على ابراز المواهب الجديدة بين الادباء ، الشباب في العالم العربي ، حتى أن كثيرين من أدباء الجيل الحاضر في لبنان وغيره من الاقطار العربية مدينون بشهرتهم ومكانتهم الادبية الى مجلة " الاديب " التي تعهدت مواهبهم فشجعتها ونمتها ، وما تزال تصدر الى اليوم بهمة صاحبها التي لاتعرف الكلل رغم ما صادفتها وتصادفها من صعوبات مادية عامة .

اذن ، لم تنبت " الآداب " في أرض قاحلة ، بل كانت الارض على أفضل حالاتها من الاستعداد لهذه النبتة الأدبية ، التي استطاعت أن تغزو المجلات الادبية الاخرى في عقر دارها ، لانها كانت الكلمة المطلوبة المنتظرة عند الاجيال الجديدة من المتأدبين بصفة خاصة ، وأكثر انتماء لعصرنا وللمستقبل من كل تلك المجلات التي أشرنا اليها ولا نغمطها حقها .

اذا أخذنا بعين الاعتبار ١٩٥٢ ، أي قبل صدور "مجلة الآداب" بسنة واحدة نلاحظ أن "مجلة الرسالة" و "مجلة الثقافة" المصريتين قد توقفتا عن الاصدار نتيجة لصعوبات مختلفة كانت أهمها الصعوبات المادية - بعد أن استقطبتا عددا كبيرا من القراء في أنحاء العالم العربي - ونجد أن هذه الفئة من القراء ، بالاضافة الى الاقلام التي لعبت الدور الاساسي في تحرير هاتين المجلتين ، في أمس الحاجة الى منبر جديد ، يعوض هذه الخسارة الكبيرة في توقف أفضل مجلتين كانتا في تلك الفترة ، ومن هنا نستطيع أن نجزم ،

نكون بعيدين عن الحقيقة اذا قلنا أن مجلة "الاداب" قامت على دعائم ، كانت في الاصل موجودة ، لانها بقيامها تستطيع أن تستقطب ما كانت تستقطبه مجلة "الرسالة" ومجلة "الثقافة" المصريتين معا اذا عرف مؤسسوها رغبات القراء وميولهم ، وعرفوا كيف يشدون كبار الكتاب والادباء الى التحرير في مجلتهم .

وعلى رفاة مجلة "الرسالة" ومجلة "الثقافة" قامت مجلة الآداب ١٩٥٣ م بالاضافة الى المجهودات الضخمة ، والاستعداد النبير الذى وجد عند صاحبها : سهيل ادريس الذى وضع نصب عينيه - يوم كان طالبا في المرحلة الثانوية - اصدار مجلة أدبية جامعة ، الامر الذى شده الى العمل في الصحافة ، حيث كتب في الصفحات الادبية من مجلة "الصياد" وجريدة "بيروت" وجريدة "بيروت المساء" وفي "الاديب" التي أصدر من خلالها مجموعته القصصية الاولى "أشواق" ودراساته النقدية .

يقول صاحب الآداب [1]

فكرت في الواقع - عندما ذهبت الى باريس ١٩٤٩ لاعداد رسالة الدكتوراه - ، في اصدار مجلة شهرية كبيرة ، ولا شك ، فقد تاثرت هناك بالمجلات الفرنسية ، وخصوصا مجلة "الازمنة الحديثة" التي يرأس تحريرها "سارتر" فالتزمت بمبدأ الالتزام [2] في الادب مؤمنا بضرورة هذا الالتزام الفكرى مع الالتزام القومي ، كما كنت أشعر بالحاجة الملحة الى خدمة القضايا العربية .

وعندما عدت الى لبنان ، بعد أن حصلت في عام ١٩٥١ على دبلوم معهد الصحافة العالي "بباريس" وعام ١٩٥٢ على شهادة الدكتوراه بالآداب ، عدة لابدأ العمل في انشاء المجلة الادبية التي كانت فكرة انشائها تراودني منذ وقت طويل" ولكنني لم استطع اصدار المجلة منفردا لظروف مادية ، فاتفقت مع "دار العلم للملايين" لصاحبيها : بهيج عثمان ، ومنير البعلبكي ، باصدار مجلة الآداب ١٩٥٣ م ، حيث توليت رئاسة تحريرها ، وظهر أول عدد من المجلة في يناير ، وأطلقنا عليها الآداب [3] لأن الآداب كلمة شاملة يمكن

---

(١) مقابلة شخصية قمت بها يوم ٧/ ٦/ ١٩٧٥ الساعة التاسعة صباحا ، في دار الآداب ، بيروت .

(٢) الالتزام : نظرية اوجدها الاديب الوجودى الفرنسي "جون بول سارتر" وكان قصده تحديد اهداف لون من الادب يؤمن به ، ويدعو اليه بشكل من العناد والاصرار ، وبالنتيجة اراد للالتزام ان يكون غاية كل ادب ، ورسالة كل اديب . والقصد من هذه النظرية ان يكون الادب صورة حية للمجتمع الذى ينتسب اليه ، اى ، نعيش في اعماق هذا المجتمع ، ونستمد تجاربنا منه ، ونندمج حوله بخطوط اتجاهاته الفكرية .

(٣) لم يكن سهيل ادريس اول من ابتكر اسم "الآداب" فقد سبقه في مصر الشيخ علي يوسف ١٨٨٧ م كان له "جريدة الآداب" في القاهرة ، وهي عبارة عن جريدة اسبوعية تاريخية علمية ادبية فكاهية ، صدرت بثماني صفحات متوسط الحجم في ٤ شباط ١٨٨٧ لمنشئها الشيخ علي يوسف ، فرخصت له الحكومة المصرية بذلك بعد ممانعة طويلة ، واحتمل صاحبها من المشاق والنفقات ما يتخذ دليلا على عظيم اثباته وقوة عزيمته . وفي السنة الثانية احتجبت عن الظهور ، ثم ظهرت في مطبعة حسن ١٨٨٩ وقد عطلها صاحبها في السنة الثالثة من عمرها . وحصر عنايته في جريدة "المؤيد" .
دى طرازى ، فيليب . تاريخ الصحافة العربية ج٣ ص ٣٠ و ٣١ بيروت المطبعة الادبية ١٩١٣

أن تندمج فيها كل الآداب والفنون الادبية التي أطمح ان تتضمنها المجلة .

وفي سنة ١٩٥٦ م استقلت بمجلة الآداب عن شريكي ، وأصبحت زوجتي عايدة مارجي سكرتيرة تحرير المجلة حتى يومنا هذا .

٢ - أهم الاقلام التي شاركت فيها :

لقد حاولت المجلة أن تستكتب من كافة ا العربية تقريبا . ولسنا نشك في أن الادباء في لبنان كان باستطاعتهم دائما - في الماضي والحاضر - أن يقوموا منفردين بما تتطلبه مجلة أدبية شهرية ، ولكن هذا التعرف الدائم من صاحب مجلة الآداب ، يعني حرصه المستمر على أن تظل جسرا موصلا بين مناطق العالم العربي فكريا وأدبيا ، بل لعله أحيانا استكتب أقلاما ناشئة من تلك البلاد ، وهذا يعني انتفاء الغرض التجاري في الدرجة الاولى ، فالأسماء الجديدة عادة لاتجذب قارئ الأدب بسهولة ، وليس لذلك من تفسير الا الرغبة في احتضان المواهب الجديدة ، والتبشير بقيم المستقبل ، تلك القيم التي كانت هدفا أساسيا للمجلة منذ عددها الأول (١) .

واستطاعت هذه المجلة الفتية ان تخطو خطوة كبيرة في جذب جيل من القراء ، كانوا يرتقبون الاحداث عن كثب ، وتتلاعب بهم الحيرة ، ويتقاذفهم القلق لما هم بحاجة ماسة اليه من مجلة او جريدة تستجيب للقليل من الكثير من نزعاتهم المتمردة في حقلي القومية والفكر فلا يجدون تجاوبا ، بيد ان "الآداب" استطاعت - وفي فترة قصيرة من اصدارها - ان تقفز الى المستوى المنشود ، لانها كانت تجيب على أسئلة القراء بما تضمنته من مقالات نقدية وسياسية ، وبما نهجته من طريق تحرري جريء ، خفف من الحيرة والقلق المسيطرين على النفوس ، بما رسمته للنفس من رسالة وخطة وغاية ، وقد ساعدها على ذلك توقف مجلة "الرسالة" المصرية ، الذي يمكن ان نعتبره علامة ومؤشرا على تحول في الذوق الأدبي العام .

في مجال تعرفنا على الملامح الاساسية ، اوان صح القول : شخصية المجلة ، فان خير مانفعله ان نستمد هذه الصورة المطلوبة من المعرفة بأهم الأقلام التي صنعت تلك المجلة ، او شاركت في تحريرها مشاركة واضحة ، الاسماء التي أصّلت خطها الفكري العام ، والنقدي ، والانساني . وسيكون من حظ الاحصاء والتتبع الشامل عبر أكثر من عشرين عاما أن يعرفنا بأولئك الذين حملوا عبء البداية ، او السنوات الاولى الخطرة

---

(١) يقول عنها اديب مروه :
" فكانت فتحا جديدا في دنيا المجلات الادبية ، بما اختطته لنفسها من انتهاج الادب الالتزامي ونشر الابحاث الفكرية العميقة ، والمقالات الترجيهية ، هذا فضلا عن القصص والترجمات والروايات ، وقد شجعت "الآداب" حركة النقد الادبي تشجيعا كبيرا ، وكانت ذا اثر لاينكر في خلق جو فكري ادبي جديد في لبنان والبلاد العربية " .

الصحافة العربية ، ص ٤٥٥ دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦١

في حياة كل مجلة ، تحمل فكرا جديدا ، وتقدمه الى الناس ، راغبة في تغييرما اعتادوا عليه كما نتعرف الى تلك الاقلام التي صارت فيما بعد ، بمثابة روافد تقوية للمجلة في مسيرتهـــا ، واخيرا تلك الاقلام التي لم تكن معروفة بدرجة كافية ، ثم ظهرت وأخذت ثقلها وحجمها الفكرى والفني عبر صفحات المجلة ذاتها ، وربما يعني ذلك أن المجلة هي التي خدمتها دون العكس فالآن ، نحن أمام أصناف ثلاثة من الكتّاب :

آ ـ الطائفة الأولى : (١)

م الذين ألقوا بثقلهم الفكرى والفني ، وشهرتهم المستتبة لدى جمهور المتأدبين أمثال "أنور المعداوى ، وشكرى الفيصل ، وعبد الله الطلايلي ، وعبد القادر القـــط ، وعلي أدهم ، ومارون عبود ، ومحمد مهدى الجواهرى ، وميخائيل نعيمة ، وغيرهـــم " فهذه الاسماء عندما تعاملت مع "الآداب" لاشك أعطتها قدراً من الثقة ، واعترافا لـــدى جمهور القراء بقيمتها وارتباطها بمن يمثلون أصول ثقافة العصر ، وأهم ملامح وجهه الفني "

ب ـ الطائفة الثانية : (٢)

ونذكر على سبيل المثال لا الحصر : " بدر شاكر السياب ، وتوفيق يوسف عواد ورئيف خورى ، وشاكر مصطفى ، وعبد الله عبد الدائم ، ومنير البعلبكي ، ونزار قبانـي ولا نستطيع ان نقول إنها تمثل ركائز أساسية في ارض الثقافة العربية في اوائل الخمسينات ، ولكنها كانت قد بدات عبر المجلات الأخرى ، والكتب الخاصة تثبت وجودها ، ومن ثم صار تعاونها مع مجلة "الاداب" أمرا شبه مقرر او متوقع وقد زاولت دورا واضحا بخصوص مجـال القصة والنقد .. فبعض هذه الاسماء ، كتبت القصة ، وبعض آخر ترجمها او نقدها ، أو أرّخ لها .

ج ـ الطائفة الثالثة (٣)

يمكن ان نسمي أقلامها أقلام الغد ، مثل : رجاء النقاش ، وسليم حيدر ، وسليمان فياض ، ومطاع صفدى ، وأبو المعاطي ابو النجا ، واكثر هذه الاسماء لم تكن معروفـــة قبل الخمسينات بحكم عامل العمر ، وكلهم من الشباب تقريبا في ذلك الحين ، وقد مهّدت الآداب " لشهرتهم على نطاق واسع فيما بعد ، فمثلا : رجاء النقاش الذى صار مشهورا بدراساته النقدية المتعددة ، فانه في تلك الفترة كان مايزال يتحسس طريقه الى جانـــب القلمين الراسخين : عبد القادر القط ، وأنور المعداوى وجيلهما .

---

(١) انظر مجلة الآداب ع٢ و ٣ و ٤ س ٣ ٥٨م وعدد ٤ س ٥٨ م

(٢) انظـــر مجلة الآداب ع ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٨ س ٥٣م و ٣ و ٩ س ٥٤م وع ٧ س ٥٥م وع ٦ وس و ٨ س ٥٨ م

(٣) انظر أعداد المجلة ٧ و ١٠ س ٥٤م و ٤ و ٧ س ٥٥ م

٣ - ملامحها العامة بين التجديد والتقليد :

التجديد ، هو طبيعة الأشياء والأحياء في الحياة ، وهو سنة الله في كونه ، وهذه السنة تؤكد عدم وجود الشيء ثابتا على ماوجد عليه ، ولا الانسان يبقى على حاله ، لارتباطه بالتطور الحتمي الذى يقود الاحياء والاشياء الى منطلقات أفضل وأكمل ، ويعمل على ارتباطها بالخطوات المستقبلية التي تقود الى الابداع في كل شيء . وسنة التجديد هذه لاتترك شيئا في هذا الوجود مالم تصبغه بصبغتها التجديدية ، أو تحييه[1] لمسايرة التقدم المنهجي الذى تفرضه الحياة ، وخصوصا في مجال الفكر .

واذا أردنا أن نتتبع خطوات التجديد ، نجدها تسير جنبا الى جنب مع الزمن حيث كان النقاد في عهودهم القديمة ، يختلفون فيما بينهم في شكل الأشياء ، لافي مضامينها ، فيقارنون بين اللفظ الجزل ، والركيك ، وبين الاسلوب الرصين والمتهلهل ، ثم يتناولون المعاني المسروقة ، والمطروقة ، والتشبيه المنتزع من وجوه البادية او من صور بعيدة عنها كصور الحضر ، والمطلع الجيد ، والتخلص الحسن والقبيح ، ثم يجرون في كل هذا على أوزان تختلف باختلاف الحياة المرتبطة بالطبقة والبيئة والصناعة والجنس .

ولم يتمرد التجديد او يكون له شأن في الادب الا مع ازدهار الحضارة العربية حيث اقتضت الاحوال الاجتماعية طبيعة التطور ، فاستحدثوا في فنون الكتابة الرسائل والمقامات ثم القصص .

ولم يتوقف التجديد عند هذا الحد ، فنرى ان قيام مجتمع عربي جديد دفع الى قيام قيم جديدة ، وعادات جديدة ، ومصطلحات جديدة ، وألفاظ جديدة ، وأغراض تتجدد ، ومعاني تتولد ، لان الحضارة ترمي المجتمع كل يوم بمخترع جديد ، والعلم تطالعه كل ساعة بمصطلح متطور .

وبعد أن تحرك العالم العربي على المستوى السياسي التحريرى ، وأصبح الاستعمار يجد ذاته يسير في طريق معترضة ، وخصوصا بعد أن فتح الباب على مصراعيه امام الافكار الغربية ، حيث اشتدت التيارات الثقافية بعد ان أخذت الصحف والمجلات الادبية تتناول الافكار الحديثة ، وتتمتع بحرية الرأى ، أخذ أبناء الشعب العربي الواعي يرتبون كل حدث ثقافي جديد ، ويستمعون الى كل نداء حر ، يدعون الى التحرر من النظم التقليدية ، سواء كانت نظما سياسية ، او ثقافية او اجتماعية ، لان القفزة الحضارية التي ابتدأ يقفزها الشعب العربي عبر المدارس النقدية الحديثة كالرومانتيكية ، والرمزية والواقعية الجديدة ، تفرض عليه اعادة النظر فيما ورثه من نظم ثقافية واجتماعية وسياسية مختلفة ، مادامت هذه النظم لاتتعارض مع المعتقد الديني ، وان كان لها بعض تأملات متطرفة .

---

(١) في مجتمع العرب وشخصيتهم في البلاغة ، للدكتور اسعد علي شرح واف لقواعد الاحياء والتحديث .

وعندما زال التهديد الاستعماري المباشر ، وأصبحت الدول العربية متلاحمة في مطالبها " تولدت الثقافة الغربية بالاعجاب من البعض ، والنفور من جانب آخر ، والاحترام المصحوب بالخوف من جانب ثالث ، وسارت الاستعارة والمحاكاة بخطى مسرعة ، وعلى نظام واسع في بعض الأماكن كسوريا ومصر الى درجة أدت الى اهمال الثقافة العربية نفسها وبذا ازداد تهديد الغرب في بعض الأماكن خارجيا وتهديدا استعمار داخليا وتهديد ثقافي وسياسي "(١) حيال هذا الوضع نجد أن فكرة التجديد قد تأثرت تأثرا بمشاكل الكيان السياسي والحرية السياسية وشاعت تلك الفترة توسعا وامتدادا ، في اتجاه محاكاة الغرب في المجالين : الاجتماعي ، والثقافي مما أوجد رد الفعل القومي ، حيث أخذت الشعوب تبحث عن شخصيتها وكيانها ، وكان ذلك ممتزجا بكثير من الخيال الرومانتيكي الذي كان يتحكم متسلطا . وانكمشت المدارس التقليدية ، وازدادت المدارس الحديثة التي نهجت منهج التعليم الغربي .

وبالنظرة الفاحصة لما قدمه الغرب من آراء ومبادئ جديدة نجد أن الباحثين عندنا انقسموا فئتين : فئة منهم " يشعرون بالنقص أمام المجتمع الغربي ، ويعتقدون الكمال في كل مايفعله ذلك المجتمع ، وبالتالي يدعون الى تهديم بنية المجتمع العربي ماضيا وحاضرا ويقابل هذا الفريق فريق آخر يدعي ان الكمال من المجتمع العربي وفيه ، واذا وجد نقص في مجتمع العرب فمرده من صنع الغرب وتخطيطه ، وبالتالي يدعون الى التخلص من كل معطياته الفكرية "(٢)

ونشطت عملية احياء التراث ، وتزايد الاهتمام بالثقافة العربية القديمة سواء بتحقيق المخطوطات ، والكشف عن مدارس الفكر العربي القديم .. وفي الوقت نفسه وجد تيار يعبر عن التطلع الى حضارة القرن العشرين ، وهذا التيار ، التفت الى اوروبا ، واهتم بنقل فكرها وتقليد أدبها ، وهناك من أفاد التيارين في مزيج ثقافي نادر مثل طه حسين ، وهيكل ، والعقاد ، وغيرهم .

واذا نظرنا الى " مجلة الآداب " من هذا المنحى نجد النزعات المستقبلية هي الغالبة ، وأدب القرن العشرين هو المسيطر ، ونادرا مانجد موضوعات تتصل بالاتجاهات الكلاسيكية التقليدية في الفكر العربي أو الغربي على السواء ، فلا نجد فيها دراسات عن عبد القاهر الجرجاني ، اوحتى عن المتنبي الا في مناسبات معينة كالمهرجانات الشعرية . كما لانجد عن تشارلز ديكنز مثلا ، على حين تتكاثر الدراسات والترجمات عن سارتر ، ودعوته الى الالتزام التي يتقيد بها صاحب "الآداب" ونرى دراسات عن " جيمس جويس " و " فرجينيا ودل " وعن علم النفس وعلاقته بالأدب ، وعن الفنون

---

(١) طبانة ، بدوى . التيارات المعاصرة في النقد الأدبي . ص ٣٠٢ بيروت

(٢) علي ، أسعد . مجتمع العرب وشخصيتهم في البلاغة ص ١٢ و ١٣ بيروت

التشكيلية وصلتها في المدارس الأدبية ، وما الى ذلك من مشكلات هي من صميم اهتمامات الأديب المعاصر والباحث الحر الذى يسعى الى معرفة الحقيقة (١) .

واذا اعتبرنا "مجلة الآداب" نموذجا للمجلة الأدبية المؤثرة في الثلاثينات والاربعينات فسنجد اهتمامها الاولي الاساسي ، كان بالتراث والموضوعات ذات الطابع الانشائي التأملي ، فاذا جداءت الى الشعر ، فانها لاتعرف الا الشعر العمودى في إغراضه التقليدية المألوفة ، وصياغته ذات النزعة الخطابية غالبا ، واللغة المصقولة دائما .

اذن ، جاءت الآداب لتتبنى الدعوة الى التجديد ، ولم تعد القصص فيها تسلية وترفيها ، وانما صوامع مع القيم المستقرة التي تحولت الى نوع من الصدأ الاجتماعي مما سنعرض له بالتفصيل ، كما صار الشعر تفاعلا حيا مع قضايا الانسان بصفة عامة ، وقضايا المجتمع العربي أولا وأساسا .

ولكن ، هل استطاعت "الآداب" ان تحافظ على الاتجاه الذى اتخذته هدفا لها ولم تسقط في التقليد وتنشر قصصا تقليدية ؟ بالعودة الى الاحصاء العام الذى قمت به عن القصة ، أستطيع القول : إنها لم تسقط ، وظلت محافظة على اتجاهها التجديدى الذى التزمت به منذ ولادتها .

ونستطيع أن نوجز ما استعرضناه بالنقاط التالية :

ان كل جديد يصير تقليدا بدوره في عصر تال ، ارتباطا بسنة الحياة وتطورها فمثلا : أبو تمام ، والبحترى ، وأبو نواس شعراء مجددون في عصرهم . وشوقي ، وبشارة الخورى (الاخطل الصغير) وعلى محمود طه ، وخليل مطران ، من معاصرينا ، ومع ذلك تجاوزهم العصر ، على الاقل ، في رأى دعاة الشعر الحر ، ومؤسسي حركته الجديدة ، وليس في ذلك شيء من الغرابة .

فقضية التجديد قضية مستمرة ، وكذلك قضية التقليد قضية مستمرة ، واذا كان المجددون دعاة مستقبل وتغيير .. ومحاولة تكيف بأوضاع الحياة المتغيرة ، فان المقلدين سيجدون صحبتهم أيضا في التمسك بالاصول والحفاظ على معاني العراقة ، والاستمرار في فكر الامة

---

(١) الحقيقة التي نريدها هي ماينفع الانسان ويرفعه ، ويجعله حرا مبدعا ، ينطلق من واقعه البشرى مرتقيا الى مثله الاعلى ، مرتكزا على ركائز الجماء الموفق بين المادية والروحية وبين الفردية والاجتماعية ، وبين الذات والموضوع ، وبين القول والعمل .
أسعد علي ، مجتمع العرب وشخصيتهم في البلاغة . ص ١٣ بيروت

وألوان تعبيرها .. ولسنا الآن بصدد اتخاذ موقف من قضية التجديد[١] والتقليد ، وان كان اكتشاف نقطة وفاق بين الجديد والقديم ليست بالامر العسير ، على أنه سيكون دائما من الصعب اعتبار الجديد في حاجة الى تبرير . فالحياة دائما متجددة ، والتعبير عن هذا التموج في حركتها النامية من أهم مبررات البقاء والرقي .

٢ — وقد جاءت "مجلة الآداب" في فترة قلق اشتد فيها الصراع بين التجديد والتقليد ، ليس في الادب فحسب وانما ايضا في مناهج السلوك ، اى العادات ونظام العمل ، وقيم الحياة الاجتماعية ، فضلا عن الفكر والثقافة ، ومن ثم فان اتخاذها موقفا واضحا من هذه القضية لم يكن منه مناص .

والآن ، لابد لنا أن نستعرض بعض الموضوعات في صورة عناوين سريعة لنرى في أى الجهتين تنحاز هذه المجلة .

١ — بالنسبة للقصة :

لم تهتم المجلة "بأصحاب القصص التقليدى او الكلاسيكي ، مثل "تيمور" الذى لم يجد لنفسه مكانا ، ولم تنشر عنه شيئا : سوى المقابلة الاذاعية المطولة التي أجراها معه الاذاعي "فاروق شوشه" تحت عنوان "مع الآداب"[٢] .

وفي القصة المترجمة ، لانجد تركيزا على تشارلز ديكنز ، على أهميته ، على حين نجد الاهتمامات تتجه الى أصحاب الاساليب الحديثة المهتمين بعالم النفس ، وتصوير المشاعر الداخلية ، مستعملين اسلوب تيار الوعي من أمثال "جيمس جويس" وفرجينيا وولف ، او المعبرين عن أزمة الجنس المعاصرة ، أمثال : البرتو مورافيا[٣] .

٢ — بالنسبة للشعر :

نرى مجلة الآداب تحتفي احتفاء شديدا بـ : عبد الوهاب البياتي وبدر شاكر السياب ، ونازك الملائكة ، وفدوى طوقان ، وأدونيس ، وتتجاهل تراثنا الشعرى ،

---

(١) "وجملة القول ان معركة المحافظة والتجديد كانت في نتائجها كسبا للفكر العربي كله ، كان هدف المحافظين حماية اللغة ، وكان هدف المجددين رفعنا الى مصاف الغرب ولكن المجددين أسرفوا فطالبوا بأن ننقل كل شيء فأحس المحافظون أن عليهم واجبا هو أن يقفوا دون التراث الذى يجرى تحطيمه ، واللغة التي يحاول هدمها والامجاد التي يغض من شأنها . فدافعوا عن اللغة والامجاد والتراث في نفس الوقت الذى حمل فيه المتطرفون لواء الدعوة الى النقل كاملا من الغرب .

وأمكن أن تصل المعركة في نهايتها الى شيء وسط : هو أن لنا شخصية عربية لها ملامحها الواضحة .. وأن هذه الملامح يجب ان تبقى وان تزداد قوة ووضوحا ، وأن لنا أن نفتح النوافذ للآراء والنظريات الجديدة فنأخذ منها مايتفق مع خاصيتنا ، وما يزيد عن شخصيتنا قوة وما يدفعها الى الامام في ركب الحضارة . فلا تختلف دون أن يؤثر ذلك علينا أو يؤدى الى مسخ معالم شخصيتنا" .

١ — الجندى ، أنور . المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة عام : (١٨٤٠ — ١٩٤٠) م (٨٦٩ و ٨٧٠) مطبعة الرسالة ١٩٦١ .

(٢) راجع الاداب . ع ٦ و ٧ و ١٠ و ١٢ س ١٩٦٠ .

(٣) راجع الاداب ع٤ و٥ و٨ س٣ ٥ وع٦ س٥ ٥ وع٢ و٣ س٦ ٥ وع ٤ وع٥ وع ٩ و ١٠ س ٥٨ .

فلا تنشر منه مختارات ، أو تنشر عنه دراسات كما كانت تفعل المجلات الأدبية الأخرى ، كالأديب " و " الرسالة " وان كانت تنتظر أن تفعل ذلك في المهرجانات الشعرية حين تنعقد لتحية شاعر قديم (١)

٣ - بالنسبة للنقد :

لاتستحين "الآداب" بالاقلام التي صحبت الأدب العربي في عصور تقليده ، أو تفتحه نحو التجديد مثل محمد مندور ، وانما نراها تهتم بالنقاد الذين عاشوا فترة التجديد وحدها من أمثال : رجاء النقاش ، غالي شاكر . وحين يكتب عبد الحي ذياب سلسلة من المقالات تحت عنوان " القبلية النقدية " (٢) فانه يكشف في هذه السلسلة عن مخاطر الاستسلام في الاتجاه الواحد للنقد ، ورفض ماعداه ، ولو كان هذا الاتجاه هو التجديد (٣) .

٤ - بالنسبة للفلسفة :

نراها تحتفي في فلاسفة القرن العشرين ، الذين يعالجون الانسان المعاصر (٤)

٥ - بالنسبة للغة : (٥)

كان اسلوبها مبتكرا جديدا ، مخالفا لأسلوب القدماء ، وامتازت لغتها بحيوية جعلت أسلوبها محببا لاكبر عدد ممكن من القراء ، وحققت النزعة الديموقراطية بدلا من

---

(١) انظر الاداب ع ٧ ص ٥٤ و ع ١ و ٣ و ٧ ص ٥٥ وع ٦ و ٧ و ٨ ص ٥٨ .
(٢) " " ع ٥ و ٧ و ٨ و ٩ و ١١ ص ٦٣ .
(٣) " " ١ و ٢ و ١١ ص ٥٣ و ع ٧ و ٩ ص ٥٦ .
(٤) " " ع ٢ و ٨ ص ٥٣ و ع ٦ و ١٠ / ١٥٦ .
(٥) في رأى العلامة الشيخ عبدالله العلايلي عن تأثير الصحافة في تطوير الاسلوب الكتابي :
انها كانت عاملا أصيلا في انزال الاسلوب العربي من ارستقراطيته وأبراجه العاجية كما أضفت عليه صفة التطويع بحيث يتناول المعطيات الحضارية عامة ، ثم كل مايفتق عن الذهن البشري ، ففضلها في هذه الناحية غيرمنكر ، بل أقول وأتمنى أن لايأخذ علي " ناقد " انها أحدثت قفزة تطورية استطاعت بها أن تصعد - نوعا ما - بالعامية وأن تهبط - نوعا ما - بالفصحى المتأنقة ، في اتجاه الاسلوب يكون قدرا مشتركا ، ولقاء خيرا بين مانسميه التعبير الاصيل "والآخر الدارج ، وانصافا للحقيقة لايسعني الا أن أنوه بمجهود هو من المجهود الصحفي نهض بعبئه الاديب الكبير عبد القادر المازني الذى وفّق ايضا في تطويع العربية تطويعا شبه كامل . ويتراءى لي كأنني أبصر ماينطوى عليه الغد القريب من اعتماد الاسلوب الصحفي اعتمادا أدبيا فكريا .

وهذا التقرير شبه حتمي ، يفرضه مايسميه علم النفس بعدوى الفكر والشعور : فالجمهرة الغفيرة إنما حظها زادها من القراء منصبا على الصحف ، وهم شاءوا أم أبوا ، يتأثرون بأسلوبها على أنك لو أمعنت النظر ، أو محصت اليوم اسلوب أضخم كتاب العربية وأدبائها لوجدتهم تأثروا دون شعور بالاسلوب الصحفي .

ولذا أتمنى على الذين يحنون بمناهج النقد افساح المجال الكبير لما يسمى " الاسلوب الصحفي " . لانني اؤمن بأنه أسلوب الغد .

مروة ، أديب . الصحافة العربية ص ٤٤٠ الحاشية . لبيروت . دار الحياة ١٩٦١ .

النزعة الارستقراطية التي كانت تتميز بها الكتابة في القرون الماضية • ونستطيع القول: إن كل عربي كان يرى في "الآداب" ما يحتاج اليه ، وما يقدر على فهمه •

٤ - مجلة الآداب والاوضاع السياسية وانعكاساتها عليها كأزمات :

الراجح ان لمجلة "الاداب" موقفا دائما ، فهي انحياز دائم لقضية الوحدة العربية • وحملة على الشعوبية والانفصال ، وتحية مستمرة للتجديد ورغبة فيه ، وسخرية مُرّة من التقليد والجمود الذى حجبته عن صفحاتها ما أمكنها ذلك • لقد كان هذان الهدفان بمثابة سلاح ذى حدين و فكما كانا وراء انتشارها السريع ونيلها لثقة القارئ العربي الجديد ، فان هذا الانتشار كان علامة على مدى خطورتها على الأوضاع السياسية ، والتي كان لها نتائج عكسية على تسويق المجلة في البلاد العربية ذات الاتجاه الاستعمارى غير القادر على التحرر من قبضة الاستعمار او المرتبطة بنظم الحكم التقليدى التي تعمل على استعباد الشعوب ، وتلعب بمقدراتهم ، الامر الذى دفع المجلة الى محاربة هذه النظم وهذه الاتجاهات محاربة بلا هوادة ، رغم ماكانت قد تستطيع الحصول عليه من مكاسب مادية ، وما تلاقيه من تشجيع ومساعدة مقابل صمتها ، ولكن مبدأ الالتزام القومي الذى تؤمن به هذه المجلة التزام الدعوة الى الوحدة والاشتراكية ، المبنية على العدالة الاجتماعية ، جعلها فريسة هينة وفي متناول اليد المجرمة ، فمنعت من دخول بعض الدول العربية(٢) • فانعكست عليها هذه القضايا التحررية كأزمات ، كان القصد منها القضاء عليها ، ولكنها بهمة صاحبها ، صمدت أمام جميع التحديات والقوى المعادية ، واشتدت صلابة في الدفاع عن الحق الذى تؤمن به ، والذى يتطلع اليه الشعب العربي بأسره •

قال لي سهيل ادريس:(٢)

" كنا نعاني أزمات مالية بسبب منع المجلة في عدد من البلاد العربية ، وخصوصا في العراق ، أيام نورى السعيد(٣) ، حيث كانت المجلة تتعرض للمنع فتخسر معظم قرائها الذين كان العراق يشكل قواتهم الأساسية • ولكن المجلة صمدت امام الأزمات ولا تزال حتى اليوم ، بعد ان دعمتها ولا تزال تدعمها "دار الآداب" •

---

(١) العراق : كانت الاسباب سياسية ، تحررية ، وحدوية •
السعودية : كانت تحررية اجتماعية ، واشتراكية •
مصر : كانت محسوبة على مصر في عهد جمال عبد الناصر ، ولدفاعها عن الكتّاب المصريين وحقهم في التعبير •
الاردن : لدفاعها عن القضايا العربية من خلال الشعب الفلسطيني والمجازر التي حصلت في ايلول ١٩٧٣ •
سوريا والمغرب العربي : تمنع لأسباب مختلفة ، لاتخرج عن نطاق القضايا السياسية والتحررية والاجتماعية •

(٢) مقابلة أجريتها معه يوم ٧/ ٦/ ١٩٧٥ الساعة التاسعة صباحا في دار الآداب بيروت •

(٣) راجع العدد العاشر ص ٥٤ فيه الشروط التي فرضها الحكم العراقي ، لامكان ادخال الآداب الى العراق •

"كانت الآداب" تنشر مقالات قومية تتحدث فيها عن القومية العربية والحرية مما كان يؤذي البلاد التي تتعارض مع التحرر العربي ، فمثلا السعودية ، فالمجلة لاتزال ممنوعة من دخولها الى الآن ، وكثيرا ما منعت وتمنع من دخول الاردن ، لانها تدافع عن الفلسطينيين والمجازر التي حدثت في أيلول ١٩٧٣ • وكذلك منعت من دخول مصر في السنة ذاتها بسبب تبنيها لموقف اتحاد الكتّاب اللبنانيين في تونس، والذي كان يدين سياسة التضييق على الفكر في مصر ، ومنع الكتّاب من ممارسة حقهم في التعبير ، ولكونها المجلة المنتشرة في مصر ، كان سراتبال الكتّاب المصريين على الكتابة فيها" •

" ان الآداب مجلة قومية عربية ، لاشرقية ولا غربية ، وهي تضع حرية الفكر فوق كل اعتبار ، وهي أخلص لقضيتنا القومية العربية من أن تستقي خطتها من موسكو أو من واشنطن او من لندن او من باريس ، وان الاخلاص لهذه القضية يقتضينا محاربة كثير من الآفات التي تنخر كيان الامة العربية كالاستعمار ، والاقطاع ، والاستثمار ، كما يقتضينا الدعوة الى كثير من المبادئ الرفيعة كالنزعة الانسانية والعدالة الاجتماعية "

واذا نظرنا الى القصة في مجلة الآداب من منطلق القومية العربية ، نجدها لم تكن بمعزل عن هذه الاحداث التي تتحكم بالعالم العربي [1] ، فكانت معظم القصص المنشورة في "الآداب" تعبر عن الهموم القومية ، ونضال أفراد الشعب العربي من أجل التحرر والتقدم ، وبطبيعة الحال عن القضية الفلسطينية ، من حيث المقاومة والفلسطينيين والمثقفين الملتزمين ، وكذلك معارك التحرر الاجتماعي •

ونستطيع القول : إن الأوضاع القائمة في العالم العربي هي التي كانت تفرض هذه الانعكاسات على المجلة ، والاضطرابات السياسية المستقبلية في العالم العربي حتى في داخل الاتجاه السياسي الواحد ، وموقفها القومي واضح ، ومن الصعب مداراته ، وكذلك فتحت صفحاتها لكتّاب كبار ، كان لهم مواقفهم السياسية المعروفة ، وعقائدهم الفكرية المعلنة ، ويصبح من الصعب عليها ان تعتذر عن النشر لهم حين يتعرض هذا الكاتب او ذاك الى الاضطهاد في بلده او مصادرة فكره •

٥ - أبواب المجلة :

من الواضح ان مجلة الآداب ارتبطت بأبواب ثابتة ، ولا تزال ، بيد أنها استطاعت أن تطور هذه الأبواب حسب مقتضى الزمان والمكان ، ودأبت على تقديم كل شيء جديد ، ارتباطا بخطتها التي وضعتها لنفسها ، وتقيدت بها ، ولم تنحرف عنها رغم الصعوبات التي واجهتها ، وحاولت أن تجرفها عن خط سيرها القومي •

واذا حاولنا أن نستخلص الاتجاه العام لهذه المجلة ، نراها التزمت بكل شيء

---

(١) لايخلو عدد من مجلة الآداب الاوفيه اكثر من قصة وطنية •

جديد ، في الادب ، وفي الحياة، وتدمت للقارئ العربي كل ماتستطيع ان تقدمه مجلة أدبية ملتزمة بالقضايا الوطنية ، والادبية ، والاجتماعية ، سواء كان على الصعيد العربي او كان على الصعيد الغربي بالنسبة للادب والفلسفة والتاريخ والاجتماع ، وكل مايدور بفلك هذه الانواع •

وبإلقاء نظرة فاحصة على فهرس المجلة نجد ان كل عدد تقريبا من مجموع اعدادها طيلة اثنتي عشرة سنة لا يخلو من الابواب التالية :ـ

١ ـ باب الابحاث ـ ٢ ـ باب القصائد ـ باب القصص ـ ٤ ـ باب النشاط الثقافي العربي ـ ٥ ـ باب النشاط الثقافي في الغرب •
٦ ـ باب النتاج الجديد • ٧ ـ باب المناقشات ـ ٨ ـ باب قرأت العدد الماضي •

واذا نظرنا الى كل باب على حدة ، نجده يعالج قضايا الساعة ، أي يرتبط بها زماناً ومكاناً •

١ ـ باب الأبحاث : يتناول المهم من الابحاث الضرورية ، سواء نقدية او اجتماعية او علمية ، ويحاول ان يظهر العلاقة بين هذه الابحاث والحياة التي وجدت فيها •

٢ ـ باب القصائد ، والشعر : يتناول كل جديد في الشعر ، ويحاول أن يسبق الزمن في تطوراته ومعانيه التجددية • ولم يكرس هذا الباب للشعر العربي القديم لان سياسة المجلة سياسة تجديد والتزام في كل شيء جديد ،

٣ ـ باب القصة : يهتم بأصحاب الاساليب الحديثة من المهتمين بعالم النفس ، وتصوير المشاعر الداخلية ، والقضايا الاجتماعية والسياسية التي تعاني منها الامة العربية ، كما يهتم هذا الباب بالقصة الغربية ، ويترجم أفضلها •

نرى أن هذه الابواب قد تعرضت للنقد المستمر في المجلة نفسها ، الا أن الابواب الاخرى لم تتعرض للنقد ، مع أنها من الابواب الرئيسية المهمة ، وتشكل عنصراً أساسياً من عناصر المجلة •

٤ ـ النشاط الثقافي في الغرب : والمقصود منه متابعة الافكار الجديدة • والمذاهب الادبية المستحدثة في الغرب ، ونقلها بمجرد ظهورها الى المثقف العربي ولو في صورة تلخيصات سريعة ، او اخبار مختصرة عن ظهور كتب جديدة او ما أشبه ذلك •

٥ ـ النشاط الثقافي العربي : حيث الامر يختلف ، فبالاضافة الى وظيفة التعريف بالنشاط الفني في مختلف البلدان العربية نجد أن من أهداف هذا

الباب الثابت ايجاد قاعدة مستمرة من المثقفين العرب في مختلف أنحاء الوطن العربي ، والتي تتعامل مع المجلة ، وتمدها بالأخبار وتتلقاها من حيث مد جسور المعرفة بين أبناء الأمة الواحدة عبر أداة توصيل منتظمة وموضع ثقة من الجميع .

ان باب " النشاط الثقافي في العالم العربي وفي الغرب " من أهم أبواب المجلة لارتباطها بالقارئ ارتباطا متينا من حيث يمدانه بصور تكون صادقة عن الوضع الأدبي في البلاد العربية والأجنبية ، والأمثلة كثيرة في كل عدد من أعداد المجلة تحت عنوان هذين البابين ، وفيهما تصوير عميق يتصيد الثقافة العربية بارغامها على السير في الاتجاه الصحيح الذى يرفضه المتزمتون من دعاة القديم .

٦ - واذا نظرنا الى باب " قرأت العدد الماضي " نراه كأ ، عملية تقويم لوزن المجلة ، فكأن كل عدد يزن سابقه ، ويضعه تحت ضوء النقد ، وبأقلام مشاركة بصورة مستمرة في مادة المجلة ، وتبقى له وظيفته النقدية من حيث متابعة النتاج الجديد أولا بأول ، وتنشيط الحوار النقدى ، فقد يحدث أحيانا الا يرضى الكاتب المنقود عن ما وجه الى عمله الفني من نقد ، فيكون الردّ ، وأحيانا الردّ على الرد ، ونكتشف أننا بازاء معركة نقدية تفرز الجيد والصالح لسعي أكثر الأحايين .

٧ - والحقيقة الثابتة أن باب " النتاج الجديد " يجب أن يعطي أهمية كبيرة في المجلة ، وان كانت لاتسيره الاهتمام الواجب ، حيث يشكو هذا الباب الضعف والهزال ، ومن الواجب أن تكرس له مجلة "الآداب" أقلاما نقدية قوية وصريحة ، ليتوجه الأدب نحو الخلق والابداع الجديدين ،

٨ - "باب المناقشات" نجده ذا فائدة كبيرة ، ومتعة صادرة عما يولده الاحتكاك الفكرى "من آراء وتأملات وملاحظات قد تتميز بالجدة ، من حيث مفاهيم القارئ ، ومن حيث التفرج على كل نزاع او معركة ، او مصارعة ، ولا شك أنه باب حي يتيح لجميع القراء أن يشاركوا في ابداء آرائهم ، فيتم بذلك التجاوب بين القارئ والقارئ التجاوب الذى يجعل منهما نزلاء مدرسة واحدة ذات مفاهيم متعددة .

كان لمجلة الآداب دورها الكبير في الحركة الأدبية والفكرية ، كما كان لها شوط واسع في حركة الالتزام الادبي والسياسي ، والاجتماعي ، حيث فتحت أمامه الآفاق ، فأذاعته ونشرته على نحو لم يكن يتحقق عن طريق الكتب المطبوعة ، كما كان لها أثرها في ابراز عدد كبير من الكتاب الذين لمعت أسماؤهم عن طريقها ، وكان لها ايضا أثرها في معالجة وتطوير قضايا الفكر والسياسة .

ولم تكن رسالة الآداب محصورة بالتشجيع على التعبير وظهور أدباء العصر الحديث بل أوصلت - عن طريق الترجمة - الفكر الغربي الى المثقفين العرب ، وأكملت رسالة التمازج الثقافي بين الشرق والغرب .

ونستطيع القول أن "مجلة الآداب" كانت مدرسة بذاتها ، تخرّج من على صفحاتها معظم الأدباء العرب الشبان ، واحتلوا مراكز أدبية مرموقة ، منهم من اتجه الى ميادين أخرى ، غير ميدان الصحافة ، وآخرون أشرفوا على مجلات أدبية أو شاركوا في تحريرها ، ويدينون "للآداب" بأنها احتضنت مواهبهم وساعدتهم على تنمية هذه المواهب وجهتها بما كان يقدمه نقادها من تحليلات وملاحظات .

كما نستطيع أن نقول إن "الآداب" أصبحت مرجعا رئيسا لدراسة تطور الأدب العربي الحديث في النصف الثاني من هذا القرن ، وقد ساعد خطها الملتزم على تقديم الوثائق التي تتيح لعلماء الاجتماع ان يدرسوا هموم المجتمع العربي المعاصر عبر انتاج الشعراء والقصاصين والنقاد .

ولا نستطيع أن ننكر ان مجموعات مجلة الاداب أصبحت تحتل مكانها في كثير من المكتبات العالمية والعربية الى جانب المراجع الاجنبية والعربية الكبيرة والموسوعات والمعاجم الأمر الذي يجعل دورها فعالا في الأدب والحياة ، وخصوصا وهي تتناول أكثر من جيل واحد في الأدب على اختلاف مذاهبه وأنواعه .

الفصل الثاني

اللغة

اللغة : من لغا ، اللغو واللغا : السقط وما لايعتد به من كلام وغيره ، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع .

واللغة ، من الأسماء الناقصة ، وأصلها لغوة من لغا اذا تكلم [1]

واللغة في الاصطلاح : " هي وسيلة الاتصال بين البشر في شكل أصوات منظمة ، وهي التي يتم بوساطتها تبادل الأفكار بين شخص وآخر ، وهي السمة الفريدة التي يتميز بها الجنس البشري ، ولاكتساد نعلم شيئا عن أصل نشأتها ، غير أن العلماء يعتقدون أن الناس ظلوا يستخدمونها منذ أمد بعيد ، اذا قورن تاريخ الكتابة الذى لايجاوز (٦٥٠٠) سنة ، عد ضئيلا بالنسبة لنشأة اللغة " [2] وهي مرآة الأمة التي تعكس تجربتها في الحياة ، وكذلك هي الأداة التي يعبر بها الفرد عن أحاسيسه ومشاعره وعواطفه وحاجاته .

من الأمور الثابتة التي تكاد تندرج تحت البديهيات ، أن اللغة ، عامل أساسي من عوامل تكوين الأمم ، والمجتمعات الانسانية ، ولا توجد أمة بدون لغة ، بل يمكن تأطير قصة الحضارة العالمية جمعاء في ذلك الحوار المتواصل مابين اللغة والفكر ، وانعكاس تلك العلاقة على التقدم الاجتماعي الشامل ، في ذلك التزاوج مابين العلم والعمل ، وما بين الطاقة والمادة . واللغة أبدا في الحالين - كعامل للفكر - تلك الوشيجة الحية في العلاقة الجدلية القائمة مابين البنية التحتية - وتعكس عوامل التقدم الاجتماعي - بالبنية الفوقية - معيار هذا التقدم وصورته الحية [3]

ان من أجلّ وسائل وأهداف التربية القومية العناية بلغتنا العربية ، من حيث انها المقوم الأساسي لفكرتنا القومية ، انها بمثابة العمود الفقري لجسم هذه الأمة .

اذا نظرنا الى اللغة العربية من الناحية القومية ، نجدها كانت الضامن الوحيد لوحدتنا فيما مضى ، كما هي الضامن الأكيد والوحيد لوحدتنا المستقبلية ، فجدير بنا أن نحرص عليها الحرص كله ، وحريّ بنا أن نعتز بها العزة كلها وأن نبقيها حية " بكل مافي الحياة من معان ، وأن نقاوم بلا هوادة كل دعوة هدامة ، لاقامة اللهجات العامية المحلية مقام اللغة الفصحى ، وأن لانلين ، بتأثير ما في العامية من سهولة وعذوبة أحيانا

---

(١) المعجمات

(٢) الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١٥٥٧ ط ١ دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٥ م .

(٣) تاج العروس ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ج ١ المقدمة ص و ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م مطبعة حكومة الكويت .

أو نتسامح في جعلها لغة التعليم او التثقيف ، لأن أول مافي هذا من خطر أن يحيلنا الى أمم ، ولا يبقينا أمة واحدة • وان استعمالنا اللهجات العامة يفقد العربية ميزتها الأساسية بين اللغات القديمة ، وهي كونها لغة حية مستعملة وليست لغة الكتاب والدراسات الادبية العالية فحسب كما هو شأن الاغريقيين واللاتينيين مثلا (١) • وقد أجمع المختصون بدراسة اللغات على أن اللغة العربية تتمتع بعدة صفات تؤهلها للبقاء والاستمرار في أداء مهمتها ، فهي تمتاز بالغنى والقوة والمرونة ، وهي قابلة لتطور الحياة ، ولقد قاومت من صروف الدهر وخصومة الاعداء ، مالم تقاومه أية لغة مما يدل على أن اللغة العربية تتمتع بحيوية عظيمة (٢) •

وكلما اتسعت حضارة الأمة ، وكثرت حاجاتها مرافق حياتها ، ورقى تفكيرها ، وتهذبت اتجاهاتها النفسية ، كلما نهضت لغتها وسمت أساليبها ، وتعددت فيها فنون القول ، ودقت معاني مفرداتها القديمة ، ودخلت فيها مفردات أخرى عن طريق الوضع والاشتقاق والاقتباس للتعبير عن المسميات والافكار الجديدة • ولغتنا العربية أصدق شاهد على هذا ، فقد كان لانتقال العرب من همجية الجاهلية الى حضارة الاسلام ، ومن النطاق العربي الضيق الذى امتازت بهقدنيتهم في عصر بني أمية الى الافق العالمي الواسع الذى تحولوا اليه في العصر العباسي ، كان لهذين الانتقالين أصل الاثر في نهضة لغتهم ورقي أساليبها واتساعها لمختلف فنون الأدب وشتى مسائل العلم ويتأكد ما نتوخاه اكثر فأكثر حينما نستل من علم النفس تحديده لوظيفة اللغة: على أنها الوسيلة التي يمكن بها تحليل أية فكرة او صورة ذهنية الى أجزائها وخصائصها ، والتي يتأتى بها تركيب هذه الصورة مرة اخرى ، ويلخصون نواحي وظيفتها بما يلي : -

١ - انها تجعل للمعارف والافكار البشرية قيما اجتماعية بسبب استخدام المجتمع لها للدلالة على ما يعتمل فيه •

٢ - انها تحتفظ بالتراث الثقافي جيلا بعد جيل •

٣ - انها وسيلة تساعد الفرد على تكييف سلوكه وضبطه كي يناسب تقاليد المجتمع وسلوكه •

٤ - انها تزود المرء بأدوات التجريد الفكرى والتأملي •

---

(١) قد لا يكون للامة اية لغة قومية مستقلة ، كما هو الشأن في النمسا ، فان لغتها هي الالمانية • وقد يكون للدولة أكثر من لغة رسمية واحدة كما هو شأن سويسره ، فان بها ثلاث لغات رسمية : الالمانية والفرنسية والايطالية • وقد تكون اللغة الرسمية ولغة الكتابة في الامة هي اللغة القديمة التي انشعبت منها لهجتها كما كان الشأن في اللاتينية بفرنسا وايطاليا واسبانيا والبرتغال ورومانيا ، وكما هو الشأن في اللغة العربية الآن بمصر والسودان وبلاد المغرب وشمال افريقيا " علم اللغة " علي عبد الواحد وافي ، الحاشية ص ١٧٠ ط ٣ ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠ م لجنة البيان العربي - القاهرة •

(٢) تاج العروس ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، ج ١ التمهيد ١٣٨٥ - ١٩٦٠ م مطبعة حكومة الكويت •

ومن وراء هذا يتبين لنا أن كلمات اللغة ان هي الا أوعية الأفكار والوجدانيات كما انها الوسيلة الارقى من وسائل التعبير بما فيها من طواعية او بما لها من امتداد زماني ، ونهوض بالآ إ عن العلاقات المعنوية [1] .

حركة التجديد في اللغة :

تبدو حركة التجديد المقصود في مظاهر كثيرة من أكبرها في التطور اللغوى الأمور الآتية :

١- تأثر الأدباء والكتاب بأساليب اللغات الأجنبية ، واقتباسهم أو ترجمتهم لمفرداتها ومصطلحاتها ، وانتفاعهم بأفكار أهلها وانتاجهم الأدبي والعلمي . فلا يخفى ما لهذا كله من أثر بليغ في نهضة لغتنا الكتابية وتهذيبها واتساع نطاقها وزيادة ثروتها و وأكبر قسط من الفضل في نهضة اللغة العربية في عصر بني العباس يرجع الى انتفاع الأ دباء والعلماء باللغتين الفارسية والاغريقية ، فقد أخذوا في ذلك العصر يترجمون آثارها ، ويعقبون عليها بالشرح والتعليق ، ويستغلونها في بحوثهم ويحاكون أساليبها ، ويقتبسون منها عددا كبيرا من المفردات العلمية وغيرها ، ويمزجونها بمفردات لغتهم عن طريق تعريبها تارة وعن طريق ترجمتها تارة أخرى ، فاتسع بذلك متن اللغة العربية وازدادت مرونة وقدرة على تدوين الآداب والعلوم ..

واليوم يرجع أكبر قسط من الفضل في نهضة اللغة العربية في الاقطار العربية في العصر الحاضر الى انتفاع الصحفيين والادباء والعلماء باللغات الاوروبية ومحاكاتهم لأساليبها ، وتعريبهم او ترجمتهم لألفاظها ومصطلحاتها واستغلالهم في مؤلفاتهم وترجماتهم لمنتجات أهلها في شتى ميادين الحركة الفكرية .

ان للصلات الثقافية أثرها في حياة الأمم والشعوب ، فهي تربط بين طلابها - مهما تباعدت دورها - برباط المودة والمحبة ، وتقارب بين مشاعرها وعواطفها ، كما أنها تتجه بها وجهة فكرية موحدة في تفهمها للمشكلات التي تعترض سبيلها ، وفي السعي لايجاد الحلول المناسبة لها .

ويتم هذا تلقائيا بين الامم المختلفة والشعوب المتباينة ، فكيف به بين شعوب الأمة الواحدة ؟

ان الاتصال الثقافي يكون أكثر فاعلية وآثاره تكون أوضح عمقا ، وأمتنا العربية - على تعدد ما بينها من صلات - قد مرت بها فترة طويلة تحكمت فيها قوى الشر والبغي ، فاصطنعت الحدود بين أقطارها وافتنت في تلوين أجزائها ، حتى لو أوشك بعض أبناء العرب ممن بهرهم زيف المدنية الغربية - أن ينكروا لماضيهم ، ويشكوا في قدرة أمتهم على

---

(١) الصحاح في اللغة والعلوم - التقديم ص . ب العلايلي ط ١ ١٩٧٤ .

استئناف الحياة القوية الكريمة ، معتمدة على نفسها ، ناهضة بكل أعبائها ، وليس منا من يجهل أثر الثقافة المتجانسة والمعارف المتقاربة في التعجيل بالوصول الى تحقيق أهداف الأمة العربية السامية والخروج بها من ضعف الانقسام والفرقة الى عزة الوحدة المتينة والألفة القويمة .

٢ ـ احياء الأدباء والعلماء لبعض المفردات القديمة المهجورة ، فكثيرا مايلجأون الى ذلك للتعبير عن معان لايجدون في المفردات المستعملة مايعبر عنها تعبيرا دقيقا ، لمجرد الرغبة في استخدام كلمات غريبة ، في الترفع عن المفردات التي لاكتها الألسن كثيرا ، وبكثرة الاستعمال ، تبعث هذه المفردات خلقا جديدا ، ويزول مافيها من غرابة وتندمج في المتداول المألوف .

٣ ـ خلق الأدباء والعلماء لألفاظ جديدة ، للتعبير عن أمور مستحدثة في الحياة الاجتماعية أو الفكرية لايجدون في مفردات اللغة المستعملة ولا في مفرداتها الدائرة مايعبر عنها تعبيرا دقيقا . وقد لايضطرهم الى ذلك الا مجرد الرغبة في الابتداع او مجانبة الألفاظ المتداولة المألوفة ، أو ابراز المعنى في صورة رائعة وتثبيته في الأذهان ، وتذليل سبل انتشاره بالاغراب في تسميته . وكثر التجاء الأدباء والعلماء اليها بنوع خاص من تسمية المستحدث من المخترعات الصناعية والمصطلحات العلمية والأحزاب والمبادىء السياسية والاجتماعية ، وفي التعبير عن بعض معان دقيقة في عالم الأدب والفلسفة ، فنأت مؤلفاتهم بهذه الكلمات المصنوعة ، وتألف منها معظم المصطلحات في الفلسفة وعلم النفس والعلوم الطبيعية والطب والصيدلة ، وقد أجاز المجمع اللغوى بمصر الالتجاء الى هذه الطريقة حيث تدعو الى ذلك ضرورة ، بأن لايوجد في مفردات اللغة ، متداولها ومهجورها ، مايعبر تعبيرا دقيقا عن الاصطلاح المراد التعبير عنه ، ولا يخفى مالهذه الوسيلة من أثر في نهضة لغة الكتابة ، واتساع متنها ودقة مصطلحاتها ، وزيادة مرونتها وقدرتها على التعبير (١) .

ونستطيع القول ان الثقافة العربية لم تعرف مرحلة انشط ولا أشمل من المرحلة التي تمر بها الآن ، فقد استوعبت حركتها جميع ألوان المعرفة وحظت في سبيل نهضة

---

(١) لمزيد من الاطلاع راجع :

١ ـ علم اللغة " لعلي عبد الواحد وافي ط ٣ (١٣٦٩ ـ ١٩٥٠م) لجنة البيان العربي ـ القاهرة .

٢ ـ علم اللغة " لمحمد السعران ط١٩٦٢١ دار المعارف بمصر .

٣ ـ من "أسرار اللغة" لابراهيم أنيس ط ٣ ١٩٦٦ مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة

٤ ـ "اللغة" ج . فندريس . ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ط ١ ـ ١٩٥٠ مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة .

٥ ـ اللغة العربية وعلومها" لعمر رضا كحالة ط ١ (١٣٩١ ـ ١٩٧١م مكتبة النسر بدمشق

٦ ـ العربية الفصحى نحو بناء لغوى جديد " الأب هنرى فليش اليسوعي . تعريب عبد الصبور شاهين ١٩٦٦ . المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت .

اتجاهاتها الفكرية خطوات كبيرة ، بما أتيح لها من وسائل الاعداد في التأليف ، وفي الترجمة ، وفي أدوات النشر المتطورة .

من هنا نصل الى الدور الايجابي الذى قدمه ويقدمه سهيل ادريس في خدمة اللغة العربية من جهة ، والأمة العربية من جهة ثانية ، حيث غذى المكتبة العربية بعشرات القصص المترجمة عن اللغة الفرنسية ، وترجماته تزيد على العشرين كتابا بأفكارها الجديدة على الأفكار العربية نتيجة لمشوار الحضارة الفرنسية الذي قطعته سابقة الأمة العربية التي لاتزال تتحسس طريقها في معارج فكركل شيء جديد ،لكن هذه الترجمات لم تكن قادرة على التأثير المباشر في الأدب العربي الحديث بالقدر الذى أثره معجمه "المنهل "[1] حيث أضاف الى المكتبة العربية ايضا معجمه الذى شرح عبر مفاهيمه الألفاظ والكلمات الفرنسية فيكون بذلك قد أدى خدمتين في آن واحد ، هي : تقريب اللغة الفرنسية الى طلاب العربية ، واختياره الألفاظ العربية الملائمة لمعاني الألفاظ الفرنسية .

قبل ان نتناول معجم سهيل ادريس ، لايضر أن نقدم فكرة عامة عن الحركة المعجمية العربية التي لم تر النور الا بعد حركة الفتوح الاسلامية الكبرى ، واختلاط العرب بالاعاجم وبدء مرحلة تدوين اللغة التي ارتبطت أولا بتفسير ألفاظ القرآن الكريم ، وشرح المستغلق من المفردات العربية ، لكن دون اعتماده قاعدة للترتيب ، الى أن تصدى لهذا العمل الخليل بن احمد الفراهيدي ، فكان بعمله الرائد الاول للحركة المعجمية في كتابه "العين " .

ان تطور العمل المعجمي لم يكن في يوم من الأيام ، ليتوقف عند مرحلة بعينها ، أو علم بذاته ، بل هي حركة متطورة تطور الحياة الانسانية ، ومتقدمة تقدم المجتمعات علميا وحضاريا ، وأمتنا العربية التي أفاقت على شمس انبعاثها ليست بمنعزلة عن الركب الحضارى ، أو غائبة عن النهضة العالمية المعاصرة ، ونراها منذ أن احتكتبدنيا الغرب احتكاكا مباشرا نتيجة لحملة نابليون على مصر ، واستقلال الجبل اللبناني بمتصرفيته ، وافتتاح الكلية الاميركية التي غدت فيما بعد الجامعة الاميركية ، ووفود الارساليات التبشيرية الفرنسية وغيرها ، والتي كثيرا تمركزت بمدارس ومعاهد وجامعات ، والثقافة العربية في لقاح مستمر بالثقافات الغربية بوجهيها الحضارى والعلمي ، فضلا على البعثات التي لاينقطع مدها ، والتي تدفع بأفواج الشباب العربي وطلائعه الى الديار الاوروبية والاميركية مما يوسع دائرة معارفنا ويحدونا الى مواكبة الركب الحضارى المتقدم ، ويجعلنا نتلمس التسميات الصحيحة لمصطلحات العلوم الحديثة وأدواتها من طب وفن وهندسة وجيولوجيا وفيزياء وكيمياء .

ومن هنا نرى اتجاه سهيل ادريس الذى كان من أفراد البعثات الذين يمموا وجوههم الرحال في فرنسا ، حيث حصل على شهادة الدكتوراه ، وشهادة معهد الصحافة في

---

(١) معجم فرنسي عربي ، وضعه مع الدكتور جبور عبد النور .

باريس ، الامر الذى شده الى الاتجاه لتزويد المكتبة العربية بمعجم فرنسي عربي ، وأطلق عليه اسم : المنهل .

المنهل : من نهل ، النهل : أول الشرب . والمنهل : الشرب . وهذا الأخير يتجه أن يكون مصدرا . والمنهل : الموضع الذى فيه الشرب [١] .

حاول المؤلفان [٢] من وضع هذا المعجم الفرنسي العربي - رغم المعاجم الكثيرة ، الكبيرة والصغيرة ، المتوافرة في السوق المكتبية - نتيجة لاحساسهما العميق بالحاجة الماسة الى أداة تثقيف وانفتاح على اللغة الفرنسية ، وبالتالي على الحضارة الحديثة في شتى مناحيها ومرافقها ومتطلباتها ، وهو الاحساس الذى حدا بهما الى الاقدام على مثل هذا العمل ، مع مافيه من مصاعب ، وما يقتضيه من بحث وتنقيب وتنحية . ولولا ايمانهما بالاسهام في تطوير المفهوم المألوف في مثل هذه المصنفات باعتماد الأساليب العصرية المنطقية مسايرة للنواميس المعجمية ، ومحافظة على القواعد اللغوية والمعجمية ، لما تعرضا لهذا العمل المجهد بالانجاز المتقن ، وهما على ثقة من أن عددا لايستهان به من التحقيقات والموازنات بين الفرنسية والعربية قد قامت به جماعات من أهل الاختصاص ، وأذيع في مقالات أو في كتب ادبية اوعلمية ، اوفلسفية ، او تضمنته محاضر مؤتمرات وما يزال بعيدا عن متناول طلابه ، وأن في استخراجه من مكامنه وتيسير تداوله ، وادراجه في مصنّف سهل الاستعمال خدمة جليلة تؤدى لحركة النقل التي تعم الامة العربية وبلدانها [٣] .

ويلخص المؤلفان الفوائد التي يستطيع الطلاب الحصول عليها من منهلهما بالآتي :

١ - عنايته بشتى المعارف والعلوم من طب وتشريح ورياضيات وفيزياء وكيمياء ونبات وزراعة وطيور وحشرات وحقوق وتجارة وفلك وفلسفة وعلم نفس ومنطق ، ولغة وأثريات . ومما يسهل فهم المصنفات العلمية الفرنسية بالاضافة الى الكتب الادبية ، وييسر الاستيعاب على القارئ والعمل على المترجم .

٢ - احياؤه الكلمة الفرنسية بذكر مقابلها العربي مباشرة ، ثم بانزالها في جمل مفيدة تبرز معانيها وظلالها المتنوعة ، وتعيّن مداها وحدّها في كثير من الدقة ، وهو في هذا المنهج المبتكر يسدد خطى من يستعمله الى المعنى المقصود ، ويضع بين يديه ترجمات جاهزة لجميع العبارات التي يمكن ورود اللفظة فيها ، وبذلك يقترح حلولا لكثير من قضايا النقل من الفرنسية الى العربية .

٣ - توخّيه الاتيان بلفظة عربية واحدة لمعادلة اللفظة الفرنسية ، وتنكّبه عن الاكتفاء بالتجديد وحده ، وبذلك باللجوء الى وسيلتين : الاولى ، تعميق البحث للاهتداء الى اللفظة الموافقة اذا كانت موجودة في المعاجم العربية ، او يمكن اشتقاقها . والوسيلة

---

(١) المعجمات .

(٢) جبور عبد النور ، وسهيل ادريس .

(٣) راجع تصدير القاموس ، التفاف على رأى المؤلفين .

والوسيلة الثانية ، هي الاكتفاء بجزء أساسي من التجديد تسهل به عملية الترجمة ، وانزال ماتبقى من التجديد داخل قوسين معكوفين •

٤ ـ ايراده تحديدات موجزة للكلمات العويصة أو القليلة الشيوع أو الدالة على اختصاصات علمية ومذاهب أدبية وفلسفية وفنية ، وبذلك يخرج من التقليد المتبع عادة في المعاجم الثنائية اللغة المقتصرة على ذكر كلمة في مقابل أخرى ، كما هو جار في المعاجم الموضوعة باللغات الغربية ويدخل في نطاق الموسوعات الموجزة •

٥ ـ اسهامه الفعلي باغناء العربية بمئات الألفاظ المشتقة السهلة الاستعمال ، الواضحة المدلول ، الموضوعة حسب الاوزان والأقيسة المتعارف عليها •

واذا نظرنا الى المراجع العربية نجد ما ثماني وعشرين مرجعا ، بالاضافة الى أحد عشر مرجعا أجنبيا •

وعدد الصفحات ١٠٩٨ صفحة من القطع الكبير •

ان مثل هذا المعجم الضخم يحتاج الى خبرة سنوات طويلة في الدراسات اللغوية والتعليم وفي الترجمة من الآثار الفرنسية ، للكشف عن متون اللغة الفرنسية والعربية والتحقيق في أمهات الترجمات بين هاتين اللغتين ، والاطلاع على نتائج المحاولات السابقة في ميدان المعاجم المزدوجة اللغة ، وثمار جلسات العمل في المجامع العلمية العربية ، وتحقيقات المكتب الدائم لتنسيق التعريب وأعمال اللغويين الاختصاصيين في الجيوش العربية والمؤتمرات العلمية والاطلاع ايضا على مئات الألفاظ المنحوتة للدلالة على معان حضارية حديثة ، والمفردات العربية القابلة للالفاظ الفرنسية في شتى الفنون والعلوم وأبواب المعرفة ، بالاضافة الى تعريفات موجزة ودقيقة تتناول المدارس الفلسفية والمذاهب الأدبية الفنية والنباتات والحيوانات والمواعين والرياش وسائر مظاهر الحضارة ، بالاضافة ايضا الى ثمانين ألف مادة ، مع استعمال معظمها في جمل مفيدة تعلم اللغة الفرنسية وترجمتها العربية •

من هنا نجد دور سهيل ادريس وتأثيره في اللغة العربية ، حيث زوّد المكتبة العربية بترجمات فرنسية كثيرة [1] بالاضافة الى هذا المعجم الذى يعبر بصدق عن قيمة مؤلفه العلمية والأدبية •

---

(١) اكثر من عشرين مترجما لسارتر ، وغيره من الكتاب الفرنسيين منها على سبيل المثال لا الحصر: دروب الحرية ، والغثيان ، وسيرتي الذاتية لسارتر •
والطاعون • لألبير كامو • وهيروشيما حبيبتي ، لمارغريت دورا ••

اتحاد الكتّاب اللبنانيين

الاتحاد في اللغة ، هو امتزاج شيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئا واحدا ، وهو عند الصوفيين : الاستهلاك بالكلية في الله ، والفناء عما سواه ، وهو بهذا يتصل بالحلول ، ويتعارض في نظر أهل السنة مع وحدانية الله (١) .

والاتحاد في الاصطلاح ، هو تنظيم ثقافي ، أو سياسي ، أو اجتماعي ، أو ديني ، أو دفاعي يقوم على أساس من التعاون بين الأعضاء المتحدين أو الدول المتحدة ، والغرض منه العمل من أجل مصلحة جميع المتحدين على اختلاف أغراض هذه الاتحادات .

واتحاد الكتّاب اللبنانيين ، هو عبارة عن جمعية أدبية ، تأسست في لبنان ، مركزها بيروت . وأعضاؤها المؤسسون هم : سهيل أدريس ، ومنير البعلبكي ، وعلي أحمد اسبر المعروف " بأدونيس " وجوزيف مغيزل ، لبنانيو الهوية (٢) .

القانون الأساسي للاتحاد :

اذا نظرنا الى أهداف هذا الاتحاد ، نجد أن المادة الثانية من القانون الأساسي (٣) حددت هذه الأهداف ، وهي :

١ ـ جمع شمل الكتّاب ، وتوحيد صفوفهم ، وتنسيق جهودهم .
٢ ـ صيانة حقوق الأدباء ، والعمل على رفع مستواهم المادي .
٣ ـ رعاية انتاج الأدباء وتشجيع ترجمة الجيد منه الى اللغات العالمية وتشجيع نقل التراث العالمي الى اللغة العربية .
٤ ـ تنشيط الحركة الفكرية ، والأخذ بيد الكتّاب الناشئين .
٥ ـ تنظيم علاقات الكتّاب بدور النشر ، ووسائل الاعلام .
٦ ـ القيام بكل مامن شأنه رفع مستوى الفكر وتحقيق كرامة الكتّاب .
٧ ـ توثيق العلاقات بين الكتّاب اللبنانيين والكتّاب العرب ، وكتّاب العالم .

ونرى أن المادة الثالثة حددت شخصية الاتحاد على أنها شخصية معنوية ، وله حق التقاضي ، ويمثله في ذلك أمينه العام . وأكدت المادة الرابعة على عدم تعاطي الجمعية بالشؤون السياسية والطائفية ، الأمر الذي يؤكد حقيقة اتجاهها الثقافي الأدبي الذي يهدف الى جمع العلماء والأدباء ، وتنسيق جهودهم وتنمية الانتاج العلمي في لبنان وخارجه

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ، ط ١ دار القلم ومؤسسة فرانكلين للدباعة والنشر ١٩٦٥ القاهرة
(٢) قدم طلبا بتكوين الاتحاد في ١٣/ ٥/ ١٩٦٨ الى وزارة الداخلية ، حيث أعطي العلم والخبر في ٢٠ آب ١٩٦٨ تحت رقم ٤٠٢/ آ د
(٣) القانون الأساسي ، والنظام الداخلي ، مطبوع في كتيّب صغير ، مؤلف من ست عشرة صفحة ، صدر في ١٠/ ١١/ ١٩٧٠ ، بيروت ، يمكن الحصول عليه من الأمين العام للاتحاد .

وذلك لتحقيق نهضة علمية شاملة ، تبني صروحها على دعائم ثقافية متينة ، حتى تستطيع مواجهة العدو المتربص بالأمة العربية .

النظام الداخلي للاتحاد :

حدد النظام الداخلي للاتحاد بثمانية فصول مكوّنة من سبع وثلاثين مادة .

حددت المادة الأولى من الفصل الأول ، الانتساب الى عضوية الاتحاد اذا توفرت فيه الشروط التالية :

أن يكون لبنانيا ، وقد تجاوز الثامنة عشرة من عمره ، وقد نشر أثرا أدبيا واحدا مشهودا له أو أكثر .

وحددت المادة الثانية من الفصل الأول ايضا طريقة قبول عضوية المتقدم [1] ، كما حددت فقدان العضو عضويته [2] .

وتناول الفصل الثاني طريقة انتخاب الهيئة الادارية للاتحاد ، ضمن اثنتي عشرة مادة ، حددت عدد أعضاء الهيئة الادارية ، واشتراك العضو في الانتخاب ، والجهة التي تقدم لها طلبات الترشيح ، ومدة ولاية الهيئة الادارية واجتماعها ، وجلساتها ، وفصلها في المنازعات ، وانتخاب أعضائها ، ومن يرأسها ، والطريقة التي يتم بوساطتها انتخاب الهيئة الادارية ، ومهام الهيئة الادارية .

وتناول الفصل الثالث مكتب الاتحاد ، ضمن أربع مواد ، حددت كيفية اعلان نتائج انتخاب الهيئة الادارية لأعضاء مكتب الاتحاد [3] ، كما حددت مهام

---

(١) يقدم طلب الانتساب الى الأمين العام للاتحاد - تبت الهيئة الادارية للاتحاد بالطلب يشترط أن يزكي طالب الانتساب خمسة من أعضاء الهيئة الادارية (التي يتراوح عدد أعضائها بين ثمانية واثني عشر) - ويعتبر الطلب مقبولا اذا نال موافقة أغلبية الهيئة الادارية .

(٢) اذا تقدم باستقالته وقبلتها الهيئة الادارية للاتحاد - اذا قام بأعمال من شأنها أن تسيء الى الاتحاد ، وقررت الهيئة الادارية بعد سماعه ، فصله لهذا السبب - واذا تمنع عن دفع الاشتراك مدة سنة كاملة بالرغم من التذكير الخطي الموجه اليه - واذا حكم عليه بجرم شائن .

(٣) من أمين عام للاتحاد ، ونائب للأمين العام ، وأمين للسر ، وأمين للصندوق .

الامين العام [١] ونائبه [٢] . وكذلك مهام أمين السر [٣] ، ومهام أمين الصندوق [٤] .

وتناول الفصل الرابع ، الجمعية العامة ، ضمن ثماني مواد ، حددت موعد انعقاد الجمعية العامة في الحالات العادية ، وهي الحالات الاستثنائية ، والأبحاث المدرجة في جدول أعمالها ، وقانونية الجلسات ، والأعضاء الذين يجوز لهم الاشتراك في الجمعية العامة العادية أو الاستثنائية ، وقرارات الجمعية على الأعضاء ، والعلاقة بين الجمعية وشؤون الاتحاد ، ورئاسة الأمين العام وتولية أمين السر تدوين وقائعها [٥] .

وتناول الفصل الخامس الشؤون المالية ضمن أربع مواد حددت بدلات الاشتراك ، ورسم الانتساب ، والتبرعات ، والمساعدات ، ومدخول الأعمال التي يقوم بها الاتحاد لزيادة دخله من حفلات وسوى ذلك . كما حددت عملية الانفاق ، وتكليف خبيرا قانونيا في المحاسبة للتدقيق وتقديم تقرير عنها .

---

(١) الاشراف على حسن سير العمل في الاتحاد ، ويتولى تمثيله ويوقع المراسلات مع أمين السر ، ويوجه الدعوات باسم الاتحاد ، ويرأس اجتماعات مكتب الاتحاد ، والهيئة الادارية والجمعية العامة ، ويوقع مع امين الصندوق على أذونات الصرف والشيكات والتحاويل ، كما يقبض مع أمين الصندوق ما للاتحاد من أموال ويودعها أحد المصارف ، ويعمل على تنفيذ مقررات الهيئة الادارية والجمعية العامة .

(٢) ينوب عن الامين العام في جميع اختصاصاته ، ويحل محله في حال غيابه او تعذر حضوره .

(٣) آ - ينظم محاضر الجلسة ويعرضها على الهيئة الادارية ، ويحفظها بعد التصديق عليها في سجلها الخاص .

ب - يعد مع الامين العام جدول اعمال الهيئة الادارية والجمعية العامة .

ج - يتسلم طلبات الانتساب لعرضها على الهيئة الادارية .

د - يحتفظ بسجل تدون فيه اسماء اعضاء الاتحاد وتاريخ انتسابهم وعناوينهم .

هـ - يحتفظ بجميع مراسلات الاتحاد الواردة والصادرة .

و - ويوجه الاجمال ، يتولى جميع أعمال الاتحاد القلمية .

(٤) ١ - ينظم دفاتر الاتحاد وحساباته وفقا للأصول ويكون مسؤولا عن هذه الحسابات .

٢ - يودع باسم الاتحاد مايزيد لديه عن ٢٠٠ ل.ل في احد المصارف المعترف بها رسميا بناء على قرار الهيئة الادارية ، ولا يجوز له أن ينفق أى مبلغ دون موافقة الهيئة الادارية مسبقا الا في الحالات الطارئة حيث يستطيع أن ينفق مع الأمين العام حتى المايتي ل.ل . بشرط موافقة الهيئة الادارية على ذلك في أول جلسة تلي الانفاق .

٣ - لايمكن سحب أى مبلغ من الاموال المودعة الا بتوقيعه وتوقيع الامين العام متحدين .

٤ - ينظم طرق جباية اشتراكات الأعضاء ويضع مشروع الموازنة ليعرضه على الهيئة الادارية التي تعرضه بدورها بعد اقراره على الجمعية العامة .

(٥) راجع الفصل الرابع ، صفحة ١١ من كتيّب القانون الأساسي والنظام الداخلي للاتحاد . بيروت ١٠/١١/١٩٧٠م

وتناول الفصل السادس انتهاء العضوية ، ضمن مادة واحدة ، بقرار من الهيئة الادارية في احدى الحالات التالية : الوفاة ، الاقالة ، الاستقالة .

وتناول الفصل السابع تعديل النظام الداخلي ضمن مادة واحدة فقط ، وذلك بناء على اقتراح الهيئة الادارية ، أوبناء على طلب خطي يتقدم به ثلث أعضاء الجمعية العامة على أن تحدد في كلتا الحالتين المواد المطلوب تعديلها والنصوص المقترحة مع الأسباب الموجبة لذلك .

وتناول الفصل الثامن الأحكام العامة ضمن مادتين اثنتين ، حدد حلّ الاتحاد ومعالجته .

هذا ملخص كامل لجميع المواد التي ضمنا القانون الأساسي والنظام الداخلي للاتحاد ، ولكن ماعلاقة هذا الاتحاد بالاتحادات الأدبية العربية الأخرى ؟

وما هي أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بينه وبين تلك الاتحادات ؟ ؟ والى أى مدى كان الوفاق او الاختلاف بينهما ؟ ؟ .

الاتحادات الأدبية على اختلاف هوياتها واحدة ، من حيث البنية والتركيب ، أما من حيث الأهداف ، فهناك يكمن الخلاف ، وخصوصا اذا كان الاتحاد حرا بذاته او ملتزما بسياسة الدولة التي ينتمي اليها ..

وما ذكرناه عن تأسيس الاتحاد اللبناني يمثل الاتحادات الأخرى ، اللهم الا أن الاتحاد اللبناني تم بعيدا عن تدخل الدولة ، له شخصيته المستقلة الممثلة بهيئته الادارية ، وقد يكون الاتحاد العربي الوحيد الذى يتمتع بحرية التصرف والسلوك لعدم ارتباطه بالسلطة ، عكس ماتقوم عليه الاتحادات الأخرى ، لارتباطها بالسلطة ، الأمر الذى يجعل وفودها تحمل صفة الرسمية ، ولا تقوى على الكلام الا بما يمليه عليها جانب السلطة وما يدور بفلكه .

من خلال هذا التناقض بين الحرية والالزامية ، أو الحرية وعدمها كانت تقام جولات وجولات حول معركة حرية الفكر العربي ، والتزام اتحاد الكتّاب اللبنانيين بها منذ أن انضم الى مؤتمر الأدباء العرب (١) ، وكان موضوع كلمة الاتحاد مقصورة على موضوع حرية الفكر الذى هو أخطر موضوع تواجهه الأمة العربية ، وخصوصا والأمة العربية محاطة بأعدائها من كل حدب وصوب ، سواء كانوا من الداخل او من الخارج ، لذلك كانت كلمة الاتحاد موجهة ضد الارهاب الفكرى الذى كان قائما آنذاك في العراق (٢) ، داعية الأدباء الى توحيد جهودهم للدفاع عن الحرية الفكرية التي هي حظهم الأول وقوام حياتهم الفكرية في تأدية

---

(١) انعقد مؤتمر الادباء العرب الأول في مصيف بيت مرى بلبنان من ١٨ الى ٢٦ أيلول ١٩٥٤ م

(٢) كان الحكم الملكي الجائر هو القائم في العراق ، وكانت العراق آنذاك قاعدة انطلاق استعمارية ضد القوى الوطنية في العراق وفي البلاد العربية الأخرى .

رسالتهم [١] .

لم تكن دعوة اتحاد الكتّاب اللبنانيين للدفاع عن حرية الفكر العربي لوحة اعلامية تستغل ، بل كانت نابعة عن ايمان وصدق يؤكد الالتزام القوى الذى انطلق من خلاله ، ولا يزال ينطلق ، رغم مرور ثماني سنوات على تأسيس هذا الاتحاد الذى أخذ على عاتق أعضائه حرية الدفاع عن حرية الفكر والأمة العربية .

واذا حاولنا أن نلخص أعمال اتحاد الكتاب اللبنانيين من خلال مؤتمرات الأدباء العرب منذ انعقادها الأول ، نجد الصورة الواضحة لالتزام هذا الاتحاد بقضية حرية الفكر العربي التي كان من نتيجتها انسحابه من مؤتمر الأدباء العرب التاسع [٢] وانسحابه من الاتحاد العام للأدباء العرب بكل هيئاته ، واستقالة أمينه العام من مجلس تحرير مجلة " الأدباء العرب " [٣] وكذلك تقديم استقالة أعضاء الاتحاد المنتسبين الى اتحاد الكتّاب العرب في سوريا من هذه العضوية احتجاجا على أن مؤتمر الأدباء "عميل" [٤] للسلطة في وجه الأديب ، ويساعدها على قمعه وارهابه ، الأمر الذى يتعارض مع التزامه في القضايا التحررية والوطنية .

لتأكيد الالتزام الوطني والقومي الذى يلتزم به اتحاد الكتّاب اللبنانيين نستعرض بعض الامور والقضايا التي تبناها ودافع عنها ، ولا يزال يسير مسيرته الوطنية رغم جميع الضغوط التي واجهها :

١ - عندما جرت محاولات اضطهاد الفكر والمفكرين في لبنان ١٩٥٧ م أصدر أدباء لبنان مذكرتي احتجاج بعثوا بها الى السلطة اللبنانية ، وكان أمين عام الاتحاد من الذين وقعوا المذكرتين دفاعا عن حرية الفكر [٤] .

٢ - وفي شهر تموز ١٩٦٤ م عندما استجوبت الحكومة القاصة "ليلى بعلبكي" وصادرت كتابها " سفينة حنان الى القمر " طلب الاتحاد بلسان أمينه العام رفع يد المسؤولين عن حرية الفكر في لبنان [٥] .

٣ - وفي مؤتمر الأدباء العرب الخامس ، الذى عقد في بغداد ١٩٦٥ م أثار الاتحاد موضوع عدد من الأدباء والمثقفين العراقيين الموجودين خارج العراق ، واسقاط الجنسية عنهم ، كما تبنت " مجلة الآداب " الموضوع ذاته ، وطالبت الحكومة العراقية بالغاء قرارها اللاانساني ، والسماح للمفكرين والمثقفين العراقيين بالعودة الى الوطن ، وألغي القرار بعد ذلك [٦] .

---

(١) راجع مجلة الآداب ع ١٠ / ١٩٠٤ م
(٢) انعقد مؤتمر أدباء العرب التاسع في تونس سنة ١٩٧٣ .
(٣) راجع الاداب ع ٩ و ١٢ / ١٩٥٧
(٤) راجع الآداب ع ٩ و ١٢ / ١٩٥٧ م
(٥) " = ع ٤ / ١٩٧٣
(٦) " " ع ١٠ / ١٩٦٦

٤ - وفي المؤتمر السادس الذى انعقد في القاهرة في شهر آذار ١٩٦٨ كانت كلمة الوفد اللبناني تعبر عن ايمانه بحرية الفكر ، واعترافه بالتقصير - نوعا ما - نتيجة للارهاب الذى كانت تمارسه السلطات على الفكر ، حين تهدد باعتقال الحريات والألسن ، وتمنع الأشخاص من عبور أراضيهم ، وتمنع الصحف والكتب لمجرد أنهم ينتقدون أحيانا أنظمة الدولة وتصرفاتها (١) .

٥ - وفي المؤتمر السابع ، الذى انعقد في بغداد ، في نيسان ١٩٦١ ، كانت كلمة الوفد اللبناني تؤكد على أن حرية الرأى لاتزال مضطهدة في كثير من البلدان العربية ، الأمر الذى يجعل كثيرا من الأدباء يزهدون في الانتاج والابداع (٢) .

٦ - وفي مؤتمر الأدباء الثامن ، الذى انعقد في دمشق في ديسمبر ١٩٧١ كانت كلمة الوفد اللبناني تؤكد للجميع عجز مؤتمرات أدباء العرب عن تنفيذ التوصيات الهامة التي لابد من تنفيذها ليكون لكل مؤتمر شأنه وقيمته في الحياة الثقافية العربية ، وتوفير حرية التعبير للأديب العربي ليتمكن من القيام برسالته في معركة المصير ، لارتباط هذه المؤتمرات بالحكام الذين يخفون وراء حجبهم الواهية نزعتهم الى القمع حين يوجه اليهم النقد ، الأمر الذى يكبل الأدب العربي ، ويبقيه تحت شبح الارهاب والقمع .

وطلب الوفد اللبناني في هذا المؤتمر تدارس قضية الرقابة ، والنظر في أمر الغائها او تقليصها أو نقلها الى اتحادات الكتاب ، لتتصارع الأفكار وتتحاور ، ولترفع عن فكر الكاتب كابوس الخوف ليجد الطمأنينة التي تتيح له الانطلاق في سماء الابداع والخلق والتصدى بالنضال من أجل الأمة العربية ، والكفاح من أجل شرف الكلمة (٣) .

ان وفد لبنان الى مؤتمر الأدباء العرب كان دائما ولا يزال يرتفع بمهاجمة سياسة القمع والارهاب لدى السلطات العربية . وكان أمين عام الاتحاد (٤) يرفع هذا الصوت ، حتى أن أمين عام مؤتمر الأدباء العرب (٥) كان غالبا ماينزعج من كلمة الوفد اللبناني في المؤتمرات ، وخصوصا في هذا المؤتمر (٦) الذى حاول الوفد اللبناني أن يضعه واتحاد الأدباء العام عند مسؤوليتهما ، وحملهما على اتخاذ موقف يؤدى حقا الى حماية حرية الأديب ، ورفع قمع السلطات عنه ، ومن أجل هذا تقدم الى لجنة الصياغة بأربع توصيات ، تحمل الأولى مشروع قانون من مادة وحيدة يتضمن " ميثاق

---

(١) راجع الآداب ع ٤ / ١٩٦٨م
(٢) " " ع ٦/ ١٩٦٩ م
(٣) " " ع ١/ ١٩٧٢ م
(٤) سهيل ادريس
(٥) يوسف السباعي
(٦) المؤتمر التاسع ، عقد في تونس .

شرف.[1] وطرح اقتراحه على التصويت ، فسقط نتيجة للاستنتاجات[2] التي خرج منهـا الوفد اللبناني في مؤتمر أدباء العرب في تونس ، وذلك ، لأن الوفد اللبناني وحده يتمتع بحرية التصرف والسلوك لعدم ارتباطه بالسلطة ، أما تلك الوفود ، فهي وفود رسمية ، والتأييد الذى حظى به الوفد اللبناني وقف عندما وصل الى حدود الرسميات ، وكان وراء كل هذه الأمور الأمين العام لاتحاد مؤتمر أدباء العرب ، الذى يملي عليه واجب منصبه أن يكون أكثر الأصوات ارتفاعا بالدفاع عن حرية الفكر ، ومحاربة الظلم والاستبداد .

من أجل هذه الاستنتاجات المنطقية التي خرج بها الوفد اللبناني ، أعلن اتحاد الكتّاب اللبنانيين اتخاذ خطوات مقابلة :

١ ـ بعد انسحابه من مؤتمر الأدباء العرب التاسع ، يعلن انسحابه كذلك من الاتحاد العام للأدباء العرب بكل هيئاته ، ويعلن استقالة أمينه العام من مجلس تحرير مجلة " الأدباء العرب " وقد أرسل الاتحاد برقية بهذا المعنى الى مقر الاتحاد العام في القاهرة .

---

(١) " يتعهد الاتحاد العام للأدباء العرب بجميع هيئاته : المؤتمر العام ، والمكتب الدائم ، والأمانة العامة بأن يبادر الى شجب كل محاولة ، في أى بلد عربي ، تستهدف قمع الفكر او ارهاب الأدباء أو التضييق على حرياتهم ، كما يتعهد ببذل كل مساعيه ، واتخاذ جميع الخطوات الضرورية للدفاع عن حرية المفكرين والأدباء العرب ، ويكلف الاتحاد العام الأمين العام للأدباء العرب تنفيذ الاجراءات التي يقتضيها هذا الميثاق .
راجع الآداب العدد ٤/ ١٩٧٣ م

(٢) ١ ـ ان الاتحاد العام للأدباء العرب يكرس نفسه نهائيا مؤسسة رسمية تابعة للحكومات العربية ، ويجعل أعضاءه مرتبطين حكما بالسلطة ، بل هو جعل من نفسه عميلا للسلطة في وجه الأديب ، ويساعدها على قمعه وارهابه .

٢ ـ ان الامين العام للاتحاد يخون واجبه ، ويخرق مهمته حين يمارس نوعا من الديكتاتورية يخضع لها المؤتمر . وحين يمنع الأمين العام المساعد الأول (سهيل ادريس) من الكلام ، ثم انه كان عليه في هذا المؤتمر الا يغتصب دور رئيس الوفد المصرى ، بل أن يتجرد ويقف فوق الجميع لمصلحة الجميع .

٣ ـ ان مؤتمرات أدباء العرب أصبحت في شكل نهائي مجمعا للراغبين في السياحة والنزهات والاستمتاع بالضيافة العربية والكرم الحاتمي .

٤ ـ ان كثيرا من الوفود ، بحكم أنها وفود رسمية تابعة للحكومات العربية ، تضم بين أعضائها عناصر مخابرات مهمتها وضع التقارير عن نشاط الوفد الذى تنتمي اليه لمزيد من الارهاب والضغط ، وكان يسيرا علينا أن نرى كيف كان بعض الاعضاء ممن يؤيدون موقفنا الى أبعد الحدود ، يلتزمون الصمت ، ويتحاشون لقاءنا خوفا من عين المخابرات اليقظة التي تحصي عليهم أنفاسهم .
راجع الآداب ع ٤/ ١٩٧٣ م

٢ - يعلن أعضاء الاتحاد المنتسبون الى اتحاد الكتّاب العرب في سوريا استقالتهم من هذه العضوية ، وقد أرسلوا برقية بهذا المعنى الى مقر الاتحاد في دمشق .

٣ - يتبنى الاتحاد اللبناني قضية كل مثقف عربي يقع تحت ارهاب السلطات ، ويقوم بالدفاع عنه بشتى الأساليب التي تحمل تلك السلطات على رفع القمع عنه ، وقد بدأ الاتحاد فعلا تنفيذ ذلك ، فأرسل البرقيات الثلاث التي تقدمها وفده الى مؤتمر الأدباء العرب فجبن عن تبنيها .

٤ - يسعى الاتحاد الى تأمين كل مساعدة مادية ممكنة لأى مثقف عربي يضام في رزقه أو معاشه بسبب أفكاره أو اتجاهاته .

٥ - يتبنى الاتحاد نشر كل مادة أدبية أو فكرية ينتجها أى مثقف عربي ولا يستطيع نشرها في بلده بسبب الارهاب ، شريطة أن يتوفر لهذه المادة المستوى الفني المطلوب . ولا يرى الاتحاد مانعا من السعي لدى المجلات ودور النشر التي يشرف عليها أعضاء في الاتحاد لنشر بعض المواد عفلا من أسماء كتابها شريطة أن يكون متأكدا من معرفة هذه الأسماء في شكل سري .

٦ - يعلن الاتحاد ، انطلاقا من هذا الموقف أنه سيقيم صيف كل عام ملتقى أدبيا يطلق عليه " ملتقى الأدباء العرب الأحرار " يدعى اليه أدباء ومفكرون من العالم العربي معروفون بتحررهم واستقلاليتهم . وسيقام الملتقى الأول في الصيف المقبل تحت شعار " حرية الكلمة العربية المسؤولة " ويرجو الاتحاد أن يتخذ الخطوات الضرورية لاقامة اتحاد بديل للأدباء العرب في المستقبل القريب .

٧ - يعلن الاتحاد أنه ، مع تقديره لما يتمتع به الأدباء في لبنان من حرية نسبية في التعبير ، سيستمر في مشاركته في معركة الحريات التي تخوضها الصحافة اللبنانية في هذه الفترة التي يبدو أن موجة سياسة القمع والارهاب تقترب فيها من شواطئنا ، لفرض حلول استسلامية معروفة (١)

٨ - يحرص الاتحاد أشد الحرص على أن يوضح أن جميع خطواته السابقة وخطواته الآتية انما تستوحي منطلقاته الأساسية في تأييد الاتجاه القومي العربي ، والايمان بدور مصر الطليعي وبتركة عبد الناصر التاريخية ، وفي محاربة الاستعمار والصهيونية العالمية ، وفي ادانة الانعزالية المحلية ، والرجعية العربية ، وتدعيم الاتجاه التقدمي والمقاومة الفلسطينية ، والعمل على تجسيد ذلك كله في الانتاج الأدبي اللبناني والعربي .

---

(١) بالنسبة للقضية الفلسطينية ، وحلها عن طريق الاستسلام ، بعد أن استجابت مصر الى دعوة الاستسلام التي تبناها وزير خارجية الولايات المتحدة (هنري كيسنجر) بعد حرب رمضان ، واختلاف المفاهيم حول تفسيرها ، من حرب تحرير ، أو حرب تحريك . على اتفاقية سيناء .

من هذا نفهم الخطوط الرئيسية لنشاط اتحاد الكتاب اللبنانيين المقبل ، آملين أن يكون هذا النشاط بمنطلقاته وانجازاته الممكنة ، عنوانا جديدا لمجد الحرية في لبنان والوطن العربي (١) .

كان لاتحاد الكتاب اللبنانيين أكبر الأثر في نشر الوعي الثقافي والسياسي ، كما كان جريئا في دفاعه عن حرية الأدب والأدباء ، الأمر الذى يجعله أن يكون رائدا في خطواته التي خطاها في ميدان الدفاع والاحتجاج على اعتقال الأدباء والشعراء والمفكرين الذين ينظرون بمنظار القومية والوطنية ، والحرية التي تفرض عليهم تناول القضايا الوطنية بايمان مطلق ، وجعلها القضايا الرئيسة التي يجب أن يقف عندها كل أديب وكاتب وشاعر .

بالنظرة المدققة الفاحصة نستطيع أن نقف على الأعمال التي قام بها الاتحاد وكانت تعبر عن صميم دعوته .

١ - في مؤتمر الأدباء العرب التاسع الذى عقد في تونس ، تبنى الاتحاد فكرة الدفاع عن الأدباء والكتاب والصحفيين المصريين الذين فصلتهم الدولة من وظائفهم ، فأرسل برقية الى رئيس الجمهورية يناشده فيها باعادة المفصولين ، الأمر الذى دفع الاتحاد الى ارسال برقية ثانية يعبر فيها عن رأيه بهذه البادرة (٢) .

٢ - دعا الاتحاد الى مسيرة من أجل الشاعر " بابلو نيروزا " تحية لروحه واحتجاجا على سياسة الارهاب التي تمارسها السلطة التشيلية ، شارك فيها زهاء خمسين كاتبا وصحافيا من المثقفين اللبنانيين والعرب المقيمين في لبنان ، وفي نهاية المسيرة أصدروا بيانا يستنكرون فيه عمل السلطات التشيلية (٣) .

٣ - وجه الاتحاد برقية احتجاج للسلطات اللبنانية يحتج فيها على اعتقال " شريف الربيعي " سكرتير تحرير مجلة " الى الأمام " (٤) .

٤ - ونرى أيضا أن اتحاد الكتاب اللبنانيين قد أصدر بيانا ، وبرقيات ، وقعها المثقفون اللبنانيون والعرب المقيمون في لبنان ، مشاركة منهم بمعركة

---

(١) راجع الآداب ، ع ٤/ ٧٣ (ص ٢ - ٥)

(٢) = = ، ع : ١١/ ٧٣ ص ٢

(٣) = = ، ١١/ ٧٣ ص ٢

(٤) = = ، ١١/ ٧٣ ص ٨ والعدد ٨/ ٧٣

المصير[١] ،

٥ - وقد حاول وفد اتحاد الكتّاب اللبنانيين الى المؤتمر الخامس للكتاب الافريقيين الآسيويين الذى انعقد في نوفمبر ١٩٧٣ في الاتحاد السوفياتي أن يثير موضوع الدفاع عن حرية الفكر العربي ، والاحتجاج على سياسة القمع التي تتسع في بعض البلدان العربية ، كما قد وعد في بياناته السابقة ، ولكن الأمين العام لاتحاد الكتّاب الافريقيين الآسيويين[٢] حال جزئيا دون ذلك مما كشف مجددا عن دوره في معركة حرية الفكر العربي ، ولكن الاتحاد أصدر بيانه تعليقا على انعقاد المؤتمر الخامس للكتاب الافريقيين الآسيويين[٣] .

٦ - وقد استطاع الوفد اللبناني الى المؤتمر ، رغم امتناعه عن القاء كلمته[٤] لعدم اشتراكه في اللجنة التنظيمية ان يسجل نتيجة ايجابية هامة بطرح قضية الأمانة العامة التي كانت حتى هذا التاريخ " حرما مقدسا " لايدلف اليه أحد ، والاتحاد لم يطرح هذه المسألة الا في نطاق دفاعه المستمر عن حرية الفكر وكرامة الانسان[٥] .

كان لموقف اتحاد الكتاب اللبنانيين أثر فعال ، من حيث أنه كان بداية حقيقية لروح النقد البنّاء ، والنقاش الديمقراطي . ففي المرة الأولى في نطاق اتحاد الكتّاب الافريقيين الآسيويين يطرح على بساط البحث وضع الأمين العام " الذى انقضى على تسليمه هذا المنصب منذ خمسة عشر عاما ، وقد اقترح الاتحاد في اللجنة التنفيذية انتخاب ثلاثة أمناء عامين ، عربي وافريقي ، وآسيوى بدلا من أمين عام واحد ، وكما اقترح تحديد ولاية الأمانة العامة لمدة أربع سنوات غير قابلة للتجديد ، وطالب بتوزيع مهمات الأمانة العامة بين بلدان المكتب الدائم حسب امكانيات هذه البلدان وكفاءاتها ، وعدم حصرها في بلد واحد ، بالاضافة الى بعض الاقتراحات الأخرى تتعلق بتكوين المكتب الدائم ومجلس اللوتس ، ومنشورات اللوتس ، وقد وافق أعضاء اللجنة التنظيمية على ان تقدم جميع هذه المقترحات الى المكتب الدائم في أول اجتماع له يعقد في مطلع العام .

وبالرغم من أن المؤتمر قد جدد الأكثرية ولاية الأمين العام " مرة أخرى ، فقد وافق على تعيين نائبين له ، أحدهما افريقي ، والآخر آسيوي ، مما يدل على احساس الوفود

---

(١) راجع البيان في مجلة الآداب ، العدد ٧ و ٨/ ٧٣ و ١٢/ ٧٣ ص ٣ الذى أكد على :
١ - مشاركة كل الدول العربية بجيرشها وطاقاتها في المعركة ، وفي صورة خاصة الجيش الاردني لاهميته الاستراتيجية .
٢ - حماية المقاومة الفلسطينية ، وتمكينها من القيام بدورها الكبير على الحدود وداخل الاراضي المحتلة .
٣ - قطع النفط عن أية دولة أجنبية لاتساند الحق العربي مساندة صريحة الخ ..

(٢) يوسف السباعي .

(٣) راجع البيان في مجلة الآداب ، ع ١١/ ٧٣ ص ٣ .

(٤) لمن يريد الاطلاع على الكلمة المحجوزة ، يرجع الى العدد ١١/ ٧٣ ص ٤ و ٥ و ٦

( ) يمكن الاطلاع على قرارات المؤتمر في العدد ١١/ ٧٣ ص : ٦٨ - ٧٣

بضرورة الحد من سلطة الأمين العام ، وهي خطوة ايجابية أولى تدل على نجـــاح محاولات اتحاد الكتاب اللبنانيين في البدء ، والانطلاق من المجتمع الأدبي الذى يمثله اتحاد الكتّاب الافريقيين الآسيويين .

من هنا نجد مسؤولية اتحاد الكتّاب اللبنانيين ومشاركته وغيره من الاتحادات تجاه شرقنا العربي ، الذى يقف وسط عالم هائج ، تدفعه وتجذبه شتى الاتجاهـات السياسية والفكرية من الخارج ، وتمزقه مختلف الميول الحزبية والعقائدية في الداخـل ، وواجب مفكرينا الواعين أن يرسموا الطريق لهذه الملايين الحائرة من أمتنا العربية ، ويضعوا لها فلسفة فكرية نابعة من أوضاعها الواقعية موجهة نحو انماء شخصية عربية أصيلة ملمة بماضيها وحاضرها ، عارفة دورها ورسالتها في الصراع الحالي لاتخدعها التضليلات والخدع ، ولا تثنيها عن هدفها أية عقبة كيما يتاح لها ان تؤدى دورها الانساني العظيم في عالـــم اليوم والغد ..

ان الأمة العربية بحاجة ماسة الى التضامن الفكرى ، والوحدة الفكرية ، كحاجتها الى الأدباء الواعين الذين يعيشون في الطليعة ، لايخافون القمع والسيطرة حتى يخرجـــوا الأمة العربية من سجنها الكبير الذى شيده أبناؤها المنقادون وراء مصالحهم الشخصيـــة عبر مصالح الاستعمار واستغلاله لأمتهم ،

نحن بحاجة الى كل أديب حر واع لايخاف مواجهة قدره عبر ايمانه ، فـــي صفحات أدبه التي تكون شاهدا على عصره ، وتعكس همومه وشواغله ، وتشكل مادة ثمينـــة ووسيلة فعالة لتطوير الحياة والمجتمع في وطننا العربي الكبير .

الخاتمـــــة

من البديهي أن عقول بني البشر تتفاوت في حظها من الفطنة والتحصيل ، كما تختلف الضمائر في نصيبها من دقة الشعور وحدته ، كاختلاف قوة الخيال ، فليست بمقياس واحد عند الناس جميعا ، شأن المقدرة التعبيرية ، فانها تتفاوت تفاوتا عظيما ، بمقدار التفاوت في الحظوظ من سخاء القريحة ، وجودة الذوق وخصوصا أولئك الذين يملكـــون ملكية الاطلاع على علوم الآخرين ، التي تمنحهم بعض المزايا التي لاتوجد عند غيرهـــم من أبناء جنسهم ، الأمر الذى يعطيهم حق قول الكلمة فيما تنتجه القرائح ارتباطـــا بالمقارنات الأدبية التي أغنت حصيلتهم الثقافية والعلمية .

بقدر التفاوت في الذكاء والتحصيل ، وقوة الخيال ، والاطلاع على علوم الآخريـــن نجد التفاوت في دقة التعبير ، والتقويم ، ومن هنا ، ابتدأت المعارك النقدية ، والعطاءات الأدبية ، فظهر على مسارح النثر فلاسفة وكتّاب ، وآخرون على مسارح الشعر شعراء ، ووقف في وسط كل فن نقّاد ، بعضهم يرفع معاول الهدم ، وآخرون يدعّمون البناء ، فقامـــت مدارس (١) ومذاهب جديدة لم يكن لها وجود من قبل .

وحظيت القصة والرواية العربيتين برواد كثر ، خطو بهما خطوة كبيرة ، حتى أصبحتا تعالجان جميع المفاهيم المتعارف عليها من الناحية الأدبية والاجتماعية ، والفلسفية والتاريخية واشتهر بوساطتها كبار كتاب العالم .

اذا نظرنا الى سهيل ادريس من هذا المنطلق ، نجده من رواد القصة العربيـــة المجددين ، الذين حاولوا في الأدب العربي الحديث محاولات جريئة ، صورت لنا انتقـــالا اجتماعيا استمده من خلال تجربته الخاصة التي عاشها بيقظة ووعي تامين ، وعرفه كيف يتناول هذه التجربة بطريقة فنية ، جعلته قادرا على الجرأة التعبيرية ، التي عجز عنها جيـــل السابقين من رواد القصة العربية ، قابل بها الرأى العام العربي بصوره الجريئة التـــي ضمنها رواياته ، وقصصه ، التي عبّرت عما كان يريد أدباء العرب التعبير عنه منذ أعوام (٢) ولكنهـــم خافوا مواجهة المجتمع الذى فرض عليهم قيمه ، وأبعاده النقدية التي لم يتخطها أحد .

استطاع سهيل ادريس أن يجعل من النفس الانسانية مسرحا لصراع بين تقاليد موروثة ورثها من المجتمع الذى عاشه بصوره الحقيقية خلال فترتي طفولته وشبابه ، وبين تمـــرد على هذه التقاليد التي لعبت بحياته أكبر دور ، جعلته يحمل ذاته ، ليبحث عن كل شيء جديد ، فانتسب الى الغرب فترة زمنية ، عرف من خلالها حرية الغرب وتقدمه ، وثقافته كما عرف نزعته الاستعمارية ، فوقف حائرا في وسط طرق ثلاثة : طريق يشده الى تقاليده الشرقية التي مقتهـــا ، وآخر الى الحياة الجديدة ، التي تقلصت فيها جميع القيم والتقاليد

---

(١) المدرسة الرومانتيكية ، والمدرسة الرمزية ، والمدرسة الواقعية .

(٢) مثل هذه الصور الجريئة ، الكثير منها في رواية "الحي اللاتيني" و "الخندق الغميق"

الشرقية ، وطريق ثالثة ، أنارت له سبل الحياة ، عندما نظر من خلال منظار القيم الجديدة ، التي تعمل بدورها على استعباد الشعب العربي ، وجميع الشعوب الفقيرة التي لم تواكب ركب الحضارة الغربية .

وروايات سهيل ادريس الثلاث ، بما انطوت عليه من أفكار ، وأحداث ، وحركة وحياة ، ولمسات انسانية ، جعلت منه نموذجا للكاتب الجريء ، الذى خطا أمام كتّاب القصة العربية خطوات جريئة ، كما لعب دورا كبيرا ، عبر آثاره الأدبية في رفع مكانة الرواية العربية ، بالأسلوب الفني الجريء ، وجعلها تجربة صادقة عن الحياة العربية التي يحياها كل انسان عربي ، في كل بلد عربي ، ولا يعي أبعادها .

واستطاع سهيل ادريس بوحي فطنته ، وحياته الناضجة - قبل أوانها - أن يقف في وجه الجيل القديم ، بعد أن هادنه ، وعرف أبعاده على حقيقتها الذميمة فساعد على الانتاج ، من هذا الجيل المتمرد ، جيلا جديداً ، وقادراً على شق طريقه الى حيث تدفعه أشواقه الملحة ، ورغباته الانسانية التي طالما كانت تذبل وتتلاشى قبل خروجها الى حيز الوجود . كما استطاع أن يكرّس قلمه لتحدى العادات القديمة والتقاليد المتحجرة والاستعمار البغيض ، والجمود الذى يسيطر على العقول ، ويحوّل مجرى الحضارة الانسانية الى جليد قاتل ، مؤكدا بذلك أن أشواق الانسان الى المعرفة ، والانطلاق ، والحرية ، هي أهم المقدسات على الأرض التي نحيا فوقها ، ومن واجب كل انسان أن يعمل من أجلها ، لا من أجل مستقبل تقوم دعائمه على ركائز الماضي من التقاليد البالية التي أورثتناها الأيام الملتزمة بآفات الجهل ، ونواميس الغباء التي دفعت الأمة العربية الى التخلف والضعف اللذين جعلاها لقمة سائغة في فم المستعمر الدخيل الحاقد ، الذى يحاول أن يزكّي لنا الماضي بصور خادعة شتى ، تلزم الأمة بجهلها ، وعاداتها التي أورثتها وألزمتها بها الأيام .

اذا حاولنا أن نرافق سهيل ادريس ، في خطوات عمارته القصصية التي أقام أركانها على القصة القصيرة منذ ١٩٤٧م ، وضع أعمدتها من رواياته الطويلة ، ولا يزال - حتى يومنا هذا - يبتكر أنواعا من الديكورات الفنية ، التي تظهر هذه العمارة بالمظهر اللائق الذى لا يخلو من العناصر الفنية للقصة ، والتي تظهرها صوره الجريئة في رواياته وقصصه القصيرة . وعلى سبيل المثال ، لا الحصر نوجز هذه الأمور التي لابد من ذكرها ، حتى تكون الصورة واضحة في نهاية هذه الدراسة .

أولا : من ناحية الشكل :

في مجموعة سهيل ادريس القصصية الأولى : " أشواق " نرى الرومانسية الطابع الغالب ، والحوار لا يلعب دورا ذا قيمة ، انما يكتسح السرد كل شيء باعتباره

أكثر سهولة للكاتب المبتدئ[١] .

وهذه المجموعة لاتعطي مؤشرات لكاتب أقبل عصره بقدر ماتعني أن كاتبها يتوق لمزاولة فن القصة القصيرة ، ويحاول أن يكتب شيئا ليملأ فراغا في هذا المجال ، الفراغ الذي أوجدته دراسته في المعهد الديني ، وبعد تجربة حب فاشلة ، لذلك تراه كان يعوّل على الرسائل ، الطريقة التي اكتسبها من كتابة رسائله الى حبيبته الاولى التي رافقت والدها الى مصر ولم تعد[٢] .

ونراه في مجموعته الثانية ، لاتزال مشكلات العاطفة هي الهم الشاغل للمؤلف الشاب ، وهذا أمر طبيعي بالنسبة لمرحلة العمر الفني أيضا .

وهم العاطفة هي الطابع الغالب على هذه المجموعة ، كما كان الطابع الغالب على سابقتها ، ولكن العاطفة هنا أشد تركيبا وتعقيدا . لم تعد مجرد فتى ينظر الى فتاة فيقع في حبها من أول نظرة . أو تلميذة تسحر بحديث مدرسها الأنيق ، وتعشقه عشقا صامتا . لقد أخذت العاطفة هنا معنى الصراع الانساني الذي يتسلح - في سبيل غايته الخاصة - بكل وسيلة مشروعة كالاغراء بالتجمل و أوغير مشروعة كالكذب والخيانة .

وفي هذه المجموعة نماذج المشكلات العاطفية على جانب من العمق ، بمعنى أنها ليست عواطف وقتية خادعة ، وانما تتصل بالنفس الانسانية المليئة بالأسرار والغموض .

من خلال استقرائنا لمجموعات سهيل ادريس القصصية القصيرة ، استطعنا أن نصنّف موضوعات هذه المجموعات جميعها الى ثلاث موضوعات : العاطفية ، والاجتماعية ، والقومية .

في المجموعات الأولى مثلا . مشكلات العاطفة هي الهم الشاغل للمؤلف الشاب ، وهذا أمر طبيعي بالنسبة لمرحلة العمر الفني أيضا ، لأن موضوعات الحب والعهود والخيانة من أهم مايلفت القرّاء ، ويشجع الكتّاب ، ولكن ، هذا لايعني أن سهيل ادريس لم يقدم لنا ضمن مجموعاته الأولى قصصا وطنية . ففي المجموعة الأولى قصة " تذكار ثورة "[٣] التي تناولت المظاهرات التي شهدتها بيروت ابان اعلان استقلالها ومقاومة المحتل الفرنسي . وقصة واحدة في المجموعة الثانية[٤] هي قصة " استشهاد " ذكر فيها فلسطين التي كانت

---

(١) انظر ماقاله عنها " سعيد تقي الدين " في مقدمة " كلهن نساء " ص ٦ ، نشرتها دار العلم للملايين ١٩٤٧م . بيروت " كشف سهيل ادريس عن سليقة القاص ، تعوزها عظمة الفكرة ، وطرافة الموضوع ، وعن انسياب لغة الافصاح ، يشوبها الترسل ، وعن قلق الروح ، وهو الحافز الأدبي الأهم ، وعن انعدام الصنعة الميكانيكية ، وليس من الصعب درسها واتقانها .

(٢) راجع " الخندق الغميق " ص : راجع الفصل الثالث عشر من ص : ٨٠ - ٩٦

(٣) راجع مجموعة أشواق القصة الأخيرة في المجموعة .

(٤) راجع القصة الرابعة من المجموعة الثانية .

تعاني في ذلك الوقت من صراع الفريقين المتناحرين ، وقد وفّق الى حد ما ، من حيث تجنبت المباشرة والخطابة ، وصورت تقاعس جيران فلسطين عن معاونتها في محنتها ، باسلوب واقعي الى حد كبير . والمجموعات الأربع الأخرى فيها أكثر من قصة قومية [1] .

واذا نظرنا الى الوجودية نجدها أتم صورة للوعي الذاتي ، ونجد خصائصها تحكم نتاج كاتبها بلا استثناء ، وسهيل ادريس أحد الوجوديين ، حيث تتحكم به الوجودية كما تتحكم به الواقعية الرمزية ، التي لا يمكن حصرها في اتجاه وحيد .

ثانيا : من ناحية الموضوع :

وسائل الاداء الفني في هذه المجموعات الست تطورت وحيث تصبح اكثر توفيقا من سابقتها ، أي أن الكاتب صار أكثر جرأة في صياغة تجاربه .

واستطاع الكاتب أن يتعرف على المواطن التي تستحق شيئا من الاسهاب ولم تعد الأوصاف الفارغة للأشكال والألوان بجمل محفوظة أو مألوفة ، حيث أخذ يهتم بالانفعالات الداخلية ، أي بالتحليل ، وتصوير باطن الشخصية وحركتها النفسية .

أما الشكل العام أو الـ FORM فقد صار أكثر تماسكا ، أي أنّ الحبكة وصلت الى مرحلة من النضج الفني الذى يؤكد استعداد الكاتب الفني الذى لم يقف عن التطور المستمر الذى هيأه الى كتابة الرواية الفنية .

وظهرت الملامح اللبنانية الاقليمية في بعض القصص ، فنجد شخصا يتوجه الى المهجر مغامرا وراء طموحه بحثا عن الثروة ، ونجد آخر يصعد الى الجبل فيواجه أحداثا لم تكن متوقعة ، كما نجد أبن القرية في الجبل يقتل اخته غيرة على عرضها ، ضاربا صفحا عن ثقافته وما لقنته اياه المدرسة ، كما نجد الفتيات اللاتي يغادرن الوطن تحت دافع الزيارة أو الهرب من عواقب تجربة عاطفية ، فهناك من تذهب الى القدس ، ومن تذهب الى بغداد ، وهذه المرونة في الحركة من طبائع الشخصية اللبنانية أكثر من غيرها .

ونستطيع ايجاز استقراءاتنا بالملاحظات التالية :

الفتاة دائما في قصص سهيل ادريس تتسم بالجرأة والميل الى المغامرة والتمرد على القيم الاجتماعية والعائلية ، وهي عادة لا همّ لها الا الحب ، واصطياد رجل تراه مناسبا . أو كما تقول لنفسها في أكثر من قصة : انه سيحقق لها السعادة .

وفي حين تتكرر هذه النماذج النسائية ، نجد الرجل تتملكه مشاعر المراهقة المتزجة بنظرة قدرية ، حيث يعتبر الحب وليد المصادفة فينفعل به مع أول نظرة ، ويخضع لها خضوعا يلغي ارادته ، ويستحوذ على خيالاته ليلا ونهارا ، وهو الذى كان - وربما - لم يفكر فيه من قبل ، أو يجحده أشد الجحود .

---

(١) راجع القصة الاولى : من مجموعة الدمع المرقصة الطريق ، وقصة الدمع العذب من مجموعة (رحماك يا دمشق) .

ونرى من خلال هذه المجموعات أيضا تظهر لنا فيها حياة سهيل ادريس في باريس[١] كما تظهر فيها اهتماماته القومية[٢]، حيث نرى أن القومية هي محور تجاربه الفكرية ، كما نرى الذاتية نزعة أصيلة في أدبه .

وعلى العموم ، نرى أن سهيل ادريس - من خلال قصصه القصيرة - واقعي النزعة مع لمسة رومانسية ، واستفادة من معطيات الرمزية والوجودية .

ولغة قصصه هي وسط بين لغة الصحافة والأدب ، وهو في قصّه أديب أكثر منه كاتب قصة .

ونستطيع القول أن القصص القصيرة عند سهيل ادريس لم تكن الا اختصارا لقصص طويلة غالبا .

أما بالنسبة لروايات سهيل ادريس ، فقد تناولناها بالدرس والتحليل من جميع نواحيها ، ووقفنا عندها اكثر مما فعلناه عند مجموعاته القصصية ، لارتباط هذه الروايات بحياة كاتبها ، حيث حمّلها مفاهيمه القومية والاجتماعية والعاطفية ، ويمكن أن نطلق عليها عليها صفة الأدب الذاتي ، ولكنه جعل القضية الرئيسية في رواياته تقوم على الصدام بين تقاليد الأمس ، وواقع اليوم وأن أخذت البداية صورة المشكلة العاطفية ، الا أنها تركزت في النهاية حول قيمة الواقع المتأصل في نفسه ، ومدى استجابته لهذا الواقع الذى أخذ يلاحقه ، سواء في "الحي اللاتيني" أو في "الخندق الغميق" أو في "أصابعنا التي تحترق" لذلك كان موقفه الرافض لصيحات الماضي التي تلاحقه موقوتا طارئا في ظروف وفائه للحب الذى عايشه .

ومن هذا المنطلق ، من حضور سهيل ادريس في رواياته يوجه اليه الاتهام ، على أنها مجرد صفحة من حياته ، سواء في باريس (الحي اللاتيني) أو في لبنان "(الخندق الغميق)" و (أصابعنا التي تحترق)" عابرين بسرعة فوق القضية الخطيرة التي عرضها بغير حياد ، قضية الصراع والقلق الذي كان يعانيه أبناء الأمة العربية ، وكان سامي بطل روايات سهيل ادريس من الذين رفعوا أصواتهم ضد القيم الفاسدة ، ورفعوا معاولهم لهدمها ، واقامة بناء جديد على أرض الحرية ، والعدالة والمساواة . وقد اختلفت الآراء والاستنتاجات حول تأثير أدبه[٣]

ويمتاز سهيل ادريس - أنه فضلا على افادته من تجارب روّاد القصة الأول ودعواتهم - قد نال من الثقافة قدرا أكبر مما أتيح لسابقيه ، وعاصر - بنتاجه الفني - مرحلة

---

(١) راجع مجموعة الدمع البر .

(٢) راجع العراء .. .

(٣) راجع ماكتب في هذه الدراسة تحت عنوان : سهيل ادريس في مرايا النقاد .

زمنية من عمر التطور الاجتماعي والسياسي ، والثقافي اختلفت كثيرا في قضاياها المطروحة عن تلك القضايا التي شغلت جيل الروّاد الأول .

* * * *

بعد هذه الرحلة مع سهيل ادريس وأعماله ، ومشاركته في الأدب العربي الحديث يمكن انجاز ماقدمناه في هذه الرحلة عبر منعطفات أربعة : -

١ - المنعطف الأول ، جعلناه منعطفا ذاتيا ، تحدثنا فيه عن سهيل ادريس كانسان وأديب ، وجعلناه في فصلين اثنين ، تناولنا فيهماعلى التوالي :

آ - مناشط حياته منذ ولادته حتى عام ١٩٧٥ م ، حيث تناولنامولده ونشأته ، ودراسته ، ومرحلتي عمله قبل سفره الى فرنسا وبعده ، ودراسته وأشرنا الى الى أعماله الأدبية ، كما أشرنا الى عقيدته السياسية .

ب - وآفاق عصره في بيئتيه : لبنان وفرنسا ، حيث تناولنا الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والطائفية ، في لبنان .. كماتناولنا سفره الى فرنسا ، والغاية منه ، بالاضافة الى حياته العاطفية ، وشعوره القومي بعد عودته من فرنسا ، وبعد اطلاعه على النظريات السياسية والاجتماعية الحديثة التي أثمرت صراعاً مستمراً في نفسه بين التقليد والتجديد .

٢ - المنعطف الثاني : جعلناه منعطفاً تاريخياً وفنياً ، جعلناه في فصلين أيضا ، تناولنا فيهما :

آ - القصة في اللغة والاصطلاح والتاريخ ، كركيزة نرتكز عليها في دراستنا لقصص وروايات سهيل ادريس .

ب - وفن القصة ، حيث طبقنا هذا الفن على ما أنتجته القريحة السهيلية وفسّرنا انتاجه القصصي والروائي بمبدأ فهمنا نحن لا بما يعنيه أو يقصده كاتبه ، هنا ، تكون قد وافقناه أوعارضناه من خلال اجتهادنا ، والاجتهاد امر يقرّه الواقع والتاريخ ، ومن حقنا أن نفسّر القضايا بالأمور التي نراها ، ارتباطا بقضايا المجتمع المختلفة . ومن هنا كان لنا اجتهادات مختلفة أو مؤتلفة ، وخرجنا بنتيجة واضحة هي أن سهيل ادريس خالق شخوص واقعية ، تقوم على التضاد فيما بينها .

٣ - المنعطف الثالث : جعلناه منعطفاً نقدياً ، جعلناه في فصلين اثنين :

آ - تناولنا في الفصل الاول : أقاصيص سهيل ادريس ، وجعلناه في أربعة مباحث ، تناولنا في كل مبحث قصة قصيرة بالدراسة والتحليل ، ومن ثم أصدرنا حكمنا

على مجموعات سهيل ادريس القصصية الست ؛

ب - وفي الفصل الثاني تناولنا روايات سهيل ادريس ، في أربعة مباحث أيضا جعلنا كل مبحث لدراسة وتحليل رواية من رواياته الثلاث ، وجعلنا المبحث الرابع مختصا بهذه الأعمال الروائية في مرايا النقاد ، وبدورنا حللنا رأي النقاد ، لتصبح الدراسة متكاملة الجوانب من حيث التحليل والتقويم .

٤ - والمنعطف الرابع ، جعلناه منعطفاً أثرياً ، تحدثنا فيه عن مشاركة سهيل ادريس في الأدب العربي الحديث عبر ثلاثة فصول تناولنا فيها :

آ - مجلة الآداب ، حيث ماشيناها مع الصحافة الأدبية منذ نشأتها ١٩٥٣م وحتى ١٩٧٥ م ، وأشرنا الى المشاركة الأدبية التي شارك بها سهيل ادريس من خلالها

ب - واللغة ؛ عبر قاموس المنهل الذى أنشأه والدكتور جبور عبد النور وما لهذا العمل من قيمة ثقافية .

ج - واتحاد الكتاب اللبناني ، وارتباط هذا الاتحاد بالاتحادات الأخرى و والأعمال التي مارسها وانفرد بها عن غيره من الاتحادات .

أما عن دار الآداب ، وقد شاركت في اخراج الكثير من الكتب والروايات ، فقد أشرنا اليها اشارة ، لعدم تمكننا من الحصول على منشورات تخصها ، حتى تكون أرقامنا عن الكتب والروايات التي أخرجتها صحيحة ، وذلك للظروف الراهنة ولعدم تمكننا من الاتصال بصاحبها .

وهذا لا يعني أن دراستنا أتت متكاملة النواحي عن سهيل ادريس ، وفن القصة ، ومشاركته في الأدب العربي الحديث ، كلا ، بل هناك أكثر من موضوع يستحق العناية والدرس في نتاجه .. هناك المرأة ، وهناك الجنس ، وهناك القومية العربية ، وهناك الأحزاب السياسية ، يمكن للدارس أن يبحث عنها - من خلال عطاءاته الأدبية - بحوثا خاصة ، ومستقلة ، راجين من زملائنا متابعة مسيرتنا الى مافيه الأفضل والأكمل لهذه الأمة الجريحة .

ملحـــــــــــق

١ ـ القصـــه القصيـــره

آ ـ ست مجموعات قصص قصيرة ، نذكرها حسب تسلسلها التاريخي للطبع والنشر

المجموعه الاولى ـ أشواق [١] . سنة ١٩٤٧

تتألف هذه المجموعه الأولى من عشر قصص قصيرة ، حملت عنوان القصه الأولى ، وجاءت في مئه وسبع وعشرين صفحه من القطع المتوسط ، والقصص هـــي :

١ ـ أشـــــواق :

قصة فتاة مراهقه تبحث عن الحب ، ووالدتها تشغلها في تعلم الموسيقى بواسطة استاذ أعمى ، فتصدم به أولا ، ثم تشفق عليه ، ثم يتحول هذا الاشفاق الى حـــب ، فيهرب الاستاذ الأعمى منه ، ويعتذر عن الاستمرار في تعليمها الموسيقى .

٢ ـ أمومـــــه .

قصة رومانسيه عن الحرمان العاطفي الذى تعيش فيه أم فقدت ولدها ، وولـــد فقد أمـــه ، فحاولت هذه الأم أن تتخذه ولدا ، ثم توصي له بثروتهـــا .

٣ ـ امـــــرأة .

قصة تحكم الغريزة في المرأة ، وفشلها في كبت غريزة الأنوثه في نفسها ، وسيطرة هذه الغريزه على احساسها الفطرى بالأمومه . فقد عاشت الأم تجربة زواج فاشل مما جعلها تغار من ابنتها الشابه المخطوبه ، وتعاقبها بضراوة ، حتى جنت الفتاة وألقت بنفسهـا من الشرفـه وماتـــت .

٤ ـ نـــداء الأعمـــــاق

قصة فتاة طاهره ، أوصتها امها بأن تحرص على طهارتها ، وقد فعلت ، ولكنها وقعت صيدا سهلا لرجل مجرّب فانتحرت .

٥ ـ صـــــــراع :

شاب يخاف المرأة ، وينظر بقدسية لعاطفة الحب ، ولكنه يقع في براثن راقصـه ، ومع هذا يظل تقديسه للعاطفه سليما في أساسه ، وينظر للجنس على أنه مجرد نزوة .

---

١ ـ صدرت عن دار العلم للملايين ط ١ بيروت سنة ١٩٤٧ .

٦ ـ ظلمـــات .

قصة مدرس تقع الطالبات في حبه ، وحين يخطب من خارج المدرسه يبدأ غيـاب بعض الطالبات .. وشكوى الامهات مما يؤدى الى انهاء خدمات هذا المدرس .

٧ ـ راحـة الضميـــر .

قصة فتاة ريفية ساذجه ، وشاب مثقف متعال عليها ، وكل منهما يقاوم الاعتـراف بعاطفته ، ولكن الفتاة تبوح وتتعلق بالشاب ولا تعمل خادمة في بيته ، فراح يدبّر الهرب منها بالعودة الى بيروت ، مما يؤدى بالفتاة الى محاولة الانتحـار .

٨ ـ هي وكلبهـــا

قصة فتاة أحبت كلبها وأحبها الكلب حتى هاجم خطيبها غيرة منه وحنقا عليـه .. ويعض الكلب الخطيب ، فتضربه الفتاة بقسوة ، مما جعل الكلب يلقي بنفسه في حـوض الحديقـه وينتحـــر .

٩ ـ تفتح ورده .

قصة شاب نزيه الخلق ، يحرص على الأصول ، وفتاة مصابة بنوع من النرجسيـه ، شديدة الاحساس بجمالها ، لدرجة أنها لا تتصور أحدا يمكنه أن يرفض هذا الجمـال ، ومن ثم تتورط في عرضه على الطبيب الذى يرفضهـــا .

١٠ ـ تذكـــار ثـــوره .

قصة شاب يصاب برصاص المستعمرين ، ويعود الى البيت محمولا على اكتـاف زملائـه ، فيطمئن والدته ، ويقص عليها قصة اصابته مع غيره من الزملاء ، من أجـل استقلال لبنـان وحريتـــه ... وشلل رجله تذكار لهذه الثوره .

المجموعه الثانيه : نيران وثلوج (١)

هذه المجموعه القصصيه الثانية التي صدرت بعد " أشواق" بعام واحد ،وحملت اسم القصه الأولى كسابقتها ، وهي مكونة من عشر قصص ، جاءت في تسعين صفحه من القطع المتوسط .

والقصص هي :

١ ـ نيران وثلوج

قصة فتاة تجمع زملائها في الكلية على الاعجاب بجمالها والتقرب اليها ، ما عدا زميلا يتحداها ، وينازلها ، ويهزمها في الانتخاب ، وتبادله هذه الفتاة كرها بكره ، ولكن هذه الكراهيه المتبادله لم تكن الا خطاء خادعا لحب متغلغل يبحث عن فرصته للتنفس .

٢ ـ أصداء .

قصة فتاة جميلة متحرره من أسرة محافظه خلقيا تضيق بفتاتها المتحرره ، وتحمل الفتاة ، فيغرى الأب ابنه بقتل اخته ، وينفذ الشاب ارادة والديه اللذين سكتا عن فعلته ، ولكنهما بعد حين صارا يكرهانه وينظران اليه كقاتل ، ومن ثم توجها الى مكة للحج ، وتركاه يواجه عذاب الضمير وحيدا .

٣ ـ أحلام ضائعه

قصة شاب فقير يعجز عن تأمين الحياة التي توهله الزواج من الفتاة الغنيه التي أحبها ، ولكنها تأمله وتمنيه ، فيرفض ان يكون عالة عليها وعلى مالها .

ويرحل الشاب عن الحي ، وتختار الفتاة زوجا لها فتدعوه الى حفلة زواجها ،فيرتشف الخمر ، ويحاول أن يطعن الزوج لولا أنه سمع موسيقى "احلام ضائعه" تنبعث من أصابعها ، فيرتد عن تصرفه هذا ويخرج من البيت .

٤ ـ استشهاد .

قصة وطنيه ، بطلها شاب انضم الى جيش التحرير ، حيث ترك والدته وشقيقه ، بعد أن أوصى أخاه بأمه ، ليقبلها عنه ، ويرجوها أن تدعو الله من أجله ، لأنه يغادر أما لتحتضنه أم ثانيه ، امه الكبرى ، الأرض الحبيبه التي يتوجه اليها : فلسطين .

٥ ـ قبلة اليد .

قصة فتى ساذج مقابل فتاة واثقه مجربه . كان قادرا على ان يغامر بتقبيل يدها ، ويقف عند هذا الحد ، ولم يكن قادرا على نيل الأكثر الذى تعرضه عليه وهو لايكاد يعي ما يدور ، فتصده وتتهمه بالحمق .

---

١ ـ نشرتها دار العلم للملايين ببيروت سنة ١٩٤٨ طبعه اولى .

٦ - الحرمـــــان

قصة طالبه تقع في حب شاب وسيم يكتب فيها شعرا ، فتعشقه المدرسه من خـــلال أشعاره ، فتعصف بها عواطفها حتى تدبّر كذبة ، وتفرّق بين الحبيبين ،ولا ينفعها أن تعترف وتندم ،وتحاول اصلاح ما أفسدت ،ولكنها تحاول متأخـرة .

٧ - أقوى من الحياة (التضحية المشتركه)

قصة صديقين عاشا معا ،حتى أصبحا لا يفترقان أبدا ، وتتدخل خطيبة أحدهما التي ترافق الاثنين معـا ، فتحب صديق خطيبها الذى يقاوم هذا الحب ويرفضه ، فتنسحب من حياة الصديقين معا ليبقيا معا ، وانما سلك كل واحد منهما طريقا يختلف عن طريق صديقه .

٨ - عطـــر ودم

قصة فتاة أحبت فرفضت الشاب الثرى ، وسافرت الى القدس كعادتها في كل صيـــف لقضاء فترة اسبوع ، فتقتل هنـاك .

٩ - الصمت المجـــرم

قصة فتاة أحبت صديق شقيقها ، وأحبته بصمت لم تقو من خلاله الافصاح عن حبها .

تنخطب الفتاة ، ثم تفسخ خطوبتها ،وتسافر الى العراق لزيارة شقيقتها ، وتبقـى مدة سنة كامله ولم يحاول الحبيب ان يكتب لها لصعتها الذى لم يعرف معناه ، فتزوج ، فباركت زواجه واعترفت له عن سبب فسخ خطوبتها ، وخلافها مع أهلها فتألم ، وشعر بالندم .

١٠ - أقـــوى من الحيـــاة

قصة فتاة تستسلم بقلبها وفكرها وجسمها ، وتبذل بين يدى حبيبها البذل الموفور ، فلم يشك في أنه فرط الحب وثورة الصباه . فيهاجر حبيبها سنه واحدة على الأكثر لتأمين حيـــاة أفضـــل ، فتنساه ، وتفكر بسواه ، وتحيه وتمنحـــه ما منحت حبيبهـــا .

المجموعة الثالثة : كلهن نساء (١)

تتألف هذه المجموعة من تسع قصص قصيرة ، لا يمثل تسميتها عنوان قصة من قصصها عكس المجموعتين السابقتين ، ولكن التسميه تمثل مضمون القصص الذى يدور حول المرأة • صدرت بعد مجموعة " ثيران وثلوج " بعام واحد سنة ١٩٤٩ ،جاءت في ست وتسعين صفحه من القطع المتوسط •

والقصص هي :

١ ـ الخطيئة الطاهره •

قصة شاب له رأى ضد المرأة ، وكان يجد يسرا عجيبا في الايقاع بها حتى التقى بزوجه زميله التي صدته ، وحالت بينه وبين نواياه ، فاتخذ منها صديقة بريئة ، تحدثه عن همومها • وتعرض هذه الفتاة ، وتخبره عن سبب مرضها ،فهي قد خانت زوجها ،ولا تدرى كيف تخبره • فكبرت في عين الشاب ، وأوحت اليه كل الاحترام رغم هذه الصراحه •

وأخبرت زوجها الذى لم يتحمل النبأ فطلقها ليتزوج منها هذا الشاب •

٢ ـ القصّاص :

قصة قصاص يهزأ بعشق الناس ، فاذا هو عاشق يهزأ به الناس وقدمت له الفتاة ، التي أحبها شابا على أنه خطيبها وعرّفت عنه على أنه قصّاص بارع ، فطلب الخطيب منه أن يكتب قصة عن زواجهما •

٣ ـ عودة الماضي •

قصة زوجة أحبت شقيق زوجها ، لأنها ترى فيه شباب زوجها الذابل ، فانسحبت من حياة الزوج لتحيا حياة شبابه مع أخيه •

٤ ـ دموع في الكونتينينتال •

قصة زوجه ، تخبر زوجها ان الشاب الذى رآه في بيتها كانت تراه كل يوم من نافذة بيت أبيها أمام باب كوخه • فأحبت فيه رجولته وقدرته وتكرهه فيما عدا ذلك ، ولكنه أتا هنا ليطلب منها بعض المال كعادته في الوقت الذى دخل فيه زوجها الذى خرج دون أن ينبس بكلمة ، ثم يعود اليها بعد أن يقرأ اعترافها هذا •

٥ ـ أنانية •

قصة فتاة أحبت ، فتمنعت أن يقبّلها حبيبها ، ولكنها تعود بعد ذلك فتمنحه كل شيء ، لأنها هي تريده رغم وجود والدها في المستشفى •

---

١ ـ نشرتها دار العلم للملايين ببيروت سنة ١٩٤٩ • قدم لها سعيد تقي الدين من صفحه ٣ الى صفحه ٦

٦ - الأمـــواج الجائعـــــه :

فتاة لعوب على شاطئ البحر ، تتدعي الغرق لتبني صداقه مع منقذها ، وفتاة أخرى تنتقدها ، ثم تتركها ولم ترافقها .

وتتزوج الفتاة الطيبه زميلها ، بينما هي تغرق ومنقذها الجديد الذى من بطانتها

٧ - الخائبـــــــة .

قصة فتاة جميلة ، أبى عليها احساسها بالجمال أن ترضى الا الشاب الذى يستجيب لأهوائها ويرضى نزواتها ولو كان فيها شذوذا .. فخطبت لمن استلطفت ،فوجدت في شقيقه الشاب الذى تبحث عنه في طريقها ولم تجده . فحدد موقفه منها بعد خطوبتها ، ففسخت خطبتهـــا عن أخيه من أجل رفض حبهـــا .

٨ - لغـــة الحـــــب .

قصة شاب يعمل في شركة بترول أقامت لها مكاتب وفروعا في غير بلد من بلـــدان الشرق الاوسط . تعرف على فتاة أحبها وأحبته ، ثم ابتعدا عن بعضهما البعض نتيجة نقله الـى مكان بعيد . ثم التقيا ، وسافر الشاب ليجمع مالا وفيرا ، بعد أن تبادلا رسالتي كره وفراق .

وخطب الشاب فتاة من اسرة راقيه في البلد الذى يعمل فيها ، وأحرق رسائـــل حبيبته ، ولكنه قبل زواجه بيومين تلقى رساله قصيره عرف من خطها أنها رسالة من حبيبته ، تخبره أنها تزوجت ورزقت طفلا وتهنئه بزواجه المرتقـــب .

٩ - شـــر ما فيهـــــا .

قصة رجل لم يكن يؤمن بالزواج ، وكان اذا سئل يقول : قال سيدنا الامام علـــي كرم الله وجهه : "المرأة شر كلها" ويقع في حب الراقصه في الملهى الذى أقيم مقابل حانوته ، فيشرب الخمر ، ويحاول أن يطعن الراقصه بسكينه عندما دفعته عنها ، فيساق الى السجن ، ليسمع زميله في السجن يقول : " وشر ما فيها أنه لا بدّ منهـــا "

المجموعة الرابعة : الدمع المر (١)

تتألف هذه المجموعة من تسع قصص ، وتحمل اسم القصة الاولى ، كالمجموعتين الاولى والثانية ، جاء في ٩٦ صفحة من القطع الوسط ومعظم قصصها نشرت في مجلة الآداب .

والقصص هي :

١ - الدمع المر (٢)

قصة طالب عربي يدرس في باريس ، يصادف فتاة فرنسية ، ويحمّل قادة العرب مسؤولية مأساة فلسطين ، كما يحمل هتلر مسؤولية عدم القضاء على اليهود .

وتتعرض الفتاة الفرنسية ، بسبب عدائها لهتلر ، عدو اليهود وعدو فرنسا ..

ويعود الطالب العربي الى وطنه بعد أن يشعر بالخجل في تجواله في فرنسا وفي عودته .

٢ - الطريق (٣)

قصة شاب أحب ابنة عمه رغم اختلاف ميولهما .

ويدخل المستشفى بعد جراح أصابته في احدى المظاهرات الوطنية فيكون دخوله المستشفى درسا قاسيا لابنة عمه التي تعترف له بخطأها وصواب أعماله ، حيث تلتحق بحملة توزيع الملابس على اللاجئين الفلسطينيين .

٣ - رسالة الى أمي (٤)

طالب عربي في بلد أجنبيه يكتب رسالة الى امه يخبرها فيها عن جاره " بول البؤوشي " الذى فقد ساقه وذراعه في الحرب ، كما فقد أمه بعد أن زارته في المستشفى اثر اصابته في الحرب.

٤ - وحول . (٥)

قصة عامل يعمل في مطبعه ، زوج وله ولد وفتاة ، يشترى من بائع أوراق اليانصيب نصف ورقه بخمس ليرات لبنانيه من أصل سبع ليرات يملكها . وتربح ورقة اليانصيب ، فيرفض استلام الجائزه ويعود الى عمله في المطبعه .

---

١ - صدرت عن دار الآداب بيروت ١٩٥٦

٢ - نشرت في مجلة الآداب في العدد ٦ سنة ١٩٥٣

٣ - = = = = = = ٩ = = =

٤ - = = = = = = ٦ = = ١٩٥٤

٥ - = = = = = = ٨ = = =

٥ — الغشـــاوة (١)

قصة شاب مثقف عرف الابعاد التي تريدها فتاته في فتى أحلامهـا ، فوجـد وظيفة براتب محترم يجعله قادرا على اقناعها ، ولكنه شعر بضيق قوى ، شعر انه يخون فكره الحر ، ويبيع ضميره المستقل ، فانسحب من وجودها ، فشعرت بخطأها ، ورجته أن يغفـر لها ، أن يشدها اليه ، أن يقبلها ليمسح دموعها بشفتيه .

٦ — ميلوشكسا .

قصة فتاة تشيكية هجرت بلادها في أعقاب الحرب الاخيرة ، واتخذت فرنسا موطنـا لها ، تعيش فيه حياة لاهية عابثه لا يحد من حريتها قيـد .

وتسقط تحت عجلات سيارة مسرعة عندما كانت ذات ليلة سكرى ، فاذا بذراعهـا اليمنى تتحطم ، فتدخل المستشفى .. وهناك تقرأ كتابا عن حياة غاندى ، فتذهب الى بـلاده حيث هزتها حياته بما كانت تحمل من مقاومه للشهوه وقتل اللذة وكبت الاهواء ، فانقلبت على نفسها وأصبحت شخصية ثانية ، يختلف مسلكها عن ذى قبل .

٧ — صديقي و شقيقتي

قصة شاب في الثلاثين من عمره ، سافر الى امريكا لعمل تجارى . رأى صـورة شقيق ولكاتب في مجلة الاسبوع وقرأ عن نجاحها في الشهاده ، فغير الشاب مشروعه التجـارى وانصرف الى الدراسة حتى نال شهاده " الام اى " " " .

ويكتب هذا الشاب الى شقيق الفتاة خاطبا ، فيرد عليه عن طريق اعلان خطوبتهـا على شاب من بلدهـا .

٨ — صورة ناديـا .

قصة شاب يذهب الى فرنسا لتحصيله العالي ، وهو على عهده مع فتاته في الشـرق التي وعدت أن تكتب لـه .

ويتعرف الشاب على فتاة فرنسيه تشبه ناديا ، فتحس انه لم يحبها ، بل يحـب فيها صورة حبيبته الشرقيـة ، فتنسحب بعد أن تصفه بالشرقي الساذج .

وفي اليوم الثاني تلقى رساله من اخته تخبره فيهـا : ناديا قد خطبت ،وأن عقـد قرانها سيتم عما قريـب .

---

١ — نشرت في مجلة الآداب العدد ٥ سنة ١٩٥٥

المجموعة الخامسة : رحماك يا دمشق (١)

تتألف هذه المجموعة من خمس قصص قصيرة ، تحمل اسم القصه الثالثه في المجموعه جاءت في مئه وخمسه وثلاثين صفحه من القطع الوسط ، وجميع قصصها نشرت في مجلة الآداب.

والقصص هي

١ ـ القلق (٢)

قصة شاب متزوج ، يعمل في المدرسة وفي الجريدة ، كان يعيش في قلق يدور حول اوضاعة الثلاثه . المدرسه ، والجريدة ، والبيت ويعتبر جيله هو جيل انتقال ، جيل ضحيه ،وليعرف انه يجعل من قلقه وسيله مجديه للجيل الذى سيخلفه ، لذلك رحب بالمولود المنتظر .

٢ ـ الدمع العذب (٣)

قصة انسان يسمع عن طريق المذياع " اعلان الجمهورية العربية المتحده" فيشعر بقطرة تحرق خده ، وظلت تسيل حتى بلغت شفته العليا فتذوقها بلسانه وتمصصها دمعا عذبا .

٣ ـ رحماك يا دمشق (٤)

قصة انسان تخبره زوجته عن انفصال سوريا عن الجمهورية العربيه المتحده ، فيشعر بالالم والغم عندما يتأكد من حقيقة الانفصال .

وتضع زوجته في نهاية هذه الليله مولودا ، قال عنه : انه اجمل مولود رآه في حياته.

٤ ـ العصفور القطني الأصفر (٥)

قصة عتال فقير طلب منه ابنه ان يشترى له العصفور القطني الأصفر ، ولكنه يشترى ما تبقى مع الصبي بائع العلكه ، من حبات العلكه ليمنع والده من ضربه ، على أمل ان يشترى العصفور من أول اجرة يقبضها في اليوم التالي .

٥ ـ التقاهه (٦)

قصة كاتب يجلس في مقهى حديث تتردد عليه السيدات ، فتظهر أمامه الفتاة التي أحبها ، ومعها طفلان ..

وتتهمه فتاته بالنسيان ، لأن " العهد " كلمه مجردة ولابدّ من تقديم البراهين المحسوسه لمنحه قيمته .. وتذهب من غير أن تلتفت اليه ، تاركة نقطه دم سقطت من جرح اصبعها ، وهي كل ما تبقى له .

---

١ ـ نشرتها دار الآداب ببيروت الطبعه الاولى سنة ١٩٦٥

٢ ـ نشرت في مجلة الآداب العدد ٧ سنة ١٩٥٦

٣ ـ = = = = = = ٣ سنة ١٩٥٨

٤ ـ = = = = = = ١١ سنة ١٩٦١

٥ ـ = = = = = = ٢ سنة ١٩٦٥

٦ ـ = = = = = = ٧ سنة ١٩٦٥

المجموعة السادسه : العـــراء (١)

تتألف هذه المجموعة من سبع قصص قصيرة ، تحمل اسم القصه الثالثه كما يقتهـــا جائت في مئة واربع صفحات من القطع الكبير ، خمس قصص من هذه المجموعه نشرت في مجلة الآداب.

والقصص هـــي :

١ ـ الليل والأسـلاك (٢)

قصة فتاة أحبت خطيبها ، وافترقت عنه عندما تمكنت من دخول الأرض المحتله وحدها وتخلف خطيبهـــا ..

والتقت بصديق خطيبها ، وأحبته بعد أن يئست من عودة خطيبها ، ولكن الحبيب الثاني يعود ليبحث عن خطيبها ، فترافقه حتى أسلاك الحدود .

٢ ـ زمن الهزيمة والنصـــر (٣)

قصة تعبر عن شوق الشباب العربي في فلسطين للدفاع عن أرضهم ، كما تتحدث عن القيادات العربيه المختصين في القضية مباشرة ، وعدم تزويدهم الشباب بالسلاح المناسب لاسترداد ما سـلب من الأرض المحتلـــه .

٣ ـ العـــــراء : (٤)

قصة المثقف العربي واحساسه في الهزيمه ، تدخل عليه زوجته ، وتريه صوره مـــن مجلة أحضرها ابن عمه من باريس ، صورة تعبر عن الذعر في عيون الجنود العرب المستسلمين ، التي تتطلع الى فوهات البنادق والرشاشات التي تحملها أيدى النســـاء .

٤ ـ شـيخ الكرامـــه : (٥)

قصة شيخ فقد زوجه وابنه في غارة اسرائيلية ، فحمل السلاح واتخذ من الفدائيين أولادا له ، يتهكم على كل عربي يقول عن نفسه عربي ولا يكون فدائيا لاستعادة الارض المحتله والانتقام من المجرمين اليهـــود .

٥ ـ العبســـور (٦)

قصة تعبر عن الانسان العربي الفدائي الذى ينذر نفسه من أجل استرجاع أرض فلسطين ، فاذا به يقع فريسة مخطط اردني لطرد الفدائيين من على أرض الاردن ، لمنعهـــم من التحرك ضد اســـرائيل .

---

١ ـ نشرتها دار الآداب ط ١ لسنة ١٩٧٤ بيروت في ١٠٤ صفحات
٢ ـ نشرت في مجلة الآداب العدد ٢ سنة ١٩٦٦
٣ ـ = = = = = = ٢ سنة ١٩٦٧ فصل من رواية لم تصدر
٤ ـ = = = = = = ١١ سنة ١٩٦٧
٥ ـ = = = = = = ٧ سنة ١٩٦٨
٦ ـ = = = = = = ٨ سنة ١٩٧١

٦ ـ القراءة في العيـــون المغمضـــه (١)

قصة أديب عربي يسافر للمشاركة في مؤتمر أدبي . في مطار بيزا يشاهد فتاة شقراء بعد أن أمضى أمسيه مقلقه مع باتـــر يشيا التي هي في عمر ابنته .. والقصه تركز على أن صاحبهـــا جامع خيبات أمل .

٧ ـ نكهـــة خاصـــه .

قصة والد يعود الى بيته من السفر ، فيلتقي بأفراد عائلته كالعادة ، فتقع ابنتـــه الصغيرة على حاجز خشبي للباب ، فيدخل خنجر من الزجاج المحطم فوق خاصرتها اليمنى ، فتنقل الى المستشفى .

والقصه تتناول حياة الأسرة المحبة ، وارتباطها الأسرى والعاطفي .

---

١ ـ نشرت في مجلة الآداب في العدد ٤ سنة ١٩٧٣

٢ ـ الروايـــــات

١ ـ الحي اللاتيني ١٩٥٣
٢ ـ الخندق الغميق ١٩٥٨
٣ ـ أصابعنا التي تحترق ١٩٦٢
٥ ٥ ٥

١ ـ الحي اللاتيني (١)

أول رواية صدرت لسهيل ادريس في سنة ١٩٥٣ ، نشرتها دار العلم للملايين ببيروت أطلق عليها اسمها نسبة الى " الحي اللاتيني " في باريس ، حيث كان يقيم بطل القصة هناك ، " والحي اللاتيني " مشهور على أنه حي الطلاب الوافدين للعلم والمعرفـــة .

بدأها سهيل ادريس بتمهيد ، وجعلها في ثلاثة أقسام وخاتمه ، في ٢٨٥ صفحـه من القطع الكبيـــر .

في القسم الأول : نرى الشاب اللبناني الذى يسافر الى فرنسا لأول مرة ، بغيـــة تحصيل العلم العالي ، بعد أن ترك جبته وعمامته الشرقيه . ونراه يبحث عن المرأة ، هم الشـباب المراهق الذى لا شاغل له الا الحصول عليها مهما كان الثمن ، كان همه الحصول على أية فتاة .

أما في القسم الثاني ، فنراه يقع في الحب ، الحب الناضج بعد أن ترك حـــب المراهقة في القسم الأول .. أما في هذا القسم ، فكان يتكلم عن حبه " لجانين مونترو " الفتـــاة الالزاسيه التي أتت الى العاصمه الفرنسيه لتلتحق بمعهد الصحافة ، هربا من خطيبها الذى رأته يخونها مع فتاة غيرها ، فالشرف برأيها هو الاخلاص ، لذلك رفضت خطيبها رغم ما أبداه من اعتذار .

ونرى في القسم الثالث ان الحب قد انقلب الى مأساة ، والمأساة بلغت قمتهـــا ... فسامي يعود الى وطنه في اجازة قصيره ، ويلتقي بوالدته وجها لوجه ، وجانين بعيدة هناك في فرنسا وتستطيع التقاليد والعادات أن تنتصر ، فالأم مثلت بعقليتها الرجعيه والجمـود .. ولم يستطع سامي أن يخرج عن نطاق هذا الجمود الذى يرفضه .. لذلك ، كتب رساله الى حبيبتـــه يعتبر فيها حبه نزوة عابره ، ويتركها وحدها تقرر مصيرها وابنها الذى في أحشائها .

ويعود الى باريس ، فتصبح أمه ذكرى مرة ثانيه ، وتقاليدها مجرد ذكرى ، ولكـــن جانين ترفض أن تراه ، حيث تهرب بعد أن خرجت من المستشفى الذى اجهضت فيـــه .

ولكن اصرار سامي اوصله الى مقابلتها في كهف من كهوف الوجوديين بعد أن أصبحت فتاة ضائعـــــه .

ولم يستطع أن يقنعها بالعودة اليه ، فقد ذهبت وتركت له رساله في الفندق ، تحثـه بالعودة الى مشرقه البعيد الذى ينتظره ويحتاج الى شبابه ونضالـه .

والقصه بكاملها عبارة عن صراع قائم بين الماضي والحاضر ، فنرى ان الحاضر يعيش على جذور الماضي ، التي تتحكم بنشأته .

---

١ ـ نشرتها دار الآداب ببيروت الطبعة السادسه في كانون ثاني سنة ٩٧٣ . كانت طبعتهـــا الاولى سنة ٩٥٣ ، حيث نرى أن هذه الرواية طبعت ست مرات بين سنة ٩٥٣ و سنة ٩٧٣

٢ - الخندق الغميق (١)

الرواية الثانية التي أصدرها سهيل ادريس ، وقد تناولت حياته في طفولته ، وشبابه ، ، طبعها ١٩٥٨ . وكان اسمها مقتبسا من الحي الذى عاش فيه في بيروت " الخندق الغميق" أو أنه كان يقصد بالخندق الغميق ما هو عبارة عن هوة ساحقة تفصل الجيل الجديد عن الجيل القديم .

قسّم الرواية الى قسمين : قسم اول وقسم ثان . لم يكتب تمهيدا لها أو خاتمة كسابقتها . تتألف من ١٧٠ صفحه من القطع الكبير .

صوّر سهيل ادريس في القسم الاول الأسرة اللبنانية ، وجعل على رأسها أبا ذو اتجاه ديني ، وأسرة ، يحاول بعض أفرادها أن يتمردوا على القيم والتقاليد التي تتحكم في نفس الوالد وفي عصره "

ونرى سامي يدخل المعهد الديني عن طيب خاطر ، ثم نراه يتذمر ، ويندم في وقت لم ينفع الندم فيه .. فهو لم يخلق ليرتدى الجبة والعمامه ، ولكنه ارتداهما ، وشعر بثقلهما على جسده وفي نفسه .

وفي القسم الثاني يخبرنا عن قصة حبه ، وعن استعداده على خلع الجبة والعمامه ، والسفر الى الخارج لتحصيله العالي .

فنراه ينجح في الشهاده الحكومية التي توهله للدراسة الجامعيه ، بعد أن يتحدى ارادة والده في انتقاده للماضي وآثاره ، ويدرب شقيقته على أسلوبه حتى تخرج من عزلة التقاليد البغيضه ، فتتزوج الشاب الذى أحبته ويسافر سامي الى فرنسا ، ويعود فوزى الى واقع الحياة التي كان يرفضها عن طريق الخمرة ، ويموت الأب .

---

١ - صدرت عن دار الآداب ط اولى سنة ١٩٥٨ ، وكانت الطبعه الثانيه في ايار سنة ١٩٧٢ .

٢ ـ أصابعنا التي تحتـــرق (١)

هذه الرواية الثالثه التي تناولت حياة الكاتب بعد عودته من فرنسا ٠٠ وقد ضمنها آراءه السياسيه ، والقوميه ، والاجتماعيه ، واسمها مقتبس من جمله مكتوبه فيها ، كان يقصـــد ما تعنيه تلك الجمله من معنى يعطي القارئ ـ من أول وهله ـ فكرة عامه عن محتوى هذه الروايـه ٠

الرواية مقسّمه الى قسمين : في ٢٩٢ صفحه من القطع الكبيـــر ٠

يبدأ القسم الأول من الروايه بدخول فتاة معجبه بمجلته ، تطلب الاشتراك فـــي المجله ، فيعرف اسمها وعنوانها ٠

وفي هذا القسم يتناول سهيل ادريس حياة أصدقائه شعراء وكتاب ، كما يتناول رأيه في الأحـزاب السياسيه ٠

وفي القسم الثاني ، نراه يكتبه على شكل مذكرات على لسان الفتاة التي دخلت عليه المكتب في أول الروايه ، حيث أصبحت زوجته ، فقد أخذت تكتب كل شيء رأته وسمعته من خلال مرافقتها لسامي الذي حدثها عن نفسه وذويـــه ٠

---

١ ـ نشرتها دار الآداب ببيروت ط ٢ سنة ١٩٦٧ ٠ كانت طبعتها الاولى سنة ١٩٦٢ ٠

٣ ـ الدراسات الأدبيه والنقديه واللغويـــة ٠

١ ـ محاضرات عن القصه في لبنان (١)

هذا الكتاب يضم ثماني محاضرات عن القصة في لبنان ، يحتوى على ثماني وتسعين صفحه من القطع الوسط ، صدر سنة ١٩٥٧ ٠

وهذه المحاضرات هي عبارة عن دراسة تمهيديه للقصه المعاصرة في لبنان ، أو خطوط اولى تعين الراغب في وضع دراسة شامله عن النتاج القصصي اللبناني خلال قرن من الزمـــن ، وهي في ذاتها ـ كما يقول كاتبها ـ " تفتقر الى عدد من المقوّمات التي لا بد منها في كل دراسة جديـــه ٠ فقد اهملت أو كادت تهمل " اهمالا تاما حياة المؤلفين والظروف التاريخيه والنفسيه التي انتجوا فيها آثارهم " (٢)

وتناول في هذه المحاضرات طلائع القصه في لبنان ، وروّاد القصه في لبنان ، والقصه اللبنانية المعاصره ، وحدد مراحل هذه القصه بثلاث مراحل ، جعل المرحله الأولى من (١٩٢٠ ـ ١٩٣٠) ٠ والمرحلة الثانيه من (١٩٣٠ ـ حتى نهاية الحرب العالمية الاولى ٠ ثم المرحله الثالثه من نهاية الحرب العالميه الاولى ، حتى سنة ١٩٥٧ ٠

ثم تناول خصائص القصه اللبنانية ، وقال عنها انها لم تكن نابعه من ذاتها ولا مـــن تأثير البيئه والوســـط ٠ (٣)

٢ ـ قاموس المنهل ، عربي فرنسي ، أصدره في ثلاثة حجوم ، وقد شاركه في هذا العمـــل الضخم الدكتور جبور عبد النـــور ٠

٣ ـ مجلة الآداب ٠ أسسها سنة ١٩٥٣ ، وتكلمنا عن هذا الأثر الضخم في مبحث مستقـل في الباب الرابع الفصل الأول ٠

٤ ـ دار الآداب ، أسسها سنة ١٩٥٦ ، احتضن بواسطتها الكتاب الشباب ، ونشر انتاجهم الأدبي ، سواء كان شعرا أو نثرا ، فكانت هذه الدار ، كما كانت المجله وسيلة نشر واعلان ، خدمت الأدب العربي من جهة ، وخدمت الكتّاب الناشئين من جهة اخرى ، فعرفت بهم كما عرفوا بها ٠

٥ ـ اتحاد الكتاب اللبنانيين سنة ١٩٦٨ ، يضم : قسطنطين زريق ، وجوزيف مغيزل ، ومنير البعلبكي ، وأدونيس ٠ وسهيل ادريس ، وقد انتخب سهيل ادريس أمينا عاما لهذا الاتحاد ثلاث دورات متواليه وتكلمنا عن جميع هذه الآثار في الباب الرابع الفصل الثالـــث ٠

---

١ ـ نشرتها جامعة الدول العربيه ، معهد الدراسات العربيه العاليه ط ١ سنة ١٩٥٧

٢ ـ ادريس ، سهيل ٠ محاضرات من القصه في لبنان ، ص :

٣ ـ نفســـه = = = = = ص :

٦ ـ الترجمـــــات :

١ ـ	دروب الحريـــه ...	لجون بول سارتر
٢ ـ	الطاعـــون ...	لألبير كامـور
٣ ـ	الأيدى القذره ...	جان بول سارتر
٤ ـ	سارتر والوجوديه ...	و . م . البوريـــــس
٥ ـ	الأفواه اللامجديـه ...	سيمون دى بوفوار (مسرحية في فصلين)
٦ ـ	البلور المحـرق ...	تشارلز مورغان (الكاتب الانكليزى) عن الفرنسيه
٧ ـ	كامو والتمـرد ...	روبير دولوبيـــه
٨ ـ	بستان الكـــرز ...	لانطون تشيخوف
٩ ـ	الحقيقه ماتت ...	لعمانوئيل رويلس
١٠ ـ	ثمن الحريـــه ...	عمانوئيل رويلس
١١ ـ	موتى بلا قبـور ..	لجان بول سارتر
١٢ ـ	النفي ...	مسرحيتـــان
١٣ ـ	دريـــس ...	جانين اوريانـو
١٤ ـ	العدالة الاجتماعيه ...	أميل غيرى
١٥ ـ	الفئيـــان ...	جان بول سارتر
١٦ ـ	شمس العرب تسطع على العرب ...	سيغريد هانك (الالمانية) نقله عن الفرنسيه
١٧ ـ	سيرتي الذاتيـــه ...	جان بول سارتـــر .

مصادر البحث ومراجعه

أولا : المقابلات :

١ - المقابلة مع الدكتور سهيل ادريس .

٢ - ارشادات الأب ميشال الأر .

٣ - ارشادات الأستاذ المشرف .

ثانيا : الصحف والمجلات :

"مجلة الآداب" ، منذ سنة ١٩٥٣ ولنهاية ١٩٧٥ .

نشرة خاصة صادرة عن دار الآداب من أربع صفحات .

ثالثا : الكتب :

١ - ابن سينا رسالة حي بن يقظان ، ورسالة القدر - ليدن ، طبعة لندن

٢ - ابن منظور لسان العرب دار لسان العرب بيروت ١٩٦٨م

٣ - ابن النديم الفهرست

٤ - ابو يصير، صالح مسعود جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، دار الفتح للطباعة والنشر ط ٣ بيروت ١٩٧٠ م .

٥ - ابو شبكان ، الياس روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة دار المكشوف - بيروت ١٩٤٣م

٦ - ادريس، سهيل الحي اللاتيني

٧ - ادريس ، سهيل الخندق الغميق

٨ - ادريس ، سهيل أصابعنا التي تحترق

٩ - ادريس ، سهيل مجموعة "اشواق" دار العلم للملايين ط١ بيروت ١٩٤٧م

١٠ - ادريس ، سهيل = نيران وثلوج = = = = = ١٩٤٨م

١١ - ادريس ، سهيل = كلهن نساء = = = = = ١٩٤٩م

١٢ - ادريس ، سهيل = الدمع المر = = = = = ١٩٥٦م

١٣ - ادريس ، سهيل = رحماك يا دمشق دار الآداب ، بيروت ١٩٦٥م

١٤ - ادريس ، سهيل = العراء = = = ١٩٧٤م

١٥ - ادريس ، سهيل = محاضرات عن القصة في لبنان ، جامعة الدول العربية معهد الدراسات العربية العالية ط ١ ١٩٥٧م

١٦ - ادريس ، سهيل = قاموس المنهل / عربي فرنسي دار الآداب ، ودار العلم للملايين ط ٣ بيروت ١٩٧٣ م .

١٧ - ادريس ، سهيل = مجلة الآداب ١٩٥٣م

١٨ — أنيس، ابراهيم . من أسرار اللغة مكتبة الانجلو المصرية ط٣ القاهرة ١٩٦٦م

١٩ — أنيس، المقدسي الفنون الادبية وأعلامها دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٣م

٢٠ — بدر، عبدالمحسن تطور الرواية العربية دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣م

٢١ — بليخانوف الفن والحياة الاجتماعية / ترجمة احسان حصني وتوفيق عبدالنافع طليمات دار ابن الوليد .

٢٢ — بيكون، غايتان الادب الفرنسي الجديد / ترجمة نبيه صقر وانطون الشمالي دار عويدات ط ١ بيروت ١٩٦٣م

٢٣ — بيومي السباعي تاريخ القصة والنقد في الادب العربي مكتبة الانجلو المصرية — القاهرة ١٩٥٦م

٢٤ — تشارلتون فنون الأدب / ترجمة زكي نجيب محمود

٢٥ — تيغم، فان الرومانطيقية : نشأتها، فلسفتها، قضاياها، آثارها — مطبعة الرسالة، مصر .

٢٦ — تيمور، محمود دراسات في القصة والمسرح مكتبة الآداب، القاهرة

٢٧ = = محاضرات في القصص في أدب العرب معهد الدراسات العربية القاهرة ١٩٥٨م

٢٨ — جبران خليل جبران المجموعة الكاملة . قدم لها وأشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة / دار صادر للطباعة والنشر — بيروت ١٩٦٤م

٢٩ — الجندي، أنور المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة عام . (١٨٤٠ — ١٩٤٠م) مطبعة الرسالة — مصر ١٩٦١م

٣٠ — جوميه، الأبج ثلاثية نجيب محفوظ / ترجمة نظمي لوقا مكتبة مصر ط ١ — القاهرة ١٩٥٩م .

٣١ — الجوهري، اسماعيل / الصحاح في اللغة والعلوم دار الحضارة العربية بيروت ١٩٧٤م بن حماد اعداد نديم وأسامه مرعشلي .

٣٢ — حمزة، عبداللطيف المدخل في فن التحرير الصحفي دار الفكر العربي ط ٣ ١٩٦٥م

٣٣ — ، الحوفي، احمد محمد الحياة العربية من الشعر الجاهلي مكتبة مصر ط ٤ القاهرة ١٩٦٢م .

٣٤ — دارين اوستن، ورينيه بليك نظرية الأدب المجلس الاعلى لرعاية الفنون والادب والعلوم الاجتماعية ط ١ ١٩٧٢م

٣٥ — دي طرازي، فيليب تاريخ الصحافة العربية المطبعة الادبية — بيروت ١٩٦٣م

٣٦ — الرشيدات، شفيق فلسطين (تاريخا وعبرة ومصيرا) دار النشر المتحدة للتأليف والترجمة ط ١ بيروت ١٩٦١م

٣٧ - الريس، محمد ضياء الدين تاريخ الشرق العربي والخلافة العثمانية ؛ مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٠م

٣٨ - زعيتر، اكرم القضية الفلسطينية دار المعارف بمصر - مصر ١٩٥٥م

٣٩ - السطر، عبد الحميد جودة القصة من خلال تجاربي الذاتية ؛ معهد الدراسات العربية العالية القاهرة ١٩٦٠م .

٤٠ - السمران، محمد علم اللغة دار المعارف بمصر ط ١ مصر ١٩٦٢م

٤١ - سوبول، ألبير تاريخ الثورة الفرنسية دار عويدات ط ١ بيروت ١٩٧٠م

٤٢ - سلام، احمد زغلول دراسات في القصة العربية الحديثة ؛ مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٤. م

٤٣ - شكري، غالي ازمة الجنس في القصة العربية الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ط ١ القاهرة ١٩٧١م

٤٤ - صابات، خليل تاريخ الطباعة في الشرق العربي ؛ دار المعارف القاهرة ١٩٥٨م

٤٥ - صليبا، جميل الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث .

٤٦ - الصليبي، كمال سليمان ؛ تاريخ لبنان الحديث دار النهار، بيروت ١٩٦٧م

٤٧ - ضيف، شوقي في النقد الادبي الحديث دار المعارف ط ٢ القاهرة ١٩٦٦م

٤٨ - طبانة، بدوى التيارات المعاصرة في النقد الادبي ؛ مكتبة الانجلو المصرية ط ١ القاهرة ١٩٦٣م

٤٩ - عبد الله، محمد حسن الواقعية في الرواية العربية دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٧١م

٥٠ - عبود، مازن جدد وقدماء دار الثقافة، بيروت ١٩٥٤م

٥١ - العقاد، عباس محمود ألوان فن القصة الاميركية في الادب الامريكي - مكتبة الانجلو المصرية ط ٢ القاهرة ١٩٦٣م

٥٢ - علي احمد سعيد فن المنتجب العافي وعرفانه دار النعمان بيروت ١٩٦٨م

٥٣ = = مجتمع العربية وشخصيتهم في البلاغة الانسان الجديد بيروت ١٩٧٤م

٥٤ = = الانسان والتاريخ في شعر أبي تمام منشورات دار النعمان ط ١ ١٩٧٠م

٥٥ = = الطلاب وانسان المستقبل دار الرائد العربي ط ١ ١٩٧١م

٥٦ = = لانك جيني / اواسطورة الشعراء ، التعاونية اللبنانية ط ١ بيروت ١٩٧٤م

٥٧ = = الاسلام كما بدا دار الكتاب اللبناني ط ١ بيروت ١٩٧٢م

٥٨ - علي خليل احمد زكي الارسوزى ودور اللسان في بناء الانسان / رسالة ماجستير ، نوقشت في معهد الآداب الشرقية ١٩٧٤م

٥٩ـ فراج ، عبدالستار تاج العروس مطبعة الحكومة بالكويت ط ١ / ١٩٦٠م
(حمد تحقيق)
٦٠ـ فرنييل ، جون ترجمة محمد مفيد الشوباني دار الفكر العربي
٦١ ـ قندرس ج اللغة / ترجمة عبدالحميد الدواخلي ، ومحمد القصاص مكتبة الانجلو المصرية ط ١ / ١٩٥٠م
٦٢ـ كحالة ، عمر اللغة العربية وعلومها مكتبة النسر بدمشق ـ دمشق ١٩٧١م
٦٣ ـ كرم انطون غطاس الرمزية والادب العربي الحديث دار الكشاف ، بيروت ١٩٤٩م
٦٤ ـ لبكي ، صلاح لبنان الشاعر نشر معهد الدراسات العربية العالمية ١٩٥٤م
٦٥ ـ مروة ، اديب الصحافة العربية دار مكتبة الحياة ط ١ بيروت ١٩٦١م
٦٦ـ المسعودى مروج الذهب القاهرة ١٩٣٤٦ هـ ١٩٢٧م
٦٧ ـ بوين آدوين بناء الرواية / ترجمة ابراهيم الصيرفي ، الدار المصرية للتأليف والنشر
٦٨ ـ ناصيف ، مصطفى مشكلة المعنى في النقد الحديث مكتبة الشباب بالمنيره مصر
٦٩ ـ نجم ، محمد يوسف فن القصة ـ بيروت دار الثقافة ط ٥ / ١٩٦٦ م
القصة في الادب العربي الحديث من(١٨٧٠ـ ١٩١٤ ط ٣/ ١٩٦٦
٧٠ ـ النساج ، محمد حامد القصة القصيرة في مصر
٧١ ـ هايمن ستايلي ، النقد الادبي ودراسته الحديثة دار الثقافة ط ١ بيروت ١٩٥٨م
٧٢ ـ هلال ، محمد غنيمي الادب المقارن دار الثقافة ودار العودة ط ٥ بيروت
النقد الادبي الحديث دار النهضة العربية ط ٤ القاهرة ١٩٦٩م
٧٣ ـ وافي ، علي عبدالواحد علم اللغة لجنة البيان العربي ط ٣ / ١٩٥٠م
٧٤ ـ ياغي ، هاشم القصة القصيرة في فلسطين والاردن ـ معهد البحوث والدراسات العليا ـ القاهرة ١٩٦٦م
٧٥ ـ اليسوعي ، الاب هنرى فليش العربية الفصحى نحو بناء لغوى جديد ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٦٦م
٧٦ ـ

---

٧٧ القانون الأساسي والنظام الداخلي لاتحاد الكتاب اللبنانيين ـ بيروت ١٩٧٠م .
٧٨ دائرة المعارف لاروس الكبرى في اللغة الفرنسية ط ١ باريس ١٩٦٨م
٧٩ الموسوعة العربية الميسرة ـ دار العلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة القاهرة ط ٥/ ١٩٦٥م

- André le Bretnon. Le Roman Francais
- F. C . Green . Frech Novelist
- Holcraft. Saint Jva letter 79 cité par le Gazamian.
- P. Hazard DoQ Quichotte paris 1949

محتويـــــات الرســـــالة

المقدمـــــــة	١	١٠
الباب الأول	١١	٣٧
سهيل ادريس		
المدخـــــل	٣	١٤
الفصل الاول : مناشط حياته (١٩٢٥م — ١٩٧٥م)	١٤	٢٤
الفصل الثاني : آفاق عصره في بيئتيه : لبنان وفرنســـا	٢٥	٣٧
الخاتمـــــــة		
الباب الثاني	٣٨	٦٣
القصة ، اطارا ، وتخطيطا		
المدخـــــل		
الفصل الاول : القصة في اللغة والاصطلاح والتاريـــــخ	٤٠	٥٢
الفصل الثاني : فن القصـــــــــــــة	٥٣	٦٣
الخاتمـــــــة		
الباب الثالث	٦٤	١٦٦
أعمال سهيل ادريس		
الفصل الأول : أقاصيـــص سهـــــيل ادريـــــس	٦٦	٩٨
مبحث أول : قصة العراء	٧٠	٧٥
مبحث ثاني : قصة القراءة في العيون المغمضـة	٧٦	٨٤
مبحث ثالث : أشـــــواق	٨٥	٩٠
مبحث رابع : رحماك يا دمشـــــــــق	٩١	٩٨
الفصل الثاني : روايات ســـــهيل ادريـــــــس	٩٩	١٦٦
مبحث أول : رو الخندق الغميق	١٠٠	١٢٠
مبحث ثاني : الحي اللاتينـــــي	١٢١	١٣٨
مبحث ثالث : أصابعنا التي تحترق	١٣٩	١٥٥
مبحث رابع : روايات سهيل ادريس في مرايا النقاد	١٥٦	١٦٦
الخاتمـــــــة		

الباب الرابـــع ١٦٧ — ٢٢٧

نشاطات سهيل ادريس

المدخـــــل

الفصل الاول : مجلـــة الآداب ١٦٩ — ١٨٦

الفصل الثاني : أعمال ويـــــة ١٨٧ — ١٩٣

الفصل الثالث : اتحاد الكتاب اللبنانيين ١٩٤ — ٢٠٤

الخاتمـــــة ..... ٢٠٤ — ٢١١

الملحـــــق ..... ٢١٢ — ٢٢٧

المصادر والمراجـــع ..... ٢٢٨ — ٢٣١